

عزيز نيسين

مجنون على السطح

ترجمة: محمد مولود فاقي

«قصص»


تليجرام
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون
محمد خطاب



مجنون على السطح

عنوان الكتاب بالتركية

AZIZ NESIN

DAMDA DELI VAR

عنوان الكتاب بالعربية

عزيز نيسين

مجنون على السطح



عزيز نيسين

مجنون على السطح

قصص قصيرة

ترجمة محمد مولود فاقي

• الدار الوطنية الجديدة – دمشق

• مجنون على السطح

• المؤلف: عزيز نيسين

• ترجمة: محمد مولود فاقي

• الطبعة الأولى ١٩٩٩

• الناشر: الدار الوطنية الجديدة

• التوزيع: الدار الوطنية الجديدة

دمشق- ص.ب: ٢٢٢٠٥

هاتف: ٤٤١٨٢٠٢ -٤٤١٨١٧٢

٤٤٧٤٣ -٦/٤



-١-

مجنون على السطح

أفاق الحي بكامله مذعوراً:

- مجنون على السطح!؟

كان الشارع من أوله إلى نهايته قد ازدحم بالمشاهدين والفضوليين ليشاهدوا المجنون. ووقفت قوات الشرطة والدرك في مقدمة الحاضرين، وتلاهم أفراد من مديرية الأمن العام وعدد من سيارات الشرطة، ثم سيارة إطفاء بكامل طاقمها.

كانت أصوات الحضور تسمع من بعيد، وهم يتوسلون للمجنون بالنزول عن السطح هيا يا ضناي... يا ولدي... انزل با لله عليك.

ردَّ المجنون عليهم:

- إذا لم تعيِّنوني مختاراً للقرية، سألقي بنفسي إلى الأرض. وعلى الفور فتح طاقم الاطفائية مفرشاً من القماش السميك، وحملوه من جوانبه، وشرعوا يتحركون يميناً ويساراً وعيونهم مشدودة نحو المجنون، والعرق يتصبب من أجسامهم.

- صرخ المفتش بأعلى صوته وبقسوة وغضب ليخيف المجنون: أرجوك يا أخي أن تنزل إلى الأرض، ثم تبعه بجملة مفعمة بالحنان والعطف ليخدع المجنون.

- أجاب المجنون: اعملوني مختاراً، أو ألقي بنفسي إلى الأرض.

ولما لم يجد الترجي نفعاً، صرخ المفتش بعنف وقسوة:

- ولك يا أخي انزل إلى الأرض.

- أنظر إلى هؤلاء الناس، واطلب منهم أن يصعدوا إليَّ، بدل نزولي إليهم!

- قال أحد الحضور: نوافق المجنون على طلبه ونقول له: جعلناك مختاراً.

- قال آخر: كلامك مرفوض من أساسه، أنت جبان ومعتوه، فهل من الحكمة والعقل أن نجعل من هذا المجنون مختاراً؟

- الله... الله... وهل سنجعل منه مختاراً حقيقياً؟

- قال عجوزٌ وقد استند على عصاه:

- هذا لن يحصل أبداً... إن كان كلامكم كذباً أو صدقاً... فهذا لا يجوز مطلقاً.

- ربما ينزل...

- لا ينزل... أنا أعرف أمثال هؤلاء المجانين، إذا جُنَّ أحدهم... لا ينزل أبداً.

- لو لم يتجمع الناس كان سينزل، ومع هذا لينزل عن السطح، وباقي الأمور سهلة الحل.

- لا ينزل...

- صرخ أحد الموجودين: لقد جعلناك مختاراً... هيا انزل.

بدأ المجنون بالغناء والرقص قائلاً:

- لن أنزل: وإذا لم تعيّنوني عضواً في مجلس البلدية سألقي بنفسي إلى الأرض.

- قال العجوز للموجودين حوله: ألم أقل لكم... كيف....

- لنحقق له جميع مطالبه.

- مهما فعلتم له، ومهما نفذتم من رغباته ومطالبه فلن ينزل. إذا ضرب جنون العظمة والصعود لأعلى دماغ الإنسان، فيعني ذلك أنه لن ينزل أبداً.

قال المفتش: لقد وافقنا أن تكون عضواً في مجلس البلدية... هيا يا أخي... انزل من فضلك، ولا تجعل رفاقك الواقفين هنا، والذين يحبونك أن ينتظروا أكثر من ذلك.

- لن أنزل، إلا إذا أصبحت رئيساً للبلدية... لن أنزل

قال العجوز: أسمعتم ما يقوله... من قبل كان نزوله واجباً، أما الآن فلن ينزل أبداً

قال رئيس جماعة الإطفاء وهو يتصبب عرقاً.

- ما الضرر إذا جعلناه رئيساً للبلدية. ثم رفع كفيه حول فمه وصرخ:

- انزل يا أخي لقد أصبحت رئيساً للبلدية، انزل لكي تبدأ مهمتك

أجاب المجنون وهو يتمايل:

- لن أنزل أبداً.... ماذا سيفعل الناس بي وقد أصبح المجنون رئيساً لبلديتهم... لن أنزل.

- إذن ماذا تريد؟

- أريد أن أكون وزيراً وعندها سأنزل. وبعد جدال قصير قال أحد الحضور:

- ليكن لك ما طلبت. لقد جعلناك وزيراً أيضاً... أرجوك أن تنزل، انظر

فالجميع هنا حاضرون لاستقبالك، وهم في انتظارك للتهنئة.

- وضع المجنون يديه على جانبي فمه وصرخ بصوت عالٍ: لا لن أنزل أبداً، ماذا سيقول الناس عني، وقد أصبحت أنا المجنون وزيراً.

- هيا انزل يا أخي. با لله عليك أن تنزل... أنت وزير... وجميع الوزراء هنا في انتظارك هيا انزل أرجوك بسرعة أن تنزل...

- شو (هالأونطة): هل أنا مجنون لأنزل... وترسلوني للعصفورية ثانية... لن أنزل أبداً..

قال العجوز: أنا أعرف أمثال هؤلاء المجانين... لن ينزل... أجيبوا بصراحة... با لله عليكم إذا عيَّونكم وزراء فهل تنزلوا؟.

صرخ المجنون بأعلى صوته:

- ذنبكم على جنبكم... إذا لم أصبح رئيساً للوزراء... فلن أنزل مهما حاولتم...

هتف الجميع من الأرض: لقد أصبحت رئيساً للوزراء... هيا انزل

قال العجوز: لن ينزل... وبدأ المجنون يرقص ويغني ويهز خصره وقال:

- عيّنوني ملكاً وعندها أعدكم بأني سأنزل... وهذه المرة الأخيرة إذا لم أصبح ملكاً فسوف ألقي بنفسي إلى الأرض وتتحملوا مسؤولية موتي.

صدّق الجميع كلام المجنون وتوجهوا بالسؤال إلى العجوز: ماذا سنفعل؟

قال العجوز حصل ماحصل.. أنتم مرغمون بعد الآن على تلبية جميع رغباته، لقد أصبح رئيساً للوزراء.

صرخ الجميع من الأسفل: لقد أصبحت ملكاً، هيا انزل... لاستلام مهامك.

قال المجنون وهو يغني ويهز بطنه لن أنزل...

- ماذا تريد لقد جعلناك ملكاً

- إذن هكذا...!! لن أنزل.. إذا لم تجعلوني إمبراطوراً فسألقي بنفسي للأرض.

قال العجوز: سيلقي بنفسه على الأرض، إنه مجنون سيفعلها.

صرخوا من الأسفل: لقد أصبحت إمبراطوراً، هيا انزل إلينا...

قال المجنون: ماذا سأفعل ضمن مجموعة من الزعران... وأنا إمبراطور كبير وعظيم.

- إذن ماذا تريد.. قل: فنحن على استعداد لتنفيذ كل ما تطلبه... لكن انزل يا أخي..

قال المجنون وهو على السطح: هل أنا الآن إمبراطور؟

صرخ الجميع من الأسفل: نعم... أنت إمبراطور...

- بما أنني إمبراطور: إذا رغبت بالنزول سأنزل، وإن لم أرغب فلا أنزل... وفي جميع الأحوال لن أنزل...

صرخ المفتش غاضباً: إذا أراد أن يرمي بنفسه فليفعل، وبذلك سينقص مجنون من العالم، ثم فكّر المفتش قليلاً، وعندها خشي أن يحصل للمجنون مكروه فيتحمل المسؤولية...

قال رئيس جماعة الإطفاء للعجوز: ماذا سنفعل الآن... المجنون عنيد، قرّر ألا ينزل أبداً...

- سينزل، سينزل..

- ولكن كيف؟

- اتركوني وشأني سأنزله

كان الجميع يترقبون ماذا سيفعل العجوز على إنزال المجنون عن السطح؟

- نادى العجوز المجنون بصوت قوي: يا جلالة الإمبراطور... هل ترغبون جلالتكم بالصعود إلى الطابق السادس؟

- قال المجنون بكل سرور... كما تريد، هبط المجنون من الباب الذي يوصل الطابق السادس وأطل على الجمهور. ثم قال العجوز للمجنون: هل يسمح جلالتكم بالصعود إلى الطابق الخامس

- قال المجنون: سأصعد

كانت الجموع في حيرة وتعجب، فقد نزل المجنون إلى الطابق الخامس.

- قال العجوز: ألا يودُّ جلالتكم بالصعود إلى الطابق الرابع، عندها هبط المجنون طابقاً آخر، ثم قال العجوز للمجنون الذي كان يراقب الجمهور من الطابق الرابع:

يا صاحب العزة والجاه، يا امبراطورنا العزيز، هل ترغبون جلالتكم بالصعود إلى الطابق الثالث؟

أجابه المجنون بكل تأكيد...

وقف المجنون من نافذة الطابق الثالث.. ولكنه هذه المرة كان هادئاً ساكناً صامتاً، لا يرقص، ولا يغني كما كان على السطح، بسبب سيطرة جدية الإمبراطور على تصرفاته.

- يا امبراطورنا المحترم.. ألا تريدون سيادتكم الصعود إلى الطابق الثاني؟

نعم.. نعم.. أريد

لقد نزل المجنون إلى الطابق الثاني

– يا صاحب الجلالة: ألا ترغبون بالصعود إلى الطابق الأول؟

كان المجنون قد نزل إلى الطابق الأول ومنه إلى الشارع وسط الجمهور، واتجه مباشرة نحو العجوز، ووضع يده على كتفه وقال:

إن جنونك واضح للعيان، فالمجنون يفهم على المجنون، ثم التفت إلى المفتش وقال:

هيا قيدني وأرسلني للعصفورية: أسرع، ألا تعرف كيف يتم التعامل مع المجانين

وبينما كان المفتش ورجال الأمن منهمكين في تقييد المجنون وإرساله للعصفورية، قطع أحدهم الطريق على العجوز وقال:

– كيف فعلت هذا يا سيدي الوالد؟

قال العجوز: ايه... هذا ليس سهلاً يا بني... لقد عجنتنا السياسة خمسين عاماً. ثم أضاف وهو يزفر بشدة:

آه... آه... لو كانت ساقاي تساعداني في الصعود، لصعدت إلى السطح، ولن تستطيع بعدها أية قوة أن ترغمني على النزول ثانية.

-٢-

كيف حُلت مشاكل المواطنين

تقرَّر أن يحضر السياسيون البارزون إلى القرية، ولكن حضورهم لن يكون مفاجئاً كما كان يحدث في الماضي، حيث يجمع المخاتير الناس بسرعة، ويلقي المسؤولون كلمات وخطابات كلها وعود، ومن ثم يعودون أدراجهم. أما اليوم فإن السياسيين يعلنون في وسائط الاعلام عن حضورهم، ويتجولون في في القرى والمناطق، وتقام لهم الولائم الفاخرة والحفلات الشعبية.

قبل أن يبدأ السياسيون في بلدنا زيارتهم للقرى، يجتمعون في مركز الحزب ويتناقشون. لقد اختلفوا فيما بينهم قبل الزيارة، فانبرى أحدهم وكان متمرساً عنيفاً في أمور السياسة فقال:

"أيها الأخوة إننا نتحدث إلى الشعب كما نتحدث مع أنفسنا، نخطب في الساحات العامة ونطيل الكلام ونغدق المواعيد، لكن أحدنا لم يحسب حساباً لشيء وهو: هل يفهم الشعب عباراتنا الرنانة أم لا؟ إنه خطأ كبير أيها الأخوة، هناك أمور يجب أن يفهمها الحزبيون من الشعب، يجب أن نوضح لهم الأمور دائماً، وعندما يستلم حزبنا السلطة، يجب عندها أن يعرف الشعب مشاريعنا المستقبلية".

رفع المجتمعون أيديهم بدليل الموافقة على هذه الفكرة. بالطبع فإن خطباء الحزب سيعتلون المنابر ويتكلمون، لكن بغير الطريقة التي يتكلمون بها داخل الحزب، سيكونون مستعدين للإجابة على تساؤلات المواطنين وبالطريقة التي يفهمونها. إن التحدث بما تعرفه شيء سهل، ولكن الصعوبة في الإجابة عما لا تعرفه. يجب أن لا تقول في قرارة نفسك: هؤلاء قرويون بسطاء، يحتذون

القباقيب، إنهم على درجة عالية من الفهم السياسي، باستطاعتهم حمل أي مسؤول ووضعه على الخازوق إذا أرادوا (يعني اسقاطهم في الانتخابات)، وعندها تصبح سمعة الحزب وشهرته قاب قوسين أو أدنى في تلك المنطقة، وقد تصل أحياناً إلى حافة الانهيار. ولكي تكون أجوبة الحزب للشعب واقعية ومنطقية، فقد تشكلت لجنة من خمسة أعضاء أحدهم دكتور في الاقتصاد، والثاني أستاذ في الحقوق، والثالث خبير مالي والرابع دكتور في الهندسة الزراعية، والخامس طبيب اختصاصي من أمريكا. وعندها ليسأل الشعب مايريد، فهؤلاء المثقفون باستطاعتهم الاجابة على مختلف الأسئلة، ولكن في إطار النظام الداخلي للحزب.

قامت المنظمات التابعة لذلك الحزب بحملة دعاية واسعة، استخدمت فيها مكبرات الصوت واللافتات والملصقات، والإعلانات في الصحف المحلية، جاء فيها: بأن اللجنة الحزبية القادمة مختصة بالإجابة على جميع التساؤلات وتبنّي المقترحات المقبولة التي يطرحها المواطنون.

غضب أعضاء حزب (م) جدا ماذا تعني: الأسئلة، الأجوبة، المقترحات؟

قال أمين شعبة (م) لأعضاء شعبته: ماذا سيحصل الآن؟ إنها الكارثة. لقد ابتدع حزبنا أسلوباً جديداً فظاً في العمل السياسي. قديماً كان مسؤولوا الحزب، يصعدون منصة الخطابة ويخاطبون الشعب بأعلى أصواتهم حتى تبحَّ حناجرهم، نصف الكلام يفهمه الشعب والنصف الآخر يضيع في صدر صاحبه. كنا نصفق لهم. ونهتف عاش عاش، بعدها يجمعون بعضهم ويعودون أدراجهم، أما اليوم، من سيتحدث معهم؟ ماذا نسألهم؟ لنفرض أننا وجهنا إليهم أسئلة واقعية وهامة من سيفهم عليهم ويحل أجوبتهم؟

قال سليم آغا: اطمئنوا من جهة الأسئلة، الحديث يجر الحديث، ولكن لو توجهوا إلينا بالسؤال عن بعض أمورنا الهامة، ونحن هنا جماعة كبرى من

الأعضاء الحزبيين، عندها سنقع في ورطة كبرى وستنفضح أمورنا أمام الجميع

- قال أمين الشعبة: لقد وجدتها، نعم وجدت الحل السهل وهو: أن لا يتكلم كل واحد منا على سجيته، لنحدد الآن، من الذي سيتحدث إلى القادمين؟ أليس هذا أفضل حل ممكن؟

- أجاب الجميع دفعة واحدة، هذا حسن. من له ثقة بنفسه ليخرج إلى الوسط. وعندما لم يظهر متطوعون، التفت أمين الشعبة للحلاق عثمان وقال: لماذا تقف هكذا "حيرحير عثمان"، تظل من الصباح حتى المساء تغني وتتحدث إلى هذا وذاك ولا يقف لسانك عن الكلام. هاقد جاء وقتك الآن، هيا أخرج إلى الوسط

- أجاب عثمان الحلاق: لا يجوز لنا أن نتحدث بوجود من هم أكبر سناً ومركزاً يا آغا.

لم يكن هناك من يتحمل المسؤولية، في النهاية قال أمين الشعبة "لصالح نالبور": مامن أحد سواك يستطيع القيام بهذا العمل يا صالح جاويش!

تكلم صالح جاويش وهو يشير إلى عضلات ساعده- لن أستطيع بمفردي القيام بهذه المهمة، ليساعدني نوري أفندي. أخيراً تشكلت لجنة حزبية للإجابة على التساؤلات، ووافق المجتمعون على أن يقوم صالح جاويش، ونوري أفندي، بطرح الأسئلة على اللجنة الحزبية.

قال أمين الشعبة: أريد من الجميع أن يصغوا اليَّ بدقة، لا نريد أن نقع في مأزق أمام الأحزاب الأخرى. الجميع سيحضرون إلينا، وما أريده منكم هو: أنه عندما لا تستطيعوا فهم كلام القادمين، فيجب أن تظهروا في قرارة أنفسكم بأنكم فهمتم كل شيء، أمام الأحزاب الأخرى. وابذلوا جهودكم في توضيح ما لم تفهموه على الآخرين قدر فهمكم له.

- كان من الطبيعي أن تصل اللجنة الخماسية من قيادة الحزب إلى البلدة

في وقت مبكر. أما صالح جاويش ونوري أفندي، فقد حفظا عن ظهر القلب، الأسئلة التي سيطرحونها على أعضاء اللجنة الخماسية الحزبية.

في الساعة العاشرة تماماً وصلت أربع سيارات فخمة للغاية إلى بلدة (م) قادمة من المحطة الرئيسية. وعلى الفور نزل أعضاء اللجنة من سياراتهم وتوجهوا مع مستقبليهم إلى مقر الحزب في البلدة. وقدّمت لهم هناك الشاي، والقهوة، والمرطبات...

أراد أحد أعضاء اللجنة التحدث قبل الطعام. بدأ الأستاذ الحقوقي حديثه قائلاً: بما أن الاجتماعات ممنوعة، سوف نتحدث فقط للأخوة المواطنين. ماهو المكان الذي ترونه مناسباً لذلك؟

- لنذهب إلى المقهى

كان المقهى والحدائق التابعة له والطرقات المؤدية إليه مزدحمة بالحضور.

حضرت اللجنة الخماسة الحزبية للمقهى والابتسامة تعلوا على وجوه أفرادها. وبعد استراحة قصيرة تحدث الطبيب قائلاً:

أيها الأخوة المواطنون: تعلمون أن الاجتماعات في الساحات العامة ممنوعة. ولهذا السبب وجدنا أنه من الأفضل والمناسب جداً أن نجلس في هذا المقهى مع بعضنا، ونتحدث بكل بصراحة دون موانع. نحن على استعداد للاجابة على جميع تساؤلاتكم.

تعالى التصفيق والهتاف، وبدت الابتسامة على وجوه الحاضرين.

قال عثمان الحلاق لأمين الشعبة: ليس الأمر صعباً، لقد أحفتنا من اللجنة إنهم يتحدثون مثلنا ونفهمهم جيداً.

- انتظر قليلاً وسترى. لم تبدأ الأحاديث السياسية بعد:

عندما تبدأ السياسة تجري في شرايينهم عندها ستفهم أو لا تفهم.

وقف صالح الجاويش على قدميه وقال: هل باستطاعتي توجيه سؤال إليكم

دون ازعاج: لنفترض أنكم استلمتم الحكم ماذا ستفعلون؟؟

نظر أعضاء اللجنة: إلى بعضهم، وكانوا متوقعين مثل هذه الأسئلة والجواب جاهز.

بدأ الأستاذ الحقوقي الحزبي توضيح الجواب فقال:

- قبل كل شيء أريد توضيح هذا الأمر، علينا أولاً وضع دستور للبلاد مستمداً من دساتير البلدان المتقدمة ويكون نموذجاً لدساتير الغرب، بحيث يتمشى والحياة السياسية والاجتماعية ونابعاً من ايدولوجية ديموقراطية، وبموجب هذا الدستور فإن جميع مراكز القوة في الدولة تسير حسب مواد الدستور، ومن ثم نعمد إلى إنشاء محكمة دستورية عليا تتابع تطبيق مواد الدستور. إن هذا العمل يجب أن ينبع من الشعب، ونحن مع كل ما يقوله الشعب. يجب أن نعتمد في سياستنا على الوضوح، ونحن كباقي الأحزاب السياسية نعتمد على قوانا الذاتية، وبصورة متوازية مع حملات التوعية بين جميع صفوف الشعب. وبما أننا حزب يطالب بالديموقراطية سنقوم بتشكيل حكومة ائتلافية يرضى عنها الشعب، وعلى كل حال يجب أن ننظر إلى مطالب الشعب أولاً ونحاول سدَّ جميع الثغرات لكي يبقى الشعب راضياً عنا.

ملاحظة: المقطع السابق الذي ورد على لسان الاستاذ الحقوقي مفرداته باللغة التركية واللاتينية و٧٠٪ منه غير مهوم.

قال الجاويش صالح: هذه النقطة فهمناها لدينا مشكلة أخرى. كل ما قلته سيادتكم جميل وجيد، ولكن ما موقفكم من زراعة الرز غير المقشر في بلدنا؟

أصغى جميع الحاضرين في المقهى للسؤال وما ستكون الإجابة، ران الصمت والهدوء، لأن هذا السؤال يتعلق بأهم مشكلة تعاني منها البلد. إذا جاء الحزب إلى السلطة فماذا سيفعل في زراعة الرز غير المقشر؟

ولأن السؤال من اختصاص خبير الاقتصاد فتناوله بالحديث التالي:

"كانت الاجابة متقطعة، والحديث باللغة التركية واللاتينية بحيث يصعب على الجمهور فهم ما يقال"

يجب أن أوضح لكم هذه المسألة بشكل علمي دقيق وأسلوب واضح، ومفهوم من الجميع:

لقد اتسعت دائرة المبادلات التجارية، وأن خطتنا السياسية هي الاتصال مع العالم الخارجي وإيجاد أسواق... هنا جمل غير مفهومة... إن مقدار ما صدَّرناه هذا العام ١،٢٠٠ مليار دولار، مع العلم أنه قبل خمسة أعوام كان متوسط التصدير لا يتعدى ٩٢ مليون دولار، ومن هذه الأرقام تدركون أن الديون المتراكمة قد انتهت.

نظر أمين الشعبة في وجه الجاويش صالح نظرة ذات معنى

أكمل الجاويش صالح سؤاله قائلاً: من ناحية الفهم فهمنا تماماً، هل نحن أغبياء لدرجة لا نستطيع فهم هذا الشيء البسيط.

تابع الخبير الاقتصادي كلامه قائلاً: أعتقد بأني أوضحت ما فيه الكفاية وبدرجة جيدة، وأظن أني أطلعت الشعب على مجريات الأحداث مافيه الكفاية أيضاً.

اشترك نوري أفندي بالحديث ووجه كلامه مخاطباً الجماهير المزدحمة:

- يا أهل بلدي الأعزاء: إن السيد يريد أن يقول لكم، إن مشاكلكم في طريقها إلى للحل وفي مقدمتها مشكلة الرز غير المقشر، وباقي المشاكل الأخرى.

قال الجاويش صالح: بقي شيء لم نفهمه، من فضلكم أريد أن أسألكم

- قال الخبير السياسي: من الطبيعي أن تسألوا، جئنا إليكم لنجيب على أسئلتكم ونحل مشاكلكم، ونفهمكم بشكل صحيح كما ينص النظام الداخلي للحزب.

قال نوري أفندي: لنترك جميع هذه الأمور جانباً: هل ستقومون ببناء مدرسة إعدادية في بلدتنا أم لا؟

أجاب الخبير السياسي: لأوضح لكم هذه النقطة الهامة (طبعاً كما في السابق، وبكلمات غريبة تركية وفارسية ولاتينية وعربية غير مفهومة):

لكي نحقق الديموقراطية البرلمانية بشكل صحيح ومطابق للدستور، يجب أن لا نغفل أهمية الدور الثقافي في مسيرتنا، يجب أن تكون كلمات المفكر الانكليزي "توماس هدلي" مرشدنا لذلك، وبناء عليه فإن المجاهد من أجل الحرية "جون بوليندا" يقول: إن أسباب وجود الجهل في دولة ما مرده لعدم القراءة. لذلك فإن الجهل ملازم لعدم المعرفة. أعتقد أن الأمر مفهوم وأني أجبت بصراحة ووضوح على سؤالك. وأرجو من المواطنين الكرام أن يسألوا كل ما يخطر في بالهم دون تردد أو خوف.

قال نوري أفندي لأهل البلدة: أعتقد أنكم فهمتم: إن مشكلتكم في طريقها للحل، ويريد الخبير السياسي أن يقول بصريح العبارة إنهم لن يبنوا مدرسة اعدادية واحدة فقط بل عدة مدارس اعدادية وثانوية. قال صالح الجاويش: لقد سألنا كثيراً وأتعبناكم بالأسئلة بقي سؤال واحد فأرجو المعذرة: ماذا سيحصل لغلاء التبغ؟.

أجاب الخبير المالي: سأوضح لكم الأمر، إذا أزلنا النظام الاقتصادي الحر من البلد فإن التحكم الفيزيائي ونظام التجارة الخارجية لا يعطيان الأولية، لإن سعر صرف العملة يؤثر على ميزانيتنا الداخلية وسياستنا المالية....

وإذا قمنا بعملية حسابية لكل ما تقدم فعندها تستطيعون فهم كل شيء بوضوح. بهذه الصورة أكون قد أجبت على سؤالكم، وأظن أنه لا يوجد أي غموض في إجابتي.

كان حديثه غير مفهوم، لأن كلمات كثيرة مقطوعة من الحديث قالها

- ٣ -

مصارعة السيارات

قديماً... واليوم....

مازال بعض الذين يعرفون "جاكير يعقوب" أحياء.

كان "جاكير يعقوب" معروفاً من سكان القرية جيداً، يأتي إليهم من قريته "بيين" حافي القدمين، ثيابه ممزقة. وقد أضحى اليوم من أغنى أغنيائها.

وكان "رضا بك" من ألد أعدائه، فهو من أبناء القرية التي عاش فيها أجداده، ويكن الحقد والحسد لـ"جاكير يعقوب" على غناه ونفوذه. ويقول عنه:

- انظروا لهذا الخنزير البري، لقد جاء من الجبل إلى القرية ليطرد أهلها. نحن نعرفه كيف حضر إلينا لأول وهلة، حافي القدمين ممزق الثياب، قدَّمنا له العمل في حقول القطن بأجر زهيد للغاية "مجيدية واحدة"، إشفاقاً عليه.

جاء هذا الانسان البري وسكن قريتنا، وكأن الأمر لا يعنيه، الطمع والجشع ومنافسة السكان المحليين الأشراف على أعمالهم.

إذا بدأ "جاكير يعقوب" ببناء فندق، فإن "رضا بك" يبني بالمقابل فندقاً وداراً للسينما، "رضا بك" لا يقبل الخضوع، ولا يقبل إلا أن يكون من أشراف القرية وفوق الجميع. وبينما كان "جاكير يعقوب" منهمكاً في بناء "كازينو-مطعم-معمل للخيطان-معمل للنسيج، اشترى رضا بك سيارة كاديلاك وكانت أول سيارة من هذا النوع تدخل البلدة، فما كان من "جاكير يعقوب" إلا أن اشترى سيارة كاديلاك لنفسه ولكل من أولاده

وأزواج بناته.

وقفت السيارات بنماذج وألوان مختلفة أمام باب كل من هذين الرجلين المتعاندين. وعندما اشترى "جاكير يعقوب" سيارة "البويك" قال لمن حوله: لا أبدل دولاب هذه السيارة بكل سيارات الكاديلاك عند "رضا بك".

وعندما بلغ الكلام مسامع رضا بك تبدلت الأمور بينهما، فأرسل رضا بك تحذيراً شفهياً إلى "جاكير يعقوب" يقول فيه: إذا رأيتُ شاربه في الطريق سأدوسه تحت قدمي ولن أترك له شعرة واحدة.

قال "جاكير يعقوب":

الرجَّال لا يقول الكلام في غيابي... هاهي الساحة... وهذه السيارات في وسطها فإذا كان رجلاً ليحضر ونصادمها ببعضها "نصارعها".

لما سمع "رضا بك" كلام "جاكير يعقوب" قال:

من يتراجع عن كلامه يكون عرص ابن قحبة. لنصارع سياراتي الكاديلاك مع سياراته "البيك" (رضا بك يقول عن سيارة البويك: بيك ومعناها بالتركية شارب)، لن أترك من سياراته سوى الرماد وسوف أمزقها شر ممزق.

ذاع خبر مصارعة السيارات في البلدة، التي انقسمت إلى فئتين (الكادلاكيون) و(البويكيون). وبدأ المؤيدون لكل منهما يتظاهرون بأن سيارة سيدهم ستنتصر، ولكنهم في قرارة أنفسهم، كانوا يتمنون أن تتحقق الغلبة للسيد الآخر، ويدعون لذلك من أعماقهم.

انتشر خبر في القرية مفاده أن رضا بك قد أحضر من ازمير سائقاً لسيارته. جاء السائق الازميري الذي كانت الشرطة قد سحبت اجازة سوقه

بسبب سوابقه التي لا تحصى، من المخالفات وحوادث الدهس. ولم يكن لهذا السائق من عيب سوى أنه تناول جرعة من المخدرات وظل نائماً وقد أسند رأسه لمقود السيارة، مما أعجب رضا بك كثيراً.

قال السائق الازميري بتباه: أقود السيارة وأنا نائم

أجاب رضا بك: ستضربه وتمر فوقه، تهرسه وتحطمه، وأريدك أن تجعل من قليل الناموس هذا عبرة. لا تبق منها قطعة واحدة، وسأعطيك كل ماتطلبه مقابل عملك، لأن في هذه المعركة حفاظ على شرفي

قال السائق الازميري: في هذه العملية سيكون هناك قتل وموت، فإذا كان في الأمر شرفك، فإني بإذن الله سأحطمها ولن أترك منها قطعة واحدة.

أما يعقوب بك فقد وجد لسيارته سائقاً محلياً، حاقداً على رضا بك، وكان يعمل عنده سائقاً، طرده وتمادى في ازعاجه وإهانته.

قال السائق للسيد يعقوب بك: كن مرتاحاً، واترك الأمر لي، بإذن الله سوف أهرس سيارة رضا وأنثر رمادها في أوساط القرية ليكون صاحبها عبرة لمن يُعتبر.

امتلأت الساحة بالمشاهدين، فاليوم يوم عطلة، وساحة المصارعة أحيطت بالأسلاك الشائكة والأوتاد. وما إن ظهرت سيارة رضا بك الكاديلاك من بعيد حتى تعالت الهتافات، ودوى تصفيق حاد وصراخ ما شاء الله.... ما شاء الله.

كانت سيارة الكاديلاك مزينة بالورود والأزهار والشرائط الحريرية كما تزين العروس. وصلت الساحة ووقفت في المكان المخصص لها.

ووقف رضا بك في الجانب البعيد من الساحة، والسيد يعقوب في الجانب

الآخر.

تأخرت سيارة يعقوب في الوصول إلى الساحة، لأنهم سحبوا سائقها من المقهى بصعوبة. وما أن سمع المشاهدون زمور سيارة البويك، حتى هتفوا عاش يعقوب بك عاش يعقوب بك.

جاءت سيارة البويك كالعاصفة مخلفة وراءها غمامة من الدخان والغبار ومرت كالسهم بين المشاهدين الذين هربوا مسرعين ناجين من الموت بصعوبة. وأخذت السيارة مكانها في الساحة.

كانت المسافة بين السيارتين ١٢٠م وعلى بعد متساو منهما وقف شخص يحمل مسدساً ليعلن بداية الصراع. وفور سماع الطلّقة، على السائقين الانطلاق باتّجاه بعضهما بالسرعة القصوى لسيارتيهما.

كانت سيارة يعقوب بك "البويك" قد زينت بشكل كبش أضحية العيد، كما ثبت في مقدمتها قرنا كبش، وفي الخلف لوحة تشير لرقم السيارة، وقد كتب عليها عبارة "ما شاء الله"، كما علق في مقدمتها خرزة زرقاء ولوحة كتب عليها "عين الحسود تبلى بالعمى" كما علق في مقدمتها رأساً من الثوم، وحذاء، ونضوة حصان.

قبل بدء المصارعة، أرسل السيد رضا بك إلى يعقوب بك خطاباً يقول فيه لقد وضعت شرفي وسط القتال، فهل تضع يا يعقوب الخنزير شرفك أيضاً؟

نظر يعقوب لسيارته البويك الموجودة وسط الساحة وردَّ على رضا بك:

- هذا شرفي في الوسط، وأحلف بشرفي بأني سأحطم سيارتك وأمزقها، ولن تبق بعدها لحظة في هذه القرية.

ولما كان الغنيان لا يمكنهما تقسيم أراضيهما، فقد وضعا شرفهما تحت

دواليب سيارتيهما. ثمة شيء كان يثق به جاكير يعقوب ألا وهو حجاب كتبه الشيخ جيللي. وكان جميع سكان القرية يعرفون هذا الشيخ، حيث أصبحت لديهم قناعة أنه لو دخل أحدهم معركة وهو يحمل الحجاب، فإن الرصاصات والمدافع لا تؤثران فيه، فما بالك بسيارة البويك فالدبابة الألمانية لا تؤثر عليها.

ألقى "جاكير يعقوب" نظرة أخيرة على سيارة البويك وحجاب الشيخ جيللي الموجود في زاوية سرية منها. وظن أن كل الناس أغبياء ومجانين، وكيف يعرف الشيخ جيللي وهو الذي أتى من القفار البعيدة، ولا يعرفه رضا بك وهو من أشراف البلدة. حجاب آخر وضعه رضا بك داخل سيارة الكاديلاك وهو من صنع الشيخ جيللي نفسه.

وقف رجل وسط الساحة وبيده مسدساً وأطلق طلقة واحدة، وفجأة انطلقت السيارتان باتجاه بعضهما، وحدث صدام عنيف في أقل من دقيقة ودخلت إحداهما بالأخرى. أطلق المتفرجون صراخاً حاداً وطويلاً، بعضهم حضن رأسه بين كتفيه خوفاً من حدوث شيء نتيجة الصدام.

لم تهرب السيارتان، فقد أصبحتا قطعتين من الحديد، وتناثرت محركاتهما وسط الساحة. بدأ جاكير يعقوب يتمتم بصوت خافت جداً: آه.. شرفي، لقد أصبح على الأرض. بعدها ركب كل منهم سيارته خارج الساحة وذهبا باتجاهين متعاكسين. لم يصب أي من السائقين بأذى. وتفرّق المشاهدون والغبار ورائحة البنزين، والدخان يعلو جسديهما. كان السائقان يطلقان صرخات الضحك.

- لقد مرت الحادثة بسلام يا أخي، ولم يجرح واحد منا.

- قال الآخر: لقد أرسلت محرك البويك إلى استنبول، وقال الأزميري وأنا

أرسلت محرك الكاديلاك إلى هناك أيضاً. ثـم أطلقـا قهقهـة عاليـة وأشـارا إلى قطع المحركات المبعثرة على أرض الساحة.

انظر إلى شرفي معلمانا -لقد تبعثر شرفهما على الأرض.

أخـرج الأزمـيري مـن جيبـه لفافـة تبـغ وبـدأ بتدخـين سـيكارة مليئـة بالمخدرات، وقدَّم لزميله سيجارة أخرى من نفس النوع وتناولا نفساً عميقـاً وقالا: لقد حصلنا على عشرين ألفاً.

وبينما السائقان يسيران بين حطام السيارتين وجد أحدهما حجاب الشيخ جيللي بين حطام البويك، وعندها انتشل الأزميري حجاب الشيخ مـن وسـط المبرِّد، كانا على شكل مثلث مخاطين ضمن قماش أبيض. وبدأ كل منهما يفك الحجاب ليعرف ما في داخله. لم يجدا سوى ورقة صغيرة ملفوفة نزعـت من إحدى الصحف.

قال الأزميري: من هو قليل النـاموس هـذا الـذي صنـع مـن ورق الجريـدة حجاباً.. لقد ضحك علينا. وبدأ بقراءة ما كتب داخل الحجاب:

"أصبحت ديون حكومتنا ٩٨٢ مليون دولاراً، أمـا المبلـغ الموضـوع رهنـاً فهو /١١٣/ طناً من الذهـب -بلغـت الموازنـة التجاريـة ٣٢٢ مليـون دولار، وقروض التعهدات ٨٠٠ مليـون والاتفاقـات التجاريـة /٧٣٣/ مليـون دولار بهذا تكون اجمالي الديون التركية خمسة مليارات ليرة تركية ونصف.".

أما سائق رضا بك المولـود في أضنـة، فقـد وجـد الكتابـات التاليـة داخـل الحجاب:

"لقد وصلـت أزمـة المواصـلات في المدينـة حدهـا الأعلـى، لأن البلديـة لا تستطيع استبدال الحافلات من الخارج لعدم وجود العملـة الصعبـة المخبـأة في جيوب المسؤولين".

- ٤ -

الذين يمزحون كثيراً

الحياة مُرَّة أيها السادة! والحياة طريق مزروع بالأشواك، الحياة...

كتبت ثلاثة دفاتر، وملأتها بفلسفة الحياة، حتى الآن ستة عشر ألفاً.. هكذا الحياة، والحياة لعبة، ملأت دفاتري بكلمات رائعة عن الحياة.

الحياة نوع من الأحزان العميقة والآهات الطويلة، الحياة صعود قاس وحاد، والحياة نهرٌ جارٍ، وأخيراً يمكن القول أنها صالة مسرح.

كتبت في نهاية دفاتري عن الحياة. ما هي؟ قلت إنها مُرَّة أيها السادة، سأوضح لكم، ومن ثم لنرى حكمكم عليها.

ليس لديَّ طاقة، ولا عمل، لا لأني ورثت ثروة عن أجدادي، بل لأنني لم أجد عملاً، عشت يومين أشرب الماء وأتنفس الهواء.

ذات يوم كنت جالساً في إحدى الحدائق العامة، أفكر بماهية الحياة، نظر إليَّ رجل كان جالساً بجانبي، وطوى جريدته بعد أن انتهى من قراءتها، وهمَّ بوضعها في جيبه، فقلت له: إذا سمحتم، من فضلكم..؟

ناولني الرجل الجريدة، فتحت على لوحة الإعلانات الصغيرة فوراً. خفق قلبي بسرعة مذهلة، وشعرت بالأمل يهز أعماقي عندما قرأت الأعلان التالي:

"مطلوب للعمل من الجنسين ومختلف الأعمار"

أعدت الجريدة للرجل، وقلت لأحزم أمري دون تأخير، يجب عدم إضاعة الوقت. جمعت كل طاقاتي العضلية وهرعت جرياً إلى عنوان الإعلان.

وصلت المكان وسط سوق المدينة التجاري. كان البناء عالياً مؤلفاً من عدة طوابق، والمكان الطابق الخامس. لم أستخدم المصعد الكهربائي كل أيام حياتي، لأني لا أحب التكنولوجيا الحديثة، أو خوفي من أن يوبخني أحدهم من جراء الضغط على أزرار المصعد دون تمييز وإدراك.

صعدت الدرج على قدماي بسرعة كبيرة، وعندما وصلت الطابق الخامس انهارت قواي فجلست على حافة الدرج، الغرفة رقم ١٨ كانت مقابل الغرفة التي سأجد فيها العمل.

شاهدت أشخاصاً يدخلون ويخرجون منها. الداخلون سعداء، والخارجون غاضبون، وجوههم عابسة وألسنتهم تقذف بآلاف الشتائم. بعد استراحة قصيرة، وجدت نفسي قد استرجعت حيوتي ونشاطي. دخلت الغرفة رقم ١٨، فقلت لأول شخص شاهدته خلف الطاولة:

- لقد قرأت إعلاناً في الجريدة..

أشار لي رجل يشبه الحاجب بالدخول والانتظار.

- غرفة الاستقبال مليئة بالكراسي، والجالسون ست نساء، وثمانية رجال، والواقفون خمسة.

سألت أحد الواقفين من المساكين أمثالي:

- يا ترى ما هو العمل؟

أجاب الرجل لا أعلم يا سيدي، فالناس يدخلون حسب أدوارهم. بعضهم يبقى في الداخل عشر دقائق وبعضهم الآخر نصف ساعة، وبعضهم يتوجهون للخارج وهم يصرخون بأعلى أصواتهم.

قبل أن يكمل الرجل حديثه، فُتح باب الاستقبال نحو الداخل، وخرج منه

رجلٍ بدين يتصبب عرقاً، ووجهه أحمر كالبندورة وهو يصرخ ويكيل الشتائم قائلاً:

أناس بلا وجدان، منحطّون، أرزال...

قلت في نفسي: ربما غضب الرجل لأنهم لم يقبلوه في العمل.

قال الرجل الواقف بجانبي: الجميع يخرجون بهذه العصبية والصراخ والشتائم. ثم سأل الحاجب بصوت مرتفع: لمن الدور الآن؟

تحركت امرأة من داخل الحضور، وقد ازدانت بالحلي والماكياج، وفاحت رائحة جسمها من العطور. وقالت: الدور لي.. ودخلت الغرفة وهي ترفل بمشيتها.

سألتُ أحد الواقفين في صف الانتظار أمثالي:

– ماذا يفعلون في الداخل يا ترى؟

– أجاب: أعتقد أنهم يمتحنوهم.

حاولت إعادة ما تعلمته في المدرسة من معلومات.. التاريخ والجغرافيا لا علاقة لهما هنا لأنها أسئلة معروفة، من منا لا يعرف تاريخ بلده وحدودها؟ والمكان هنا تجاري فالامتحان سيكون في الحساب. راجعت جدول الضرب في ذاكرتي، وكيفية حساب الفائدة، وبينما كنت مستغرقاً في التفكير، وإذ بصراخ المرأةيصدر من داخل الغرفة ويملأ صالة الانتظار. وبعد برهة قصيرة خرجت المرأة وهي تموج غضباً وسباباً وتصرخ بأعلى صوتها:

– أنتم بلا أخلاق.. أنتم بلا ناموس.. أرزال.. منحطّون..

وكنا نسمع قهقهات الرجال بأصواتهم الثخينة.

قلت: هل فعلوا شيئاً للمرأة يا ترى؟

أجابني أحد الواقفين بجانبي: لا أظن أنهم فعلوا شيئاً. لو فعلوا لما صرخت هكذا، ولكني أعتقد أنهم سألوها سؤالاً صعباً.

وقال أحد الشباب الواقفين بجانبي أيضاً: نعم: الظاهر أن المرأة لم تستطع الإجابة.

وقال رجل آخر: الرجال يصرخون أيضاً يا أخي..!

سأل الحاجب: لمن الدور الآن؟

نهض الشاب الذي تكلّم لتوّه ودخل الغرفة. أما أنا فعدت لتشغيل ذاكرتي بالحسابات المدرسية. كنت قد بدأت بحساب الفائدة المركبة، وإذا بالشاب يخرج من الغرفة كالسهم، ويلقي بنفسه على الدرج وهو يصيح: ما نوعية العمل؟

قال أحد الواقفين بجانبي: هذا الشاب لم يستطع المقاومة أكثر من المرأة.

بعد دخولي غرفة الانتظار.. دخل أربعة أشخاص وأخذوا أماكنهم للدخول إلى الامتحان. دخل أحدهم الغرفة وظل أكثر من عشر دقائق.. خرج وهو يتصبب ماءً وقد احمرَّ وجهه واتجه كالسهم نحو الباب وهو يصرخ، ويشتم، ويكيل السباب والشتائم..

مسكت الحاجب الذي حاول العودة للداخل وسألته:

– ماذا يفعلون بالذين يدخلون الغرفة؟

أجاب: إنهم يجربون..! وانصرف مسرعاً.

ثمة رجل وامرأة عجوزين، كانا قد قذفا أنفسهما إلى الخارج وهما يصرخان ويشتمان، لدرجة تدرك من خلالها أنهما أنقذا نفسيهما من الموت. وفي كل مرة كنت أسمع قهقهة الموجودين في الداخل لحظة فتح الباب. كنت

أشعر بالسعادة تملأ قلبي عندما كان يخرج الداخلون وهم يكيلون السباب والشتائم، معنى ذلك أنهم لم يقبلوهم في العمل. ومن جهة ثانية كنت أشعر بالخوف ينساب في جسمي وأحس بقشعريرة يقف لها شعري. تساءلت:

ما نوع التجربة التي يتعرضون لها؟ هنا بدأت أخاف حقاً، ولولا أنني بقيت جائعاً دون طعام لعدة أيام، لكنت تركت العمل والتجربة "الامتحان" وخرجت. وبما أني على أمل إيجاد العمل كنت أنتظر دوري خائفاً.

خرج عجوز، وكان دوره قبل دوري، وقد أصبح وجهه كالحاً كالرماد، لم يبق لديه طاقة للسباب والشتائم كالآخرين.

سأل الحاجب: لمن الدور الآن؟

لزمت الهدوء والصمت وكأن الأمر لا يعنيني... هزّني الرجل الواقف خلفي.. وقال: هيا يا أخ الدور لك.

قلت له: تفضلوا أنتم.. أنا لست مستعجلاً.

أجاب: أنا لا آخذ دور أحد هكذا تربينا وهكذا تعلمنا عندما نذهب لدوائر الدولة، فيجب الوقوف في الطابور بكل احترام وأدب...

/العكروت/.. بدأ يحكي بالمثاليات.. لو كنا في الحافلة أو الباص لما أظهر هذه اللباقة والكياسة كان قد حملني على كتفه وألقى بي بعيداً عن باب الحافلة.

- أرجوكم تفضلوا إنه دوركم..

- لا والله أنتم تفضلوا قبلي..

دفعني الحاجب إلى الداخل وأغلق الباب.. وبدأت بالدعاء إلى الله من أعماقي:

"أيها الإله العظيم لا تخجلني.. أنا عبدك المطيع.. أعطني من لدنك القوة.. خذ بيدي لأنجح بالتي يسمونها التجربة.. دعني أمرُّ بسلام وأنجح لأعمل ما يضمن لي حياتي ويسترني من الفاقة والعوز".

عندما دخلت الغرفة شعرت أن غمامة غطت عيناي، فلم أعد أرى أمامي.. ربما من الجوع.. أو من الخوف. المكان الذي دخلت إليه كبير وفخم، تزينه ثريا كبيرة في السقف ومكتب كبير مرصع بما يشبه الفسيفساء. وحول المكتب مجموعة من المقاعد الفخمة، يملؤها رجال ضخام الأجسام وعددهم حوالي العشرة. كان الرجال ما زالوا يضحكون على الرجل الذي خرج لتوِّه من عندهم، ويمسحون أعينهم بمناديلهم من شدة الضحك. وبما أنهم بدينون، فالضحك يناسبهم جداً لأنهم من فئات البورجوازية المترفة.وقفت أمام الرجل البدين الجالس خلف المنضدة الكبيرة المغطاة بلوح من الزجاج، بادرني على الفور بالسؤال التالي:

– هل تحبون المزاح؟

ما هو الجواب اللازم المقنع له لانجح في الامتحان وأستلم العمل؟ وبنظرة سريعة وخاطفة تفحصت الجالسين، ويا للعجب!! لا أحد يشبهني. جميعهم يرتدون أطقماً من الجوخ الغالي الثمن والمستورد، وجميعهم بدينون، يطفح الدم من وجوههم. عرفت من مظهرهم أنهم يحبون المزاح.. فكرت وأجبت وعلى فمي ابتسامة قسرية:

– بكل تأكيد أحب المزاح يا سيدي.. والمزاح الكبير، وهل هناك شخص لا يحب المزاح.

– بما أنك تحب المزاح كثيراً، اجلس على هذا الكرسي الدوَّار.

كنت جائعاً ومُتعباً جداً. كدت أرمي بنفسي على الكرسي، إلا أن الأدب

والاحترام منعاني من ذلك. وقلت:

- الأفضل أن أظل واقفاً يا سيدي!.

- لا أبداً.. بما أنك تحب المزاح كثيراً، فعليك بالجلوس على الكرسي.

لم أجد علاقة تربط المزاح بالجلوس على الكرسي، ومن أجل إطاعتهم جلست وأنا أشكرهم.. /شكراً لكم يا سيدي/.

- لا.. لا.. ليس على هذا الكرسي بل على تلك.

جلست على الكرسي التي أشار إليها.

- قال: الجميع هنا يحبون المزاح.

- هذا جميل جداً يا سيدي، وأنا أيضاً أحب المزاح كثيراً.

بدأ الرجل يسألني من جميع الاتجاهات، وكنت أحاول الإجابة على كل شيء بهدوء واحترام واختصار. شعرت وأنا أجيب على الأسئلة أنه بدأ يحصل لي شيء ما. /عفواً/ ثمة حرارة كبست مؤخرتي، هذا غير ممكن أبداً.. الحرارة تزداد شيئاً فشيئاً. ما أعرفه ن المريض تأتيه الحرارة من رأسه أو بطنه وليس من مؤخرته. بدأت أتحرك يميناً ويساراً لأخفف الحرارة.. كل ذلك لم يجد نفعاً. وكانت ضحكاتهم تتزايد عند كل حركة مني. الرجال يحبون المزاح أصلاً ولكن حالتي ليست من الحالات المضحكة.

كنت أتألم كثيراً ومع ذلك كنت أضحك لضحكهم. ثمة حرارة تأتي من مقدمتي تكاد تلهبني.

قال الرجل خلف المنضدة:

- ماذا حصل لكم؟ هل أنتم غير مرتاحين؟

إذا قلت: أنا مريض عندئذ يرفضني من العمل. لأجل ذلك أجبته: لا أنا

على ما يرام. وصحتي ممتازة كالفحل.

- لماذا تتحرك وتتمايل طالما أنك مسرور جداً؟

بينما الرجال يضحكون بشدة. قلت في نفسي: يجب أن أجد سبباً للوقوف. قلت:

- اسمحوا لي بالوقوف قليلاً على قدمي، فأنا مريض بالباسور ولا أستطيع الجلوس على المقعد طويلاً. كانوا على وشك السقوط على الأرض من شدة الضحك. وعندها بدأ العرق يتصبب من أنحاء جسمي. مسحت العرق المنهمر على جبهتي بأكمام سترتي ثم وقفت على قدماي. كنت على وشك الصراخ في وجوههم. "لماذا تضحكون هكذا دائماً" عدت مباشرة إلى رشدي.. هؤلاء الرجال يحبون المزاح... ربما لا يقبلونني في العمل إذا ثارت عصبيتي عليهم.

ضغط الرجل الجالس خلف المنضدة على زر الجرس.. أسرع الحاجب وقال: نعم سيدي.

- أحضر للسيد كأساً من الشاي.

فرحت لهذا الأمر.. نعم لقد نلت إعجابهم. كانت أمعائي تقرقع من الجوع. إذا شربت الشاي الساخن يسكن الجوع قليلاً.

أحضر الحاجب الشاي وكنت واقفاً على قدماي. حملت الكأس بيدي، وتناولت قطعتين من السكر ووضعتهما في الكأس.. وإذا بالشاي تنفجر وتتطاير ناشرة في الهواء مجموعات من الفقاقيع...

أصابتني الدهشة والخوف.. وألقيت الكأس على الأرض بسرعة، لقد امتلأت ثيابي بالشاي والرغوة، كما احترقت يداي.

سقط الرجال على الأرض من شدة الضحك، والحقيقية أني لم أكن في حالة تستحق الضحك. قال أحدهم وهو يضحك: هيا افتح الباب المقابل.. ستجد فوق المنضدة ملفاً.. أحضره إلينا.

فتحت الباب الذي أشار له الرجل. لا شيء فوق المنضدة.. أبحث هنا وهناك.. إذا قلت لا يوجد شيء يأخذون عني فكرة بأني كسول وأبله..

يا الله.. ماذا أفعل؟

قلت وأنا أرتجف من شدة الخوف: لا شيء هنا يا سيدي.

قال أحدهم وهو يضحك: تعال.. الملف هنا.

وبينما كنت عائداً إليهم من الغرفة، وإذا بالرجل يصرخ بأعلى صوته:

- لقد تركت الباب مفتوحاً.. أمان.. هيا أغلقه حالاً.

أغلقت الباب.. وبدأ رجل آخر باستجوابي.. لم أستطع إجابته، لأن موجة من العطس أصابتني.. يا الله.. السلبيات تأتي إليَّ دفعة واحدة!

- ما اسمك؟..

- اسمي.. هاب.. هاب... هاب.. شو... محمـ.. محـ... محمـ... هاب... هاب شو. اسمي محمد... شو

-بدأ الرجال يتدحرجون على الأرض من شدة الضحك.. ما هذه المصائب التي تأتيني؟

لا أدري ماذا أقول: بعد أربعين عاماً أجد عملاً. ماذا يحصل.. مؤخرتي احترقت.. الشاي بللت ثيابي.. عطست عدة مرات..

- كم عمرك؟

أر.. أر.. أر ها بشو.. واحد وأربعون.. ها بشو.."

كانوا على وشك أن يختنقوا من الضحك.

قال أحدهم: في المقابل حنفية ماء.. هيا اذهب واغسل وجهك.

عندما غسلت وجهي شعرت بالراحة بعض الشيء. توقف العطاس ولكن عيناي ما زالتا تدمعان. ليس دمعاً من العطاس بل بدأت أبكي بكاء حاداً وقوياً. لم يحصل هذا معي أبداً في السابق؟ هل من الجوع؟!.. لا أعرف.. لقد أصبحت مهرجاً أمام الرجال، مرة أعطس، ومرة أبكي.. هل يقبلون للعمل إنساناً على شاكلتي..؟"

- لماذا تبكي؟!.

- أنا.. لا.. لا أدري.. ربما تذكرت المرحومة والدتي.

يضحكون.. ويضحكون بشكل مثير.. وأنا أعود للبكاء وبصوت مرتفع.

أخرج أحدهم زجاجة عطر وقال:

- هيا شم هذا العطر فترتاح..

أخذت نفساً طويلاً من العطر الذي صبّه الرجل في كفي.. أوه... أوه...

ربما هذا عطر للأعصاب.. ارتحت كثيراً.. أنا غير طبيعي هذا اليوم.

في هذه المرة أصابتني شردقة.. هق.. هق.. هق... لا بدّ أنهم سيقولون عني مجنوناً..لماذا لا يطردوني؟ لا أعرف لماذا؟

- ماذا كنت تفعل؟

- هق... هق... دهاناً.. هق...

عادوا للضحك والصراخ.. أمان يكفي... اسكت.. إنهم يموتون من

الضحك..

- هل تفتح هذا الدولاب؟ نعم..

بينما كنت أفتح الدولاب.. حصل انفجار كبير.. ومن شدة خوفي تدحرجت على الأرض. هكذا تحصل الأضداد.. لن يقبلوني في العمل بعد الآن. سأقضي على هؤلاء الرجال بالصراخ والعويل.

نفخ أحد الرجال وهو أكثرهم بدانة شيئاً ما باتجاهي. سألني وهويضحك:

- لماذا تحك جسمك؟

- والله أنا نظيف... بالأمس اغتسلت.. ولكن من أين جاءتني هذه الحكة.. لا أعرف. إذا قلت أن هذا برغوثاً.. البرغوث يدخل منطقة معينة من جسم الإنسان، ومعنى ذلك أن جسمي امتلأ بالبراغيث.. هارت.. هارت... هارت...

سألني أكبرهم سناً: إلى أين وصلتم في دراستكم؟

- لقد تخرجت من كلية الآداب.

اقترب مني وهمس في أذني وقال: قل بسرعة وبصوت عال أنا لا أسمع كثيراً. كنت أحترم وأقدّر الذين لا يسمعون كثيراً، فصرخت وأنا أحك جسدي:

- تخرجت من كلية الآداب..

اسندت فمي إلى جهاز الصم وأنا أصرخ.. وإذا بتيار من الماء يندفع من الجهاز ويصيب وجهي.. أصابتني الدهشة والحيرة..

سقطت على الأرض مغمياً عليَّ. هذا ليس مكتباً.. هذا منزل ساحر.. بدأت عيناي تذبلان من الجوع وكدت أغيب عن الوعي. كذلك سقط

الآخرون على الأرض من شدة الضحك. وتدحرجوا كالمصابين بالصرع. وبعد فترة وجيزة نهضوا عن الأرض وكأن شيئاً لم يكن. لم يضحكوا، التزموا الصمت، لقد أصبحوا رجال أعمال جدّيون لا مزاح ولا غيره. قال أحدهم:

- عفارم عليك... لقد تحملت وقاومت جيداً. أربعون رجلاً دخلوا علينا ولم يقاوم أحدهم مثلك. حتى أن هناك من هرب من التجربة الأولى.

- لم أفهم يا سيدي.. ما الذي قاومته؟

- شركة أمريكية صنعت أدوات للمزاح، وعرضت علينا مشاركتها، لنشتري منها وأرسلت بعض هذه الأدوات التي تستعمل في المزاح.

- نعم..!؟- بعض أنواع المزاح يكون ثقيلاً.. وأحياناً يكون خطيراً، لهذا السبب أردنا القيام بالتجارب قبل شراء هذه الأدوات المزاحية.

ثم بدأت المناقشة بينهم.

- يقال أنه يوجد في أمريكا أكثر من عشر آلاف مخزن يتسع لمثل هذه الأدوات.

- نعم.. نعم.. ويقال أيضاً أنهم يحققون أرباحاً أكثر من عشرين مليون دولار سنوياً.

- سيكون البيع ممتازاً عندنا وكما أوضحت التجربة، فإن أيّاً من هذه الأدوات لا يشكل أي نوع من الخطر.

- إن المعمل يعرض علينا أكثر من خمسين نوعاً.

- لنطلب من المعامل الأخرى. ففي هذا المعمل نحقق أرباحاً طائلة لأن شعبنا أكثر مزاحاً من الشعب الأمريكي. نحن شعب نحب المزاح.

قال أكبرهم سناً موجهاً كلامه للكاتب الذي يدوّن محاضر المقابلات:

- اكتب، ألفان من الألواح الكهربائية التي توضع على الكراسي، خمسة آلاف علبة من غبار الحك. خمسمائة صندوق عطر (كولونيا)، خمسة آلاف جهاز للصم، عشرون ألفاً من زجاجات الماء المسيل للدموع، خمسة أطنان من السكر المطحون، ثلاثون ألف كبسولة انفجار، وأكد عليهم إرسال هذه الكميات بالسرعة الكلية.

لا بدَّ أنهم وافقوا على قبولي في العمل لأني أعجبتهم، وخاصة بقابليتي للاحتمال.

كانوا قد نسوا أمري وأني مازلت واقفاً أمامهم. قلت لصاحب الأسئلة الكثيرة:

- هل قُبلت في العمل عندكم يا سيدي؟

- ها ها.. لقد نسيتك. أنت الذي خرجت من المتقدمين للعمل أكثر احتمالاً وجدية.. لقد قبلناك لتعمل عندنا. ثم التفت إلى كاتبه وقال: اطلب من المحاسب منح هذا الرجل ليرتين ونصف. ثم التفت نحوي وقال:

- إن شركتنا ستقوم باستيراد هذه المواد المزاحية من أمريكا. تأتي في الأول من كل شهر أو اليوم الثالث منه لنقوم بتجارب الأدوات عليك، ثم تأخذ ليرتان ونصف وتذهب. لا تنسَ في الثالث من كل شهر، وإذا صادف ذلك اليوم عطلة، فعليك الحضور في اليوم التالي.

ضحكت.. هيه... هيه.. ثم ضحك هو الآخر.. بالطبع أنتم تحبون المزاح كثيراً.. وأنا أحب المزاح أيضاً.

كنت أضحك، رغم أنني أتضوَّر جوعاً. وجمعت طاقتي وجذبت الرجل إليَّ بقوة، وناولته لكمة قوية بقبضة يدي، تراجع على أثرها خطوات إلى

الخلف، وسقط على الأرض والدم ينزف من أنفه.

دُهش الآخرون... ونظرت إليهم وقلت:

- لقد عملت معكم مزحة صغيرة!!

قال الرجل المسجى على الأرض: ليس المزاح بهذا الشكل، هذه مزحة حمار.

- ماذا سنفعل نحن الفقراء.. بهاتين الليرتين ونصف وهما راتبي الشهري. لا أستطيع شراء ملزمة واحدة للمزحة، ألا يحق لنا المزاح دون آلة. هكذا يكون المزاح...

خرجت من القاعة، وأغلقت الباب خلفي بالقوة، وذهبت إلى منزلي. وكتبت في نهاية دفتر مذكراتي المخصص لفلسفة الحياة هذه العبارة:

"الحياة مزحة لمرة واحدة".

- ٥ -

عرق الجبين

كان آخر لقاء بيننا منذ أكثر من ثلاث سنوات. كان صديقاً بكل معنى الكلمة أحبه وأحترمه، كيف لا أحبه وقد تقاسمت معه الفقر والعوز والسفالة. في تلك الأيام، كنا نأكل كعكة واحدة أو قطعة خبز يابس نبللها بكأس من الشاي. لقد قدَّم لي معطفاً قديماً بالياً. وبما أن بنطالي وسترتي كانا مثقوبين وقديمين جداً، لم أستطع خلع المعطف عن جسمي طيلة ذلك الصيف الشديد الحرارة. العرق يتصبب من جسدي بغزارة وكأن صنبوراً من الماء فُتح فوق المعطف. كان أحد أصدقاء الدراسة قد أعطاني مبلغاً من المال وقال لي يومها "دبِّر حالك" بهذا المبلغ ومقداره ألفي ليرة. وبما أني لا أعرف شيئاً عن العمل الذي يقوم به ذلك الصديق، فقد أبقيت المبلغ معي ولم أتصرف به. كان صديقي يدعي بأنه رجل أعمال كبير، والذين يعرفونه قبلي يقولون عنه الشيء نفسه. قالوا عنه ذات يوم أنه "ملك البورصة السوداء" في استنبول، ويعمل بإمرته أكثر من خمسين رجلاً من رجال البورصة السوداء، ويقدَّر ربحه اليومي بألفي ليرة.

لكن الوقت لم يستمر لصالحه، ودار الدولاب بالعكس، وأصبح لا يملك فلساً واحداً. كان من عادتي ألا أصادق إلا الذين يدور دولابهم بالعكس، أو الذين بلعوا ميراث عائلاتهم وأصبحوا على قارعة الطريق لا يملكون شيئاً... كنت أبحث عن أمثال هؤلاء وأصادقهم.

وفي الوقت الذي تعرفت فيه على صديقي، كان قد أعلن إفلاسه أكثر من

عشر مرات، فإذا طالب أحد مدينيه بدفع ما عليه، تعـرَّض للضـرب والطـرد. ومع كل هذا لم يفقد أمله في أنه سيصبح ذات يوم غنياً.

إذا قلب الدهر ظهره إلى شخص ما.. فإن النحس يلاحقـه طـوال حياتـه. حتى ذلك المبلـغ الـذي قدمـه لي صديقـي في الدراسـة قدمتـه لـه ولكـن دون فائدة.. بقي هكذا حائراً، لم أقل له أنت فاشل وستبقى فاشلاً طوال حيـاتك، ورغم هذا لم ينقص من صداقته وحبه لي أبداً.

أما المبلغ الذي أخذته من صديقي فقـد أعدتـه لـه تقسـيطاً بقـدر جهـدي وطاقتي.

تعرضت صداقتنا لامتحانات صعبة وبدأت بالفتور، وافترقنا فلـم أعـد أراه ولا يراني. وبينما كنت أتحدث مع أحد أصدقائي، قادنا الحديث إلى صديقـي الذي هجرته وهجرني.

قال صديقي: لو تراه الآن.. لقد أصبح غنياً جداً.

- هل ما تقوله صحيح.. أكاد لا أصدق.

- أقسم لك با لله، أن دخله اليومي يزيد على ألف ليرة.

- لا يا روحي..

- أصبح يمتلك سيارة فاخرة وسائق خاص.

- كيف حصل ذلك؟

- لقد حصل ما حصل، أقسم لك أن ربحه في بعض الأيام يتجاوز عشـرة آلاف ليرة وذلك باتصال هاتفي بسيط لا يستغرق دقيقتين.

- أظنك يا صديقي تمزح معي؟

- لقد بنى فندقاً ضخماً وعمارة عالية أكثر من عشرة طوابق.

- لا يمكنني أن أصدق ما تقول. منذ ثلاث سنوات كان لا يملك فلساً واحداً، فكيف حصل ما هو عليه الآن؟ أنا أعمل ليل نهار ولا أستطيع دفع ايجار البيت، الذي هو عبارة عن قبو مظلم ورطب لا تدخله الشمس. تابع الرجل حديثه قائلاً: إنه يقوم الآن بتسديد جميع ديونه القديمة المترتبة عليه. تذكرت أني أعطيته ذات يوم مبلغ /٢٠٠٠/ ليرة، عندها كتبت له رسالة شرحت له فيها تفاصيل الحساب.

الحمد لله، أنك ذكرت لي ذلك، أرسلت له رجلاً فأرسل لي المبلغ مشكوراً. ثم اتصلنا مع بعضنا بالهاتف:

- قال: لماذا لا تأتي لزيارتنا؟

- أجبته: يا أخي أنا إنسان شؤم، فإذا كنت لا أنفع نفسي، فأنا لا أرغب أن يلحقك الضرر من وجودي وسوء طالعي.

- قديماً كنت تزورني...

- قديماً كنتَ فقيراً مثلي معدوماً، ولا تملك شيئاً...

ألحَّ كثيراً عليَّ بزيارته.. ذهبت إليه فوجدته قد استأجر مكتباً واسعاً يضم خمسة غرف، وكتب على لوحة في مدخل الباب العبارة التالية "مكتب عرق الجبين للاستيراد والتصدير". استقبلني بحرارة، ثم ركبنا سيارته وذهبنا إلى مطعم فخم حيث تناولنا الغذاء.. قال لي: إنه يملك مكتباً آخر للاستيراد والتصدير أطلق عليه اسم "مكتب عرق الجبين التجاري".

- أقسم يا صديقي أني احترت بأمرك.. كيف حصلت على كل ذلك خلال ثلاث سنوات؟

- بعرق الجبين..!!

أشرت لسيارته وقلت: بكم اشتريتها يا ترى؟

- بعرق الجبين..!!

ثم أخذني إلى الفندق الذي يملكه وقد كُتب على بابه "فندق عرق الجبين".

عند المساء اصطحبني معه إلى عمارته الكبرى التي يقوم بإنشائها. لقد أصبحت في حيرة من أمري وأمره.. بناية مؤلفة من عشرة طوابق، ويضم كل طابق شقتين، وكل شقة مؤلفة من ست غرف. عندما نظرت إلى الأعلى رأيت لوحة كبيرة كتب عليها "بناية عرق الجبين". عندها لم أستطع أن أتمالك نفسي فقلت:

- انظر إليّ جيداً، يجب أن تغير أسماء هذه المكاتب والعمارات والفنادق.

- لماذا؟

- هكذا يجب أن تبدلها.

- ماذا أضع؟

- تطلق عليها أسماء جديدة مثل: منزل الإدرار التجاري، فندق الإدرار الكبير، بناية الادرار.

سألني لماذا..

- لأنه من كثرة العمل لا يتساقط العرق من جبيني فقط بل من مؤخرتي. أحترق من الشغل و لم أستطع دفع إيجار المنزل في الوقت المحدد. لو كان جبينك نبعاً، فأنا لا أعرف العرق خلال السنوات الثلاث، إن عرق جبينك هذا ليس عرقاً بل "بولاً". إذا شربت البيرة دون انقطاع فإن هذه الغزارة من العرق لا تتساقط من جبينك في ثلاث سنوات.

تركته دون أن أودعه. كنت لا أزال مديناً له بخمسمائة ليرة، فإذا أرسلت له رجلاً فهل يدفعهم يا ترى؟ وإذا لم يدفعهم فماذا أصنع، سأحترق حتماً، لأنه من أين لي أن أحصل على خمسمائة ليرة يجب أن أكتب خمسين مقالة أو كتاباً كهذا ويعني أن العرق سيتصبب من جبيني ومؤخرتي.

- ٦ -

يا لها من دولة جميلة

عزمت دولتان جارتان على توقيع اتفاقيـة تجارية بينهمـا. ولهذا السبب توجهت هيئة من دولة جارة إلى أخرى للتوقيع على الاتفاقية. كان الوفـد قـد حضر إلى الدولة الثانية. أما رئيسها فكانت مهمته كتابة التقارير اليوميـة عـن الدولة المضيفة وإرسالها لدولته.

في الأسفل ستجدون هذه التقارير.

في الثالث من آذار عندما نزلنا مـن الطـائرة في المطـار، لم يستقبلنا سـوى موظفي الجمارك. وبدأوا بتفتيش أمتعتنا، ومحافظنا زاوية زاوية.

ومهما قلنا لهم: إن هذا التصرف من قبلكم هو نقض للاتفاق الموقع بيننـا. وأن وفدنا.. وفد تجاري رسمي، ولا يحق لكم أن تفتشوا أغراضنا. فلم نستطع إفهامهم أو توضيح هذا الشيء لهم.

قدمنا لهم أوراقنا.. فلم نحصل على نتيجة. بعد التفتيش احتجزونا سـاعتين في غرفة الانتظار. لم نعـرف كيـف سـنتصرف. لأن أحـداً مـن المسـؤولين لم يأت. في الوقت الذي بدأنا فيـه بـالبحث عـن فنـدق نقضـي فيـه ليلتنـا، وإذا بمجموعة كبيرة من الأشخاص حضروا لاستقبالنا ويقـدر عددهـم بـأكثر مـن خمسمائة شخص. قال رئيس المستقبلين:

- لقد علمنا أنكم ستأتون عن طريق البحر.. ومنذ الصباح البـاكر ونحـن ننتظركم في الميناء.

أجبته: الظاهر أنكم تحبون المزاح.

لا يعقل أن يكون الرئيس لا يعرف. بعدم وجود طريق بحري بيننا وبينهم. شكونا لهم عن تصرفات موظفي الجمارك. فاعتذروا بلطف وأدب .

– ظنت الجمارك أنكم مواطنون عاديون.. فقد وردتهم برقية تفيد بأن عصابة من المهربين ستهبط من الطائرة.. وأضاف وهو يبتسم:

– لم يحسبوكم غرباء.. فعاملوكم كمواطنينا.

– شكراً لكم. وقبل سؤالي عن سبب هذا الازدحام على سلم الطائرة قال رئيس المستقبلين:

– لقد استقبلناكم بخمسمائة أو ستمائة شخص فقط. أما المسؤولين الكبار فهم مشغولون جد:

الصحفيون ذهبوا لاستقبال فنانة قادمة من أمريكا، والسيد الوزير في زيارة إعلامية مفاجئة.. ومستشاره في حفل تدشين. والسيد المدير العام سافر إلى موقع إنشاء سد جديد، والسيد المحافظ خرج في مهمة تفتيش السوق والبازار.. ومدير التشريفات يودع وفداً اقتصادياً هاماً.

أما مدير المراسلات والمدير الإداري الحقوقي.. فقد أحيلا إلى المعاش هذا الصباح، ورئيس الديوان في إجازة خاصة، ونائب المدير العام استقال من منصبه لأسباب صحية. لم يبقَ سوانا، ولهذا جئنا إلى استقبالكم مع هذا العدد الصغير. وإلا كنا استقبلناكم بأكثر من عشرين ألفاً.

سألته: ومن تكونوا سعادتكم؟

– أنا وكيل نائب سكرتير وكيل المعاون الأول لمستشار.. معاون مستشار الوزير.. إذا لم أوضع تحت تصرف الوزارة. وإذا لم يرغمني أحد على أخذ

إجازة رسمية. وإذا لم أكلف بعمل ضروري. وإذا لم أُعفَ من مهمتي. فأنـا في هذه الدقيقة مشغول بهذا العمل.

قال الشخص ونحن نركب السيارات:

- كنا قد جهزنا مراسيم الاستقبال في الميناء. هيا نذهب معاً إلى الساحل. لنقيم مراسم الاستقبال. ثم تأخذون قسطاً من الراحة.

نزلنا من السيارات في السـاحل. ولكـي نصـل إلى اليخـت داخـل البحـر، ركبنا الزوارق. حيث أن اليخت لا يستطيع الاقتراب من الميناء. ولدى اقترابنا منه تحرك اليخـت نحونـا فاستقبلتنا مجموعـة مـن المراكـب المزدانـة بـالأعلام. وأطلقت المدفعية الساحلية إحدى وأربعـين طلقـة. عدنـا بعدهـا إلى السـاحل فاستقبلتنا على الرصيف مجموعة من الفتيات الصغـيرات لا تتجـاوز أعمـارهن من ٢٠-٢٥ سنة وقدمن باقات من الورود والزهور.

سرنا تحت أقواس مزدانة بأغصان ديس المكنسة وأعشـاب أخـرى جميلـة، كتبت عليها عبارات الترحيب /أهلاً بكـم/ ثـم نحـرت بعـض الخـراف علـى أقدامنا. وعندما مررنا من أمـام /البـاندونغ/ انهـال المصـورون لأخـذ الصـور التذكارية. ووصلنـا الاسـتراحة المعـدة لنـا وسـط الهتافـات المدويـة والتصفيـق الحار.

في الرابع من آذار أقمنا في الفندق تحت ضغط الصحفيين الذين التقطوا لنا صوراً في أوضاع مختلفة مع المستقبلين، وسألونا كيف وجدتم بلادنا؟

ونحن كما نقول عندما نزور دولة نامية أو متخلفة:

- إنه بلدٌ رائع.. فوق العادة.. كالجنة. لقـد ذهلـت مـن تطـور بلادكـم. هناك دروس كثيرة نستطيع أن نأخذها منكم.

سألني أحد الصحفيين: ما هو الشيء الذي أعجبكم أكثر في بلدنا؟
وبما أنني كنت أعرف الجواب الذي يرضيهم ويفرحهم قلت لهم:
- لقد أعجبنا كبابكم ومحاشيكم وبقلاوتكم.
في الوقت الذي بدأ فيه الصحفيون يغادرون المكان وإذا بأحدهم يسألني:
- ماذا تلعبون؟
- لا أحب اللعب.
نظر في وجهي بحيرة وتعجب
قلت: أقول لكم بكل جدية لم ألعب أبداً في حياتي.
ثم التفت إلى أحد أعضاء الوفد وسأله:
- أين تلعبون أنتم؟
وعندما أجابهم نفس جوابي التفت إلى ثالث وسأله:
- من الذي سيلعب في المباراة؟
قال: أية مباراة؟
- ألستم فريق كرة القدم الذي سيلعب ضدنا؟
لم أر في حياتي أناساً يمزحون كهؤلاء.
قال أحد الصحفيين الموجودين:
- لا يا روحي هؤلاء ليسوا لاعبي كرة قدم. هؤلاء فريق المصارعة الذي حضر إلينا من /موناكو/.
وقال صحفي آخر:
- لا.. لا.. ألا ترون وجوههم. هؤلاء بالتأكيد جماعة من الفنانين

حضروا من هونولولو.

عندما قلنا للصحفيين إننا وفد تجاري رسمي: صرخوا في وجوهنا قائلين:

- إذا كنتم كذلك لماذا تعذبوننا من الصباح حتى المساء معكم.

طبعاً قدَّمنا اعتذارنا لهم.

في الخامس من آذار كانت مأدبة العشاء ليلة البارحة حافلة وكنا في غاية من السعادة والسرور.

وقف أحد المدعوين إلى المأدبة وخطب بالموجودين، وتحدث عن العلاقات القائمة بين البلدين.. الثقافية والتجارية والتاريخية و/الكوزمورافيا/ والكيميائية والعلاقات الحسابية وعن وحدة المصير بينهما. ورفع كأسه ليشرب نخب صداقتنا. وبينما رُفعت الأقداح في الهواء، انقطع التيار الكهرباءئي فجأة. وبعد إشارة تعجب وحيرة قصيرة، أسرع الجميع نحو الخارج. احترنا بما أصابنا. كانوا يهتفون /كونتاك -كونتاك/ (تماس كهربائي) في بداية الأمر، ظننت أن هذه اللعبة من عادات البلد وأنهم يعملون مفاجأة ومزحة للضيوف.

بعد قليل أشعلت المصابيح، وتحدث شخص بنبرة ناعمة وقال:

- أعتذر منكم جداً..حسبنا أن /كونتاكاً/ تماساً كهربائياً قد حصل. وهذا ما يحصل عندنا من وقت إلى آخر والشيء الذي حصل لتوه لم يكن ماساً (كونتاكاً).

سألته: وما هذا الشيء؟

قال: في هذه المرة أصيب مفتاح الأمان.

عدنا ثانية إلى الطعام والشراب. فانطفأت المصابيح ثانية. حصل ارتباك جديد، أسرع البعض خارجاً والباقون كانوا يتدافعون للخروج. قبضت على

أحدهم في الظلام وسألته:

- هل هذا كونتاك؟ أم أن مفتاح الأمان قد تعطل؟

قال: لا هذا ولا ذاك. انقطع التيار.

- وكم من الوقت يبقى؟

- لا أحد يعرف.. بعض الأحيان يدوم طويلاً، وبعض الأحيان يتم تصليحه في ساعتين أو ثلاث.

ما يسرُ المرء كثيراً هو أن مواطني هذا البلد يحتاطون لكل شيء أحضروا مصابيح الغاز والشمعات. ولكن مصابيح الغاز كانت فارغة. وبينما هم يشعلون الشمعات الموجودة في الشمعدان. عاد التيار الكهربائي للعمل.

في السادس من آذار أقاموا احتفالاً فنياً كبيراً على شرفنا. عزفت الموسيقى، وغنى المطربون، كنا في غاية السرور.

١١ آذار

بالأمس زرنا المتاحف والقبور. واليوم قمنا بزيارة المعامل التي أنشأت حديثاً. وغداً سنقوم بزيارة للمدينة ومعالمها. لم يتحدثوا ولو بكلمة واحدة عن التجارة والاقتصاد. ونحن بدورنا لم نفتح فمنا حول الموضوع عسى أن يكون ذلك عيباً. ربما لهم برنامجهم الخاص.

١٦ آذار.

الحقيقة لا أستطيع أن أعطي قراراً بيني وبين نفسي. هل أذكرهم أننا وفد تجاري ليس إلا. وهل يكون هذا لائقاً أم غير لائق. أنتظر أوامركم من هناك. في الليلة الماضية أقيمت مأدبة عشاءٌ فاخرة ثانية على شرفنا، وسهرنا حتى الصباح. اليوم سيأخذوننا إلى المدارس وفي المساء إلى مأدبة أخرى.

١٩ آذار

ليلة البارحة وبعد منتصف الليل ذهبنا إلى المكان المسمى /سولوكولا/ وبرفقتنا ستٌّ وعشرون سيارةً. سهرنا حتى الصباح. أكتب لكم هذا التقرير وأنا أشعر بدوار من قلة النوم.

٢٠ آذار

ساورتني الشكوك بأن هؤلاء الناس يستغلوننا. يقدمون لنا الطعام بعد الطعام والشراب والزيارات واللهو والتعب. حتى تذهب قوانا. عندها نجلس على طاولة المفاوضات ويفرضوا علينا شروطهم. ولكني كنت مخطئاً. أصبح لنا هنا ثلاثة أسابيع دون أن يفتح أحد فمه بالمفاوضات.

٣٠ آذار

في هذا اليوم سألت المدير العام عن موعد توقيع الاتفاقيات، قال لي بدهشة:

- أي اتفاقات؟

قلت: الاتفاق التجاري.

عندها ازدادت دهشته. أوضحت له الأمر. عندها قال:

- نعم.. نعم.. أنتم وفد تجاري أليس كذلك؟ نعم. لقد اختلط الأمر علينا حسبناكم وفداً لتقدير حجم الإعانة والمساعدة لبلدنا.

مأدبة عشاء أخرى ستقام هذا المساء على شرفنا.

١ نيسان

ليلة البارحة ثمل ثلاثة أشخاص من وفدنا. وتعلمنا رقصاتهم (الزيبق- جيفتانيللي) /رقصات شعبية مشهورة/ في المآدب التي أقيمت من أجلنا وعلى

شرفنا. نهز كروشنا، ونقفز. ذكرتهم ثانية بالاتفاق التجاري.

قالوا: هذا سهل جداً. نحن سنبيع لكم البلوط والتبغ والقطن والبندق وسنشتري منكم القهوة.

قلنا: لا يوجد قهوة في بلدنا.

قالوا: إذا كان هكذا نشتري منكم القمح.

قلنا: اشترينا منكم القمح قبل ستة أشهر.

قالوا: وهل في هذا ضرر.. تبيعون الفائض لنا ثانية.

هؤلاء الناس يحبون المزاح كثيراً.

في اليوم التالي ظهرت صورنا في الجرائد. في أسفل الصورة كتبت هذه الكلمات: (لقد تم عقد اتفاق تجاري كبير مع البلد الجار الصديق. قدَّموا لنا قرضاً بقيمة خمسمائة مليون دولار وسيرسلون بهذا القرض أحمر الشفاه - zip zip - مسامير نضوة للحمير-وبلاستيك للمحراث البلدي.

٢٠ نيسان

طلبنا الأذن منهم بالعودة. ولكن الوفد التجاري اعتاد على هواء هذا البلد بشكل كبير بحيث لا نستطيع مغادرته. نأكل.. ونشرب.. ونلهو.. ونرقص.

ولهذا فإننا جميعاً قررنا تبديل أصلنا، وجنسيتنا، وبلدنا، والبقاء هنا في هذا البلد الجميل.

مع فائق الاحترام.

- ٧ -

الوجهاء

بلدة /ك/ هي بلدة نائية تقع في إحدى الولايات الشرقية التركية، شتاؤها طويل يدوم من ستة إلى سبعة أشهر، مع استمرار هطول الأمطار والثلوج وهبوب العواصف والبرد القارس، وهذا ما يطلقون عليه اسم الشتاء الأسود.

في أحد الأيام، دعا الحزب الحاكم أعضاء هيئته التنفيذية إلى اجتماع هام يعقد في مركز قيادته، وبعد مشاورات ومناقشات حامية استغرقت ساعات طويلة، قررَّ إصدار تعميم يصل إلى أصغر خلية حزبية في جميع أنحاء البلاد.

عندما شرع رئيس شعبة بلدة /ك/ للحزب بقراءة التعميم، بدأت يداه بالرجفان والورقة بالاهتزاز، والقلب بالخفقان الشديد، وكأن مسؤولاً كبيراً في حزبه سيفتح الباب ويحضر الاجتماع.

قال رئيس الشعبة وهو يحاول التقاط أنفاسه، موجهاً كلامه للسيد حسني أفندي أحد أعضاء الهيئة ومختار /محلة طاش/ وصاحب فندق /بالاس مودرن/.

قال السيد حسني لرفاقه المجتمعين: لنقرأ هذه الرسالة أولاً.

بدأ السيد حسني /الفندقجي/ بقراءة التعميم.

قاطعه رئيس البلدية السيد حيدر وقال: إنهم يقدِّمون.

فهمت ما يقصده، نعم إنهم يقدمون، لأن المركز سأل عن بعض الأمور ويريد الجواب عليها. الأجوبة يجب أن تكون على الشكل التالي وبالتحديد.

١- إن الأعضاء المسجلين في الحزب في بلدتنا يربو عددهم على خمسة

آلاف شخص. وكلهم يقدِّمون أرواحهم ودماءهم فداء للحزب، إذا طُلب منهم ذلك.

٢- إن أوامركم على الرأس والعين، ومع هذا نحن مستعدون يومياً على إقامة استقبال شعبي منقطع النظير، وبالذهاب لمحطة الركاب يومياً مع أطفال المدارس الابتدائية بثيابهم الجميلة والنظيفة. ونحن مستعدون لارسال وفود لمخاتير القرى التابعة لنا نطلب منهم الحضور مع جميع سكان قراهم سيراً على الأقدام إلى المحطة.

ونحن على استعداد لمساعدة الجموع التي ستحضر من البلدان المجاورة والتي يقدر عددها بأربعة آلاف. وستكون مساعدتنا لهم إنسانية بحتة.

٣- لقد قمنا بتشكيل فريقين من اللاعبين في بلدتنا، وجمعنا شباب البلدة تحت راية حزبنا.. وهذان الطاقمان جاهزان لإجراء مباراة مثيرة في كرة القدم. حين تشريفكم بلدتنا. ونحن ننتظر تشريفكم كل يوم، ومن ناحية ثانية، فإن مجموعة من الشباب المثقفين منهم والفنانين سيكونون جاهزين يومياً، ليقدموا لسيادتكم العروض المسرحية، والأدبية والدرامية والكوميدية حين تشريفكم ".

أودع الجواب في البريد. وكان الشتاء قد هبط فجأة على المنطقة، أضحت البلدة /ك/ مغمورة بالثلوج في أواسط تشرين الثاني. وهكذا عندما أودع الجواب في البريد كانت الطرق غير مغلقة، ولكن القطار الذي يحمل جواب بلدة /ك/ كان قد توقف في محطة تبعد عن البلدة ٢٣كم. وكان الطريق مغلقاً بسبب تراكم الثلوج. وبقيت كل الرسائل والحوالات في عربة البريد.

وصلت جميع تقارير ورسائل أجوبة جميع فروع الحزب في المحافظات إلى مركز الحزب في أنقرة، عدا رسائل وأجوبة البلدة /ك/. ونظراً لهذا التأخير،

وجَّهت قيادة الحزب من أنقرة رسالة قاسية إلى المسؤول عن الحزب في البلدة (ك). وعندما وُضع كتاب قيادة الحزب في البريد، كانت الطرق قد أغلقت كلياً بالثلوج وبقي كتاب الحزب في عربة القطار.

كان الحزبيون في بلدة /ك/ يتسابقون فيما بينهم، ليظهروا أمام المسؤولين الحزبيين وفاءهم وتمسكهم بحزبهم. كان رئيس شعبة بلدة /ك/ الحزبية ورئيس بلديتها يتوقعان ترشيحهما من قبل الحزب كعضوين في مجلس الأمة. أما مدير المدرسة الإعدادية في البلدة، فقد جهز مع رئيس شعبة الحزب خطاباً استقبالياً، استغرق تحضيره أسبوعاً كاملاً. ومن جهة أخرى وتقديراً لهذه الجهود، كان الجميع يشربون القهوة والشاي على حساب أمين الشعبة، وكان الأخير يجلس يومياً على الطاولة في المقهى تحيط به الجماهير المؤيدة وهو يعب المشروبات الروحية عبّاً. ويحاول بين وقت وآخر، أن يحفظ الخطاب الذي جهزه له مدير الاعدادية لاستقبال كبار المسؤولين الحزبيين حين تشريفهم.

كان المدير يقاطع رئيس الشعبة وهو يقرأ ويقول له:

- ارفع صوتك هنا أكثر.

- اصمت هنا لبضع لحظات، وقم بجولة بأطراف عينيك نحو الجماهير، ابتسم قليلاً.

أما رئيس البلدية فقد كان مشغولاً بتحضير الطعام الفاخر والذبائح. وقد سمع أن صاحب فندق /بالاس مودرن/ حسين أفندي، سيرتدي لباساً خاصاً مميزً في مهرجان الاستقبال. كان يهدف من لباسه المميز الظهور بشكل مختلف عن الجميع. بكل تأكيد إنه رجل غير الرجال الموجودين في الاستقبال، لا شك أن المسؤولين الكبار في الحزب سيثيرهم مظهر هذا الرجل، ويأخذون شكله بعين الاعتبار. ولن يرشحوا للذهاب إلى العاصمة إلا الشخصية

المختلفة عن الآخرين. كان حسني أفندي قد اشترى هذه الثياب في السنوات الأولى للجمهورية. وعندما تم ترشيحه عضواً عاملاً في الحزب في أنقرة. أخرجت زوجته الثياب من الصندوق. وبعد أن نفضت عنها النفتالين (مادة توضع في داخل الثياب كي لا تقترب منها الحشرات) ثم كوته، ولكن الثياب كانت ضيقة جداً على حسني أفندي. القماش كش وحسني أفندي أصبح هشاً.

* * *

كانت قيادة الحزب في أنقرة قد أصيبت بالضيق والانزعاج والحرج. لأن جواب بلدة /ك/ لم يصل إليها. وجَّهت القيادة رسالة ثانية قاسية وعنيفة جداً أودعتها في البريد ورغم ذلك لم يصل الجواب. كان الحزبيون في معظم القرى يتنقلون جماعياً بين الأحزاب الأخرى، لذلك راود الشك القيادة، والحذر من أن تكون بلدة /ك/ قد لعبت مثل هذه اللعبة. ولكي يبعدوا الجو المشحون بالغضب ويلطفوا الجو قليلاً، كتبوا إلى بلدة /ك/ رسالة طلبوا فيها من البلدة أن ترسل وفداً إلى القيادة. كانت هذه العادة متبعة في جميع الأحزاب، عندما تشعر قياداتها أن بعض الأعضاء سيتوجهون إلى أحزاب أخرى. وكان يجري استقبال لهذه الوفود في مراكز القيادات، وعندها تخف هذه الأزمة وتعود الأمور لمجراها الطبيعي. كانت قيادة الحزب تستقبل أعضاء الوفد بكل حفاوة، وتقدم لهم الطعام الفاخر، وتظهر صورهم على صدر صفحات الصحف اليومية، وبذلك يعود رباطهم إلى القيادة، وتعود الأجواء لأحوالها الإعتيادية. وبلدة /ك/ لم تعط جواباً لطلب القيادة بالتوجه إليها، لأن جميع الرسائل تبقى في عربة القطار بسبب تراكم الثلوج على الطريق دون أن تصل.

وبصعوبة بالغة جمعت بلدة /ك/ ثمانية عشر لاعباً من أصل اثنين وعشرين لاعباً للفريقين. كان النقص أربعة لاعبين جرى تعويضهم بموظفين من المحطة

ومعلمين من المحاسبة الخاصة، وموظف من الصحة، أما أكثرية الطاقم فكانوا من الطلاب. مُنح الموظفون المشاركون إجازات نظامية للتدريب، وعندما بلغ أسماع الناس أن اللاعبين يُمنحون أذونات سفر ومهمات وإجازات، بدأت الطلبات تنهال من أجل الدخول في الفريق.

حتى كاتب القائمقام صلاح الدين أفندي، وعمره يتجاوز الخمسين عاماً، قرَّر أن يلعب حارساً للمرمى. أقيم مسرح للشباب على الطابق الأرضي الفارغ للفندق، وكان الاهتمام به شديداً، ولكنهم لم يجدوا فنانات للعمل.

آه لو كان الفصل صيفاً!!

في الصيف كانت بعض الفرق تأتي إلى البلدة تباعاً. فرق الجمباز، فرق موسيقية، العزف على العود والمزمار، وكانت هذه الفرق تضم أعداداً من الفنانات، وعندها من الممكن استئجار بعضهن للعمل في المسرح. ورغم ذلك فقد انصرف التفكير إلى جعل الذكور على شكل إناث، بتغيير ملامحهم باللباس والماكياج، إلا أن أحداً من الذكور لم يتطوع لمثل هذا العمل. وقد استطاع مدير المدرسة أن يجد مدرباً للشباب الذكور، وكان التدريب يجري يومياً.

* * *

ومن الحزبيين البارزين في بلدة /ك/ الجوهراتي السيد رضا الذي قال:

– ولك يا أخي الطرق مقطوعة، وجميع هذه التحضيرات بلا معنى، والقطار لا يغادر المحطة.

قدَّم رئيس الشعبة التعميم الذي وصل إليه قبل شهرين للسيد رضا وقال:

– اقرأ هذا التعميم: يقولون فيه أنهم سيحضرون في وقت قريب. فهل سيكون حضورهم في القطار؟ ربما نستيقظ في أحد الأيام ونجد السيارات وقد

أحاطت البلدة من جميع الاتجاهات. وعندها ماذا سنفعل يا سيد رضا؟

- ولك يا أخي أقول أن الطرق مقطوعة فمن أي طريق سيصلون البلدة؟

- الطريق مقطوعة بالنسبة لي ولك، وإذا كانوا مصممين على الحضور، معنى ذلك أنهم سيحضرون بأي وسيلة كانت. إنهم سيجندون آلاف الجرارات لتمهيد الطريق أمام سياراتهم الكاديلاك.إن موعد حضورهم قريب.

كان طلاب المدارس الابتدائية والاعدادية يتوجهون إلى المحطة يومياً كتدريب على الاستقبال. العشب الأخضر هنا غير موجود في هذا الطقس البارد فما بالكم بالأزهار؟

صنع المدرس في معهد الفنون باقات زهر اصطناعية من الورق الملون، وكانت ابنة القائمقام وعمرها أحد عشر سنة، تذهب يومياً إلى المحطة حاملة باقة ورد اصطناعية، وكانوا يدربونها كيف ستقدم هذه الباقة من الزهر للقادمين البارزين.

* * *

ومع حلول شهر آذار كان الجميع قد ملّوا الانتظار والترقب، والتحضير والتدريب انخفض إلى حدٍ كبير. وكان رئيس الشعبة على وشك أن يقطع أمله. وتمنى لو أن مركز الحزب يعلمه أن الوفد الحزبي سيحضر أم لا؟ والتوجه بسؤال من هذا النوع لقيادة الحزب نوع من العيب وعدم الانضباط، وقلة الاحترام. كان رئيس الشعبة رقيباً ممتازاً خلال خدمته العسكرية، والتوجه بسؤال من هذا النوع سيتقدم به بدهاء وذكاء شديدين. وبما أن الاتصالات الهاتفية مقطوعة، فإنه سيستخدم هاتف قسم الجندرمة في البلدة. ذهب إلى المخفر وطلب الاتصال مع أنقرة، قالوا لا نستطيع الاتصال مباشرة مع أنقرة، ولكن يمكننا الاتصال مع القيادة الخاصة بنا في المكان الفلاني،

وهناك جهاز لاسلكي يتصلون به إلى المكان.. الفلاني ومن هناك يتم الاتصال مباشرة مع أنقرة، وهناك يسألونهم عن طريق اللاسلكي أو. لا.. أو. إما...

جميع سكان البلدة يعلمون أن القطار الذي توقف شهراً أو نصف الشهر عن بلدتهم، سيأتي إليها لأول مرة في هذا الشتاء. بدأت الأخبار تصدق بعضها: سيأتي زعماء الحزب في هذا القطار، طبعاً إن هؤلاء الزعماء يعرفون جميع حركات القطارات في البلاد كلها وتوقيت ووجهة سيرها. بدأ المشاركون في المسرحيات بحفظ أدوارهم من جديد بعد نسيانها، وشرع لاعبوا كرة القدم بالتدرب للمرة الأخيرة. وكان موظف الصحة قد أصيب أثناء التدريب أيضاً بدلاً من أن يضرب الكرة بقدمه راحت قدمه في الهواء وسقط على الأرض وكسرت ساقه.

اجتمع المستقبلون صباحاً في المحطة، وكان بين المستقبلين الفرقة الموسيقية التي تتقن عزف المقطوعة الازميرلية. والمؤلفة من طبال وعازف كمان ومزمار وكلارينيت. وكان طلبة المدارس يقفون أمام الجميع، ويليهم فريق كرة القدم باللباس الرياضي المزركش، ثم الفرقة المسرحية المؤلفة من مجموعة من الشباب، تتقدمهم لافتة كتب عليها بخط عريض وواضح عبارات الاستقبال.

وإلى الخلف اجتمع المواطنون والحزبيون الذين قدموا من البلدان المجاورة. غضب رئيس الشعبة عندما وقع بصره على باقة الزهر الاصطناعية التي ستقدم للشخصيات الحزبية الكبيرة، فقد تمزقت أوراقها، واتسخت من جراء التدريبات المتواصلة عليها. كان غضب رئيس الشعبة كبيراً على حسني أفندي صاحب الفندق، لأنه يقف أمام الجميع وفي المقدمة ويرتدي لباساً مميزاً عن لباس الآخرين، فقد نال استحسان الجمهور، ولا يستطيع أن يوجه له أي انتقاد على لباسه لخصوصيته. كما أن لباس رئيس البلدية كان جديداً لكنه لا يتمتع بخصوصية لباس حسني أفندي، فقد وضع ربطة عنق ملونة بدلاً من

ربطة عنق سوداء.

نسي رئيس الشعبة خطاب الاستقبال بسبب عصبيته وغضبه، كان يذهب للمرحاض بين حين وآخر لمراجعة الخطاب المكتوب.

الأعلام الورقية ترفرف في كل مكان، وعندما علا صفير القطار وصل هيجان المستقبلين إلى ذروته. دخل القطار المحطة، حصل غليان وتموج شديد للجماهير. وبدأ التصفيق والهتاف. وبدأت الفرقة الموسيقية بعزف النشيد.

كان النازلون من القطار يصيحون بأصواتهم كنباح الكلاب، لكن الشخصيات الحزبية البارزة غير معروفة. تقدَّم رئيس البلدية من باب إحدى عربات القطار وقبَّل يد أحد النازلين منه، وهو رجل بدين في الأربعين من عمره. أما حسني أفندي صاحب الفندق فقد انحنى أيضاً ليقبل يد أحد الشخصيات الأنيقة النازلة من القطار وقد تفككت أزرار بنطاله.

أما الشباب فقد حملوا أحد النازلين من القطار على أكتافهم، وكانت تهتف بصوت عالٍ عاش.. عاش... عاش..

استمرت الأفراح حتى الصباح، وبعد ازدحام استمر ربع ساعة تلاه هدوء تام وهمسات بين المواطنين:

- يقولون أنهم لم يحضروا!!

- وللك أنا شفت بعيوني. كان رئيس الشعبة يقبل يده.

- يقولون أنه كان أحد المسافرين وليس مسؤولاً حزبياً.

- هذا ليس صحيحاً.. هل رأيت كرشه... ما شاء الله.. وهل يكون للمسافر كرش مثله؟

في هذه الأثناء اقترب ساعي البريد من رئيس الشعبة. وفي يده مجموعة من

الرسائل والبرقيات وجميعها موجهة إلى مركز الحزب في بلدة /ك/. لم يكن رئيس الشعبة أستلم رسائل بالكثرة التي استلمها الآن. انتزع رئيس الشعبة الرسائل من يد ساعي البريد، وبسرعة فتح المغلف وشرع بقراءة الورقة الموجودة داخله. الجميع ينظرون إليه بلهفة وشوق لمعرفة ما في داخلها.

وبما أن قراءته ضعيفة فقد التفت إلى أحدهم وقال:

- ها يا بني (يا ادمير علي) لا أستطيع القراءة لأن عيناي لا تقويان على ذلك. أرجوك أن تقرأها لي. قرأ أدمير الرسالة الواردة من المركز في أنقرة بأعلى صوته:

إلى رئيس شعبة الحزب في بلدة /ك/

دأبت الهيئة الادارية في ناحيتكم ومنذ بضعة أشهر بعدم الامتثال الدقيق لخطط الحزب وتوجيهاته، لقد خلفت هذه الحركات الصبيانية لدى جماهير الحزب الفوضى وعدم الالتزام، وصداماً مباشراً مع الأحزاب الأخرى. وبما أنه ثبت لدينا أن هذه الأعمال مخالفة لمبادئ الحزب وقوانينه، ومن أجل المحافظة على سلامة ووحدة الحزب، وانطلاقاً من المصلحة العليا للبلد، فقد قررنا إعفاءكم من مناصبكم.

انتفض رئيس شعبة الحزب من أعماقه، واصفرت وجوه الأعضاء الآخرين.

قال رئيس البلدية: كنت قد جهزت مأدبة لخمسين شخصاً، ما هو مصيرها الآن؟

وقال رئيس فريق كرة القدم: الأسف على عذابنا وأتعابنا التي ضاعت سدىً. لقد جمدت أطرافنا من شدة البرد ونحن نتدرب بسراويلنا الداخلية فقط.

قال دمير علي كاتب القائمقام: حتى أن ماكياج فريق المسرح ضاع هباء.

بدت ملامح الغضب الشديد على رئيس الشعبة، وبدأ بـالكلام والصـراخ بأعلى صوته:

- كم تعذبنا في تحضيراتنا هذه، تحملنا البرد والجوع والخسارة المادية...

- نعم تعذبنا كثيراً جداً...

- مقابل كل هذه التحضيرات والأتعاب...

- أي ذنب اقترفناه حتى..

- عندي اقتراح: سننتقل جماعياً إلى الحزب القومي، فهو قوي جداً وعلـى استعداد لاستقبالنا، ما رأيكم؟ لتبـق كـل هـذه التحضيرات ولندعـوا أعضـاء الحزب القومي إلى الوليمة والاحتفال.

- لندعوهم...

- هل هذا هو قراركم النهائي..

بغية توقيـع القـرار الجديـد، ونـزع لوحـة الحـزب القديمـة ووضـع اللوحـة الجديدة، كل ذلك يسـتغرق وقتـاً، وبينمـا هـم في طريقهـم إلى بنايـة الحـزب الجديد انفصل عنهم دمير علي كاتب القائمقام، والذي يعمـل مراسـلاً شـعبياً في إحدى الجرائد في استنبول، وتوجه إلى مركز البريد وأرسل البرقية التالية:

"انتقلت كامل الهيئة الإدارية المؤلفة من خمسمائة عضو من حـزب ... إلى حـزب... لأنهـم وجـدوا حزبهـم القديـم يقودهـم إلى الهاويـة، وجلـب لهـم الأضرار والمهالك ولأن هذه الأعمال لا تروق لأعضاء الهيئة، وكانوا قد تقدما في السابق إلى قيادة حزبهم بالاحتجاجات على تصرفاتها، دون أن يلقوا آذاناً صاغية. لهذا انتقلوا جماعياً إلى الحزب القومي."

- ٨ -

معرض

أصبحت عندنا عادة سيئة وهي أننا نظل نتحدث وننقد كل الأعمال والتصرفات في تاريخنا القديم والمعاصر. وهذه الأعمال والتصرفات تحمل في طياتها البشاعة والأخطاء المضحكة. ولأننا لا نريد إحلال هذه العادة. فإن الأحداث التي سنرويها لكم في هذه القصة هي من تاريخنا القديم.. وعليه قمنا بهذا التوضيح.

* * *

كان من المتوقع أن يكون معرض آبونا الدولي من أكبر وأفضل وأجمل المعارض التي أقيمت حتى الآن في العالم. كل الدول كانت تريد الاشتراك في هذا المعرض، لأنه فرصة نادرة للإعلان والدعاية لبلدانهم.

وجِّهت الرسائل إلى جميع الدول، تطلب فيها من المسؤولين التجاريين أن يرسلوا طلبات اشتراكهم.كحد أقصى خلال شهرين.

بعثت الدول التي وصلتها الرسائل أجوبتها شاكرة، مع إبداء رغبتها بالاشتراك في هذا المعرض. دولة واحدة لم يأت الجواب منها لا سلباً ولا إيجاباً. السبب أنه كانت هناك محادثات قائمة بين البلدين لعقد اتفاقية تجارية.

وبعد أن تم التوقيع على الاتفاقية بين الطرفين وفي مأدبة الطعام التي أقامتها الدولة المضيفة على شرف الوفد الثاني قال رئيس وفد البلد المضيف لوزير التجارة:

- لو اشتركتم في معرض /آبونا/ الدولي، لكان في صالح دولتكم لأنها

كانت ستعمل على إعلان جميع منتجاتها.

سأل وزير التجارة مندهشاً:

- أتقول /آبونا/؟ أتقول معرض؟! هل هناك معرض سيفتح في آبونا؟

أوضح رئيس الوفد التجاري بأنه منذ عامين وحتى الآن تقوم جميع الدول بالتحضير لهذا المعرض. كما تقوم وكالات الأنباء العالمية، والإذاعات والجرائد بنشر الأخبار عن معرض آبونا في صدر نشراتها وصفحاتها.

وفي اليوم الثاني استدعى وزير التجارة مستشاره الخاص وقال له:

- لماذا لم تخبروني عن معرض آبونا الدولي؟ ولماذا لم تعرض عليَّ الرسالة التي وردتنا بخصوصه؟

أوضح المستشار ذو البنية الضخمة. مع معرفته بوجود مدينة تسمى آبونا في القارة الأوروبية. ولم يخطر بباله افتتاح معرض كبير في تلك المدينة. فهو لم يسمع بهذا الخبر ولا عن تلك الرسالة.

بدأت وزارة التجارة العمل على قدم وساق. فقد ألح الوزير بشدة على إيجاد الرسالة وإخراجها من تحت الأرض.فاندفع المدراء العامون ورؤساء الشعب والموظفون في البحث عن الرسالة.

وسط هذا الذهول والحيرة والفوضى انقلبت مواد الاستيراد والتصدير، فقد وضع برنامج تصدير القطن لمصر، والقمح لكندا، والبترول للعراق، والساعات لسويسراأما برنامج الاستيراد فكان ينص على استيراد البندق من انكلترا، والقنبلة الذرية من ايران، والطائرات من الحبشة.

ظلت الرسالة مختفية، وعند البحث عنها تم العثور على رسائل قديمة كانت مفقودة، ثم تضيع ثانية، وأخيراً وجهت الوزارة سؤالاً إلى المدير

التجاري يتضمن مصير الرسالة وتوقيت المعرض.

أكد المدير التجاري بأن لا خبر له بالمعرض أو سواه، كما أكدَّ على استعداده للاشتراك في المعرض.

بعد بحث وتفتيش دقيقين، تم العثور في سجلات الوزارة: أن الرسالة وردت منذ عشرة أشهر. وأن المدير التجاري في الوزارة أرسل جواباً بالموافقة على الاشتراك بالمعرض، وهذا واضح وظاهر بالتاريخ والرقم في السجلات. ومعنى ذلك مسك الطرف الأول من الخيط.

والآن بقي شيء واحد وهو: إلى أين ذهبت الرسالة بعد خروجها من عند المدير التجاري وأين اختفت؟ ومن الذي تلاعب بها؟ ولأي سبب؟ فتح تحقيق حول الموضوع، ووضع لهذا الغرض عدد من الموظفين الأكفاء للنظر والتحقيق في أسباب اختفاء الرسالة.

كشف أحد الموظفين أن الرسالة تحولت إلى دائرة التجارة الخارجية في الوزارة. ونظراً لهذا الاكتشاف العظيم تم ترفيعه درجتين مباشرة.

وعندما سئل مدير دائرة التجارة الخارجية عن الرسالة وعن مكان توضعها وأين وكيف اختفت أجاب:

- هل تقول /آبونا/ أغمض عيناه فترة من الزمن ليسترجع ذاكرته القديمة. وليبحث في عالم المجهول عن الرسالة، وبعد أن دعك شعر رأسه قال:

- ها.. هاها.. نعم.. نعم.. إنني أتذكر مثل تلك الرسالة.

بعد بحث طويل تبين عن قيدها في السجلات (الصادر والوارد) ولكن الرسالة غير موجودة، وقد حُولت إلى الشعبة الثالثة. قال مدير تلك الشعبة:

- هو.. هي.. نعم يجب أن يكون هذا الشيء موجوداً. ربما أُرسلت إلى

القسم الثاني.

فكر رئيس القسم الثـاني ملياً في الأمـر واضعـاً رأسـه بـين يديـه. وكأنـه اكتشف نظرية أرخميدس لأول مرة صرخ:

- لقد وجدتها.. أليس /آبونـا/ تمـام... تمـام... انظـروا إلى هـذا السـجل الصادر.

حسب القيود الرسمية سُـلمت الرسـالة إلى المستشـار. ثـم فكـر ونظـر إلى الأفق البعيد وكأنه قبطان يبحث عـن شـيء داخـل الضبـاب، وبعـد أن كـرر آبونا.. آبونا.. آبونا عدة مرات. قال صارخاً:

- لقـد تذكـرت. لماذا لا تقولـون أن هـذه الرسـالة وردت مـن معـرض /آبونا/ نعم أتذكر تماماً. كنت قد قدمتها لسيادة الوزير.

قال المستشار وهو يذكر الوزير:

- سيدي الوزيـر.. ألا تتذكـرون.. كـان ذلـك في الصيـف الماضي. وفي أمسية جميلة كنا نودع فيها بعض مسـؤولي الدولـة في محطـة القطـار. وكنتـم سيادتكم تودون الذهاب في تلك الليلة لأمر هام إلى قصركـم في /فلوريـا/ في تلك الأثناء قدمت الرسالة لسيادتكم على أنها مستعجلة...

قطع الوزير حديث المستشار:

- نعم.. نعم.. لقد تذكرت. ولماذا لا تقول أنه طلب من معرض آبونا.

فتش الوزير في دروجه المكتبية ودواليب خزنه وقال:

- بما أنها غير موجودة هنا يجب أن تكون في جيبي.

فتش في جيوبه لم يجدها أيضاً. ثم التفت نحو المستشار:

- هل تتذكر أية بذة كنت ألبس في ذلك اليوم؟

رفع المستشار عينيه للأعلى وتجعد جبينه.وفرك أصابعه وبدأ العرق يتصبب من جسمه وقال:

- كأن تلك الصورة قد عادت أمام ناظري.. يا سيدي كنتم تلبسون الجاكيت السبور /البيج/ وبنطالاً لونه /بيج فاتح/ نعم.. نعم.. إنني أتذكر تماماً.. أنكم كنتم تلبسون بنطالاً.. ولونه كان لون حليب شوكولا اسكاربين. هذه الصورة أمامي الآن يا سيدي. حتى الجوارب التي كنتم تلبسونها كانت /نايلوناً/ ولونها بني فاتح. كنت أنيقاً جداً يا سيدي في ذلك اليوم.

اتصل الوزير بمنزله هاتفياً:

- فتشوا جيوب كل الجاكيتات ذات اللون البيج في خزانتي. ثمة ورقة مهمة في أحد جيوبها.

جاء الجواب بعد فترة عن طريق الهاتف. عندما سمعه الوزيرتغيرت صورة وجهه:

- توه.. لقد أرسلوا الألبسة إلى المصبغة.

أحضروا الألبسة من المصبغة. فتشوا في جيوبها.. تمام.. الحمد لله ظهرت أربعة أوراق في الجيب الداخلي للجاكيت. في إحداها ورقة مكتوب عليها ترويسة "المسؤول التجاري لآبونا" لكن المطلوب (الكتابة) غير موجودة.

فالصبّاغ من شدة عنايته بالألبسة ولاستعماله الشديد لنظام البخار الجاف، كانت الكتابات الموجودة قد أزيلت بكاملها.

مع أن ورقة الطلب كانت فارغة لم يعرف مضمونها. فقد طُلب من المدير التجاري في الوزارة، أن يجهز للاشتراك في المعرض وبأية وسيلة كانت. ولأن

جواب الاشتراك بالمعرض جاء متأخراً، فقد ورد جواب من المعرض يفيد بأنه لم يعد هناك من أمكنة ولا مجال لقبول الاشتراك.

كان الاشتراك في المعرض ضرورياً جداً مهما كانت الأسباب، لأنه فرصةٌ نادرةٌ للتعريف على البلد ومنتجاته. ونتيجة الاتصالات السياسية والاعتمادعلى العلاقات الثنائية الطيبة والتاريخية الجيدة، والصداقة الحميمة القائمة بين البلدين، فقد تم إيجاد مكان لهذه الدولة. ولكن الموقع كان في زاوية ميتة وصغيرة جداً. ومع العلم أن دولاً أصغر من دولتنا خصصت لها أجنحة كبيرة جداً، لذلك يجب الحصول على جناح كبير يليق بسمعة دولتنا.

بدأت الاتصالت الهاتفية والتلغرافات والرسائل.. والوساطات والصداقات.. والعلاقات الأخوية. ثم الترجي.. والمال. ونتيجة الضغوط كلها تم تأمين مكان كبير وملائم وسط المعرض.

في الوقت الذي كانت فيه دولتنا تبحث عن جناح وتجده، كانت الدول الأخرى قد بنت أجنحتها وزينتها على أكمل وجه.

في هذا الصدد تم تشكيل وفد من عدة أشخاص متخصصين في المعارض والأمور الأخرى، كالعلاقات الثنائية والسياسية.

كان رئيس الوفد من الحزب الحاكم، ويقال أنه أدّى خدمات جليلة لحزبه يوم كان الحزب في المعارضة أي قبل تسلمه السلطة. وبما أن الحزب يريد تكريمه، فقد رأى في إرساله إلى معرض آبونا خدمة كبيرة من أجل مداواة زوجته من أورام وانتفاخات تحت عينيها.

أما الرئيس الثاني للوفد فكان من حزب المعارضة، ترك حزبه لأنهم لم يرشحوه في الهيئة الإدارية للحزب، وانتقل إلى الحزب الحاكم لمسألة لها مساس بشرفه ومبدئه. كان رحلاً مجرباً، محنكاً، في السبعين من عمره،

ومخلصاً لبلده.

عضو آخر في الوفد كان موظفاً ناجحاً وعملياً.. فهو من أمر بقطع التيار الكهربائي عن المدينة، في الوقت الذي كان فيه زعيم الحزب المعارض يخطب في الجماهير في إحدى الساحات العامة. وكان صوته ينطلق كالرعد. وبعد قطع التيار الكهربائي تحول صوته إلى صوت ذباب. أراد الحزب تكريم هذا الموظف أيضاً لأعماله الجيدة. وإرساله للمعرض تعتبر فرصة مناسبة لتكريمه.

عضو رابع متزوج منذ ثلاثة أشهر وضعوه ضمن الوفد هو وزوجته ليقضيا شهر العسل في الغرب. أما العضو الخامس فكان يطلب إجازة منذ ثلاث سنوات.. ومن أجل هذا تم وضعه في عضوية الوفد حتى يجمع إجازته وعطلته مع عمله في المعرض. والعضو السادس لا عمل له أبداً. كان شقيقاً لسياسي محنك. إذا بقي هنا أو هناك فلن يفيد شيئاً. وذهابه إلى المعرض لا يغير من الأمر شيئاً وليس له ضرر أبداً. أما العضو السابع كان صهراً لأحد الذين لا يُرد لهم طلبٌ أبداً. وقصارى القول أن هذا الوفد كان وفداً باطلاً.. من جميع جوانبه، والحقيقة أنه يجب على الوفد أن يضم أشخاصاً خبراء في أمور المعارض والعلاقات. وقد تمَّ تعيين ذلك الخبير ضمن الوفد.

في الوقت الذي وصل فيه الوفد إلى آبونا، كانت الأجنحة مجهزة تزينها البضائع التي بدأت بالوصول إلى المعرض تباعاً.

لم يبق من الوفد في المعرض إلا الخبير المختص، أما الأعضاء الآخرون فقد ذهب كل منهم إلى عمله الشخصي.

بدأ الخبير الاتصال مباشرة مع الوزير، لوضع خطة تجهيز الجناح. وأعلن عن إجراء مسابقة للخطة: دُفع للفائز الأول في وضع الخطة عشرة آلاف ليرة وللثاني خمسة آلاف ليرة والثالث ألفي ليرة.

رفض الوزير جميع الخطط، فشرع في رسم خريطة للجناح على ورق علبة سجائره خلال ثلاث دقائق. وكان العمل يتطلب إيجاد بنّاء ومهندس ديكور لتطبيق المخطط الذي رسمه الوزير. عندما وصل الفنيون لبناء الجناح كانت بقية الأجنحة جاهزة على أكمل وجه. والبضائع وضعت في أماكنها. ولم يبق على افتتاح المعرض سوى عشرة أيام فقط.

وبينما كان الجناح قيد البناء، شُكلت لجنة خاصة لمعرض آبونا لتحديد البضائع التي سيتم عرضها.

حدد عضو اللجنة، عضو غرفة التجارة البضائع التي ستعرض في المعرض: بندق -تبغ -تين -عنب -قطن....... -بلوط.

قال عضو من غرفة الصناعة:

- الأشياء التي اقترحتموها موجودة لدينا وتنتجها بلادنا منذ آلاف السنين. من الأفضل أن نرسل إنتاجنا المعاصر.

- نعم.. نعم..

- ماذا سنرسل؟

- كبريت.. ملح.

- معقول إلى حد ما.؟

- المعلبات.. الراحة /سكر الأكيدا/

- غير ذلك.

أقمشة.. جوارب.

- حسنٌ جداً.

- الزجاج.. الورق.

عارض عضو تاريخي:

- أغلب البضائع المذكورة نشتريها من البلدان الأخرى. وعندما سنعرض هذه الأشياء سيقولون لنا. إذا كنتم تنتجون هذه البضائع فلماذا تشترونها؟

- إن المؤرخ على حق.

- نحن لا نستطيع أن نعرف بأنفسنا إلا عن طريق التاريخ.

- صحيح.

- صحيح.

- لنرسل فريق /المهتر/ (فرقة موسيقية عثمانية كانت تعزف المقطوعات أمام الجنود.) ليعزفوا دون انقطاع أمام جناحنا.

- غير ذلك؟

- لنرسل المعطف الحريري للسلطان محمود.. ليروا كيف تكون المعاطف. وسيف السلطان /يافوز/ وقبعة السلطان سليم.

- وفنوننا المعاصرة ألا نعرض شيئاً منها؟

- نعم.. فرقة عزف على البزق.. ومطربتان وثلاث راقصات,

كانت البضائع التي سترسل إلى معرض آبونا قد جرى اختبارها.

فتح معرض آبونا الدولي. ولأن الجناح لم يكتمل فقد أغلق بحاجز من الخشب، وضعت فوقه لافتة قماشية كتبت عليها هذه الكلمات "قريباً جداً، سيتم افتتاح هذا الجناح"

لم يكن من وفد معرض آبونا سوى شخص واحد، أما الآخرون فقد

ذهبوا إما إلى التداوي أو إلى شهر العسل، أو إلى الزيارات. وفي اليوم العاشر للمعرض وصلت البضائع ولدى فتح أحد الصناديق، التي تحوي تيناً وبندقاً، تبين أن العفن أصابهما، وعلى الفور أرسل ممثل المعرض برقية للوزارة جاء فيها:

"إلى وزارة التجارة:

نعلمكم بأن التين الذي أرسلتموه إلى معرض آبونا مصاباً بالعفن، والعنب مهروس، والبندق فارغ...".

وورد الجواب التالي:

"إلى ممثل الوزارة في معرض آبونا:

هذه المواد أُرسلت لكم عن طريق الخطأ، لأنها كانت مصدرة إلى دولة أخرى.. هناك مواد في طريقها إليكم لتعرضوها.."

"إلى وزارة التجارة:

لم يبق على إغلاق المعرض سوى خمسة عشر يوماً. والبضاعة التي أرسلتموها لم يصل منها سوى زجاجة شراب واحدة، وعلبة أخرى فقط لا غير، لأن الباقي قد تكسر وتحطم في طريقه إلينا. أما بخصوص افتتاح جناحنا ننتظر الأوامر العليا من سيادتكم هل نفتحه أم لا.."

"إلى ممثل الوزارة في آبونا:

ثمة آثار تاريخية في طريقها إليكم.. سيف السلطان مراد.. زنار السلطان سليمان، وبمجموعة من الثياب الوطنية والثياب الانكشارية.. وفور استلامكم هذه الأشياء أرجو أن تعلنوا عن افتتاح المعرض، مع التأكيد على عرض هذه الآثار".

في يوم إغلاق المعرض أقيم حفل افتتاح الجناح، وأقيمت مآدبة كبيرة لهـذه المناسبة. وبما أن الجناح لم يفتح طيلة شهرين من مـدة المعـرض فـإن المواطنـين تدافعوا من أجل إلقاء نظرة على هذا الجناح. كان الزحام شديداً على أطرافه. وما أن تطأ عتبة الباب حتى تسمع أغنية /لاكوكاراجا/ ولأن الفرق الموسيقية لم تصل كان ممثل الوزارة يضع اسطوانات التسجيلات على هـواه وذوقـه. واسطوانة /طونا السماوية/ و/لاكوكاراجا/ وضعتا يوم زفافه وكانتا تحمـلان عنده ذكريات جميلة.

على جدار ارتفاعه ٦ أمتار وعرضه ١٣ متراً عُرضت بعض حبات البنـدق الفارغة. مع بعض المفردات التي تشرح المحتوى الغذائي لهذه المادة.

التبغ والسجائر لم تصل إلى المعرض، ومع هذا فقـد علقـت بجانبهـا صـوراً عديدة مع تشير إلى نسبة ارتفاع انتاج زراعة التبغ والسجائر عندنـا. وضمـن هذه المعمعة من الكلمات والدهان والألوان والأضـواء، كـانت علبـة سـجائر واحدة قد وضعت على الرف. وهذه العلبة خاصة بالسيد ممثل الوزارة.

وفي صالون كبير آخر، كانت زجاجـة شـراب واحـدة وعلبـة في داخلهـا مشروب روحي.

أما الاهتمام الأكبر والذي كان يشد الزائرين الموجوديـن في صـالون آخـر فهو معطف وُضع ضمن دولاب زجاجي كبير وعمامـة كبـيرة، وماشـاء الله، وسيف.

في صباح اليوم الذي افتتح فيه الجناح. تم إغلاق المعرض عند المساء.

وعندما عادت الأشياء التاريخية كـانت القيامـة قـد قـامت. كـان معطـف السلطان محمود ممزقاً وأصبح كالأوزة بلا ريش، وسرقت منه جميع المجوهرات الخاصة. ومثله قبضة السيف الأثرية التي أُزيلت عنها الألوان والرسـوم الرائعـة

كما سرقت جواهرها. كما فُقد أيضاً الذهب الموجود على العمامة. وبدأت الجرائد تصب الزيت على النار. والمعارضة كعادتها بدأت تعمل من البرغوث جملاً.

- لقد سرقوا تاريخنا.. ماذا سنفعل الآن؟

لكن الوزير أعطى تصريحاً خاصاً للصحفيين قال فيه: أن جميع المجوهرات التي سرقت من الثياب كانت مجوهرات مزيفة.

وهكذا طويت صفحة المعرض وأصبح كل شيء في زوايا النسيان.

- ٩ -

تم تشكيل تنظيم حزب

كان حزب /ك-ل/ يفكر بتشكيل تنظيم جديد للحزب في الولايات النائية عن المركز. وذلك بسبب رغبته في التوسع والانتشار. ولهذا كان أفراده يعملون بكل طاقاتهم. أما سكان بلدة /ج/ فكانوا أناساً متفتحين يقظين لمصالحهم، وفي الوقت نفسه متعطشين إلى الديمقراطية ولهذا رغبوا أن يكون عندهم مركزاً و تنظيماً لجميع الأحزاب الموجودة. والحقيقة، كان لكل حزب تنظيم في البلدة ما عدا تنظيم حزب /ك-ل/.

كانت نسبة المتعلمين في بلدة /ج/ أكبر من البلدات المجاورة. فهم يطالعون جميع الصحف التي تصلهم. وفي تلك الفترة كانت الصحف تكتب الكثير عن حزب /ك-ل/.

وسكان بلدة /ج/، وعلى اختلاف أحزابهم وأفكارهم، كانوا أصدقاء الجميع لا يرضى الضرر لأحد. الإحترام المتبادل والصداقات الحميمة كانت سائدة.

طلب السيد حمزة رئيس شعبة الحزب الحاكم في البلدة، السيد محمود آغا رئيس شعبة الحزب المعارض في البلدة نفسها، التحدث إليه على انفراد وقال له:

- كيف ترى العالم يا /ماميد/ آغا؟ - لقد أحدث هذا الحزب الجديد ضجة كبيرة.. إنه يتوسع باستمرار.

- أنا الأخر كنت سأعرض عليك الأمر.. ما رأيك أن نتقابل غداً

ونتناقش حول هذا الموضوع؟

- حسن جداً. أرسلْ خبراً للسيدين رجب آغا.. واسماعيل آغا. وأنا بدوري سأرسل خبراً إلى السيد باكير آغا. نجتمع غداً في دكاني بعد صلاة العصر.. لنتدارس هذا الأمر.

في اليوم الثاني اجتمعوا في دكان محمود آغا، المملوء بالخرداوات، وجميع اللوازم المنزلية.

قال السيد حمزة رئيس شعبة الحزب الحاكم.

- أيها الأخوة.. كما ترون نحن هكذا اليوم.. ولا نعرف ما سيأتينا به الغد .. ربما يسقط حزبنا من الحكم. ويصعد إليه حزب رجب آغا، ويسقط حزب رجب أفندي، ويصعد حزب اسماعيل أفندي. الموضوع الأهم في الأمر لا حزبك ولا حزبي.. المهم مشاكل البلدة وأمورها. عندما كان حزب السيد باكير في السلطة فتحنا طريقاً من البلدة إلى المحطة. وأقمنا محلاً للمشروبات. وعندما جاء حزبنا إلى الحكم أتينا بالماء والكهرباء.. ولا نعرف ماذا سيصبح عليه الأمر غداً.. يقولون أن حزباً جديداً قد ظهر، حزب /ك-ل/. ومن خلال مطالعاتنا للصحف اليومية، نجد أن هذا الحزب يسير سيراً حسناً، وكما يقولون حساب السوق لا ينطبق على حساب الصندوق، فقد يصلون في القريب العاجل إلى السلطة. ولأننا لم نسمح بإقامة تنظيم لهم في بلدتنا فإنهم سيغتاظون منا. ونظراً لبقاء مشاكل كثيرة في بلدتنا بدون حل وتسوية، فأنا أقترح عليكم الموافقة على إقامة تنظيم لهذا الحزب في بلدتنا. ما رأيكم؟

قال السيد اسماعيل آغا:

- هذا صحيح. إذا أقمنا تنظيماً لحزب جديد في بلدتنا فلن يمسنا بسوء. نقول: فيه ربح وليس فيه خسارة.. وهل زيادة المال تعمي العيون؟

قال حمزة أفندي: هـذا جميـل ولكـن.. أخشـى أن يغضـب المسـؤولون في أحزابنا.

قال رجب آغا: روحي حمزة أفندي.. إذا تم افتتاح شعبة جديدة لحـزب جديد عندها لن تنحاز الدولة إلى طرف واحد.. أليس كذلك؟

- هذا جميل جداً، ولكن لن ندعهم يعلمون بأننا موافقون على إقامة هـذه الشعبة.

- هل سمعوا بما فعلناه سابقاً بهم يا عمي باكير؟

- مهما كثرت الأحزاب في بلدة أو دولة فهذا ينعكس ايجاباً علـى أهلهـا. لأن أي حزب يستلم السلطة ثم يسقط، فيستلم السلطة حـزب آخـر فيعمـل أكثر من سابقه.. نحن يهمنا هذا الشيء.

قال حمزة أفندي رئيس شعبة المنطقة.

- بكل تأكيد لقد نفذ حزبنا كل ما طلبناه لبلدتنا. بنـى المـدارس، وحفـر الآبار ثم توقف.. سأضم صوتـي هـذه المرة إلى حـزب آخـر. وهـذا الحـزب سيعمل أكثر ويحقق للناس مكاسب أكثر. يجب أن يتغير الحكم باستمرار.

قـال محمـود آغـا: الظـاهر أن هـذا الحـزب الجديـد أخـذ يجـري بسـرعة، والواضح أنه يقترب من السلطة.

- يجب أن لا نتأخر عن هذا أيها الآغوات. لنفتح شعبة له وبأقصى سرعة ممكنة، حتى لا نترك لهم مجالاً للعتاب والكتاب.. ولنوضح لهم أن ذلك منةً.

- كل مـا قلتمـوه جميـل، ولكـن هـل يوجـد بيننـا شـخص لا ينتمـي إلى حزب.

- لا..

- هذا خطأ فادح... يجب أن نترك أشخاصاً احتياطيين دائمين ليقيموا شعباً للأحزاب الجديدة.

- ما رأيكم بكاتب العرائض حسين أفندي؟

قال اسماعيل آغا: إذا كنا نريد أن نخدم هذه الديمقراطية. يجب أن يستقيل عدة أشخاص منا (من حزبنا ليدخلوا في تنظيم الأحزاب الأخرى. في حال تولي أحدهم (أي أحد الأحزاب) السلطة فهم لا يستطيعون القيام بأي تحرك دوننا. نقول لهم: "نحن استقلنا من أحزابنا من أجلكم ودخلنا إلى حزبكم" فينفذون عندها جميع طلباتنا.

قال حمزة أفندي: هذا صحيح جداً.. ليستقيل من كل حزب أربعة أو خمسة أشخاص، وطلبوا محسن أفندي كاتب البلدية، ليكتب عدة رسائل إلى الصحف في استنبول يقول فيها "الأحزاب حلّت نفسها وبدأت استقالات أعضائهاوالجميع يدخلون في حزب /ك-ل/".

قال اسماعيل آغا: جميل.. ولكن من الذي سيستقيل؟

- كي لا يكون حق الآخر مهدوراً: ما رأيكم (بالطرة والنقش) يا اسماعيل آغا..

جاءت اللوائح من الأحزاب. وجرى تحديد من الذين سيستقيلون من أحزابهم. وكان رئيس شعبة الحزب الحاكم أحد المستقيلين من حزبه.

وهكذا تم تشكيل تنظيم لحزب /ك-ل/ في بلدة /ج/.

- ١٠ -

عندي شبهة

كان السيد اسماعيل يعمل محاسباً لإحدى الشركات في السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية. وكان من الصعب على المرء آنذاك، أن يعتني بعائلة عدد أفرادها خمسة. نعم خمسة أشخاص يأكلون ويشربون ويلبسون. وقد جرت معه حادثة لها صلة بشخصه وعمله كمحاسب.

في أحد الأيام ناداه معلمه وكان رجلاً عنيداً وفظاً، فاستولى الخوف على اسماعيل الذي توقع أن معلمه صاحب الشركة، قد اتصل مع البوليس والمدعي العام. ولكنه ظهر عكس ما توقع. ولأول مرة منذ تسع سنوات يظهر معلمه لطيفاً شفافاً مبتسماً.

- تفضلوا واجلسوا يا سيد اسماعيل.

تقوقع اسماعيل على الكرسي المقابل لمعلمه.

- يا سيد اسماعيل قدمت إليك من المساعدات قدر استطاعتي، ومضى عليك تسع سنوات وأنت تأكل من خبزي. أولادك وعائلتك يعيشون من خيري. دخلتم إلى مؤسستي براتب شهري قدره خمس وسبعون ليرة. رفعت راتبك ليصل إلى تسعين ليرة. ماذا أفعل غير ذلك؟ كيف أعطيت الحق لنفسك بأن تفعل بي هذا الشيء؟ هل أستحق هذا العمل منك؟

توسم السيد اسماعيل الخير من كلام معلمه الليّن. واعتقد أن معلمه سيصفح عنه هذه المرة.. أي بسبب قيامه بالسرقة. كانت عيناه لا تغادران حذاءه الممزق وهو منطوٍ على الكرسي.

– الحق معكم يا سيدي. لقد فعلت أمراً منكراً. وأنا قليل الوفاء. كنت في ضائقة شديدة. أخذت خمسين ليرة من الصندوق. وكنت أنوي إعادتها في أقرب فرصة ممكنة. أرجو أن تقطعها من أول راتب لي يا سيدي.

قطّب الرجل حاجبيه وصرخ قائلاً:

– لا.. لا أبداً. لا أستطيع أن أغمض لك عيني.. هذا غير ممكن.. لا أستطيع أن أغمض عيني يا سيد اسماعيل.. يا سيد اسماعيل أفق من سباتك. أنا الآخر حصل معي. كنت أعمل كاتباً عند رجل حقير براتب شهري قدره أربعين ليرة. كان يدفع للنادل /غارسون/ خمسين ليرة. ولأنني أخذت منه عشر ليرات وضعني في السجن. هذا غير ممكن يا سيد اسماعيل. يجب أن تنال جزاءك.

نال السيد اسماعيل جزاءه، ونام في السجن عاماً كاملاً، لأنه خان الأمانة. أما عائلته فقد عاشت على خياطة /الفانيلات/ والجوارب التي كانت تأخذها من المعامل.

بعد أن خرج السيد اسماعيل من السجن، وجد ماكينة قديمة لحياكة الجوارب، وضعها في منزله، وبعد فترة وجيزة أصبح يملك زوجين من الماكينات. ثم أصبحوا ثلاثة، وبعدها أشاد مركزاً للحياكة. بدأ العمل وزوجته وابنته وأولاده. وتطور عمله لدرجة كبيرة، فقد بنى مركزاً للحياكة في /توب قابي/ يتألف من خمسة مراكز حياكة.

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية، كان للسيد اسماعيل معملاً كبيراً للغزل والحياكة، يعمل فيه أكثر من مائة وأربعين عاملاً.

في صباح أحد الأيام، عندما بدأ الموظفون يتوالون بالحضور إلى وظائفهم، وجدوا صندوق الخزينة في الطابق الثالث في قسم الإدارة مفتوحاً والمال

داخله. دهش الموظفون واتصلوا على الفور بالسيد اسماعيل.

كان السيد اسماعيل لا يزال نائماً بين أحضان زوجته الثانية في بنايته الموجودة في حي /جيهانفير/ عندما وصله الخبر. فأسرع إلى المعمل بسيارته /البويك/ الصفراء. حيث كان البوليس قد بدأ بالتحقيق حول الموضوع.

قدَّم مدير المعمل تقريراً كاملاً عن حادثة السرقة للسيد اسماعيل. فالمبلغ الموجود في الصندوق يقدر بمائة وثمانية وسبعين ألف ليرة. عندما عدَّه المحاسب وجده ناقصاً ثلاثمائة وخمسون ليرة. أما باقي المبلغ والسندات والتحاويل كل شيء موجود في مكانه.

لم يجد البوليس أثراً يدل على الفاعل.

جاء المفتش السري المدني المكلف بالتحقيق إلى السيد اسماعيل مساءً. وقال له:

– لم نستطع حتى الآن إيجاد أثر للسارق، ولكني أشكُّ في الحارس الليلي.

قطع السيد اسماعيل كلام المفتش وقال:

– الحارس الليلي لا يسرق. لأنه عازب ينام دائماً في المعمل، وحاجته إلى المال قليلة، ثم إنه عاد من القرية منذ مدة قصيرة.

– إذا كان الأمر كما تقول: فالحاجب قد يكون السارق..

– هذا غير ممكن الحاجب لا يسرق، لأنني أعطيته راتباً شهرياً مقداره مائة وخمسون ليرة. ثم أنا على اطلاع تام بأنه يسرق القطع الصغيرة من القماش ويبيعها ليصبح راتبه الشهري أربعمائة ليرة. فهو لا يسرق.

– قد يكون أحد عمالكم له سوابق قديمة في السرقة.. ومن المحتمل أنه قام بذلك..

العامل لا يسرق. ولنفرض أنه السـارق.. فلا يقدم على سرقة ثلاثمائة وخمسون ليرة فقط، بل يسرق ما في الخزينة.

عدد المفتش المسؤول أصحاب السوابق المشتبه بهم واحداً بعد الآخر، وكان السيد اسماعيل يدافع عن كل واحد منهم ويجد المبرر لذلك، في النهاية سأله المفتش:

- بمن تشتبهون يا سيدي؟

فكر السيد اسماعيل وقال: - تمام.. وجدته..لقد وجدت سارق المال، لقد وجدت السارق، بالتأكيد هو الذي سرق يا سيدي.

- من هو يا سيدي؟

- يعمل في قسم المحاسبة كاتب شاب اسمه زكي.. هو السارق.

- ولكن يا سيدي أنا حققت مع الجميع. وتقول أن الكاتب شاب مهذب خلوق، وهو يعمل بهمة عالية....

- أبداً إنه هو السارق.

- ربما سيادتكم تخطئون.

- أبداً هو السارق!

- ولكن..

- أقول لكم هو السارق. عندي شبهة تجاهه.

وما سبب تلك الشبهة؟

- لأنه.. نعم.. نعم.. هو السارق.. بكل تأكيد هو السارق.

- هل لديكم أدلة تثبت هذه الشبهة؟

- نعم عندي من الأدلة ما يكفي.. وقوية جداً. ولأثبت لكم الأمر واحداً

واحداً. هذا الرجل يعمل كل يوم عشر ساعات، يتعب من كثرة العمل. بعد كل هذا العمل المضني يقبض في نهاية كل شهر مائة وثمانين ليرة. الحمالون في هذه الايام يربحون أكثر من خمسمائة ليرة في الشهر. فهذا الرجل إذا لم يسرق.. فماذا سيفعل؟

- ولكن يا سيدي..

- لا.. لا.. عندي شبهة تجاهه.. فهل يستطيع مع والدته وزوجته وثلاث أطفال أن يعيشوا بمائة وثمانين ليرة، إن هذا المبلغ لا يكفيهم لشراء الخبز، إذا لم يسرق فكيف سيعيش؟

- ربما..

- إن شبهتي تتجمع فوقه. إيجار المنزل، إيجار الطريق، اللباس هل تكفي مائة وثمانون ليرة لكل شيء؟ هو السارق.

- ولكن..

- يقبض يومياً آلاف الليرات وفي النهاية راتبه مائة وثمانون ليرة. لا يوجد لديَّ أدنى شك، فهو من قام بالسرقة، وإذا لم يسرق ماذا سيفعل؟.

كان المفتش يدافع عن الكاتب أمام معلمه بقوة، أرسل السيد اسماعيل خلف الكاتب. دخل الكاتب في حالة مزرية إلى المكتب.

- تفضلوا يا سيد زكي.

تكوم الشاب البدين والقصير القامة، على الكرسي بوجهه الأصفر الوسخ ووجنتاه الغائرتان، وبدأ معلمه الحديث معه بوجهٍ بشوش ولين:

- لقد قدَّمت لك من الخير ما استطعت يا سيد زكي، ستُ سنواتٍ وأنت تأكل خبزي، دخلت إلى معملي براتب مائة وعشرين ليرة، رفعته لك إلى

مائة وثمانين ليرة، ماذا أفعل لك بعد كل هذا؟ كيف سرقت ودون حياء مبلغ ثلاثمائة وخمسين ليرة من صندوقي، ألم تشعر بتأنيب الضمير؟

امتلأت عينا زكي بالدموع: - الحق معكم يا سيدي، لقد فعلت شيئاً منكراً، كنت في ضيق شديد، أخذت من الصندوق ثلاثمائة وخمسين ليرةوأنا واثق أنني لن أنكشف، اقطعوا شهرين من راتبي يا سيدي.

اكفهر وجه السيد اسماعيل فجأة وصرخ قائلاً:

- لا.. أبداً.. انهض من سباتك يا سيد زكي.. في الماضي كنت أعمل عند رجل قليل الناموس والوجدان.كان يضع أكثر من أربعين ألف ليرة على طاولة القمار ولا تتحرك له شعرة. ولأنني أخذت من صندوقه مبلغ خمسين ليرة، رماني في السجون، السارقون يجب أن ينالوا جزاءهم يا سيد زكي.

اعترف السيد زكي بجريمته أمام المفتش السري المدني، الذي قاده بدوره مع رجلين من البوليس إلى المدعي العام.

كان السيد اسماعيل في حالة نفسية غير مستقرة، أشبه بالحيوان الهائج يمشي في المكتب ذهاباً وإياباً. ويصرخ من الغضب. اقترب منه المفتش السري عله يهدئه فقال له:

- لماذا أنت غاضب هكذا يا سيدي؟ لم يأخذ مالاً كثيراً. وحالكم ما شاء الله جيدة جداً، ثم إنه اعترف بذنبه وسينال جزاءه.

قال السيد اسماعيل:

- أنا لست بصدد ثلاثمائة وخمسين ليرة، لقد صنعت إنساناً آخر، المشكلة ذاتها حصلت معي وأنا أعرف النتيجة. أنا الآخر أصبحت في هذا المستوى بنفس الطريق. بعد عام سيشرق مليرنير آخر في عالم المال، سيكون منافساً شديداً لي. لهذا السبب أنا غاضب. لماذا لا يعمل الموظفون بإخلاص؟

- ١١ -

مدفأة الغاز

أنا لا أفهم لا هذا ولا ذاك.. البشر يعملون.. يعملون دون توقف. وكلما عملوا ربحوا. وكل من يقول: المال لا يأتي بالعمل.. هذا كلام لا أفهمه، يدخل من أذن ويخرج من أخرى. كي ينجح الإنسان في الحياة يجب أن يعمل.

ابقوا معي لأوضح لكم نماذج من البشر. كيف يعملون وكيف يعيشون.لتجعلوا منهم قدوة لحياتكم.. سأقص عليكم سيرة حياة واحد منهم، وعليكم قياس الآخرين على هذا المنوال. سأقص عليكم حياة عائلة /باديتو/. فقصة هذه العائلة هي نموذج لنجاح كل الذين يعملون في جميع الحقول والميادين. بالطبع هناك عائلات في العالم تعمل أكثر من عائلة /باديتو/ ولأنني شخصياً أعرفها فسأحاول أن أقص عليكم سيرتها.

عائلة /باديتو/ عائلة كبيرة وواسعة.. /سلمون باديتو/ هو ابن /جوزيف باديتو/ و/جوزيف باديتو/ هو ابن أخ /ماركو باديتو/ وماركو هو عم /بانكو/، و/بانكو/ أخ /الموردای/ و/مورداي باديتو/ هو صهر /ميشيل باديتو/ وميشيل هو ابن حما /مواز باديتو/ ومواز باديتو... توقفوا.. توقفوا بعض الشيء. إن عقلكم سيضيع. أفضل شيء هو أن أوضح لكم قصة هذه العائلة ومهارتها في العمل والنجاح عن طريق مدفأة الغاز. نعم مدفأة الغاز ستكون الوسيلة لفهمكم من جهة، وتساعدني على توضيح القصة على أكمل وجه من جهة ثانية. أنتم الآن في شارع الاستقلال. وتشاهدون أنواعاً

متعددة من المدافئ الغازية على واجهة هذا المخزن التجاري الكبير.. أطوال وأحجام وأنواع مختلفة. أية مدفأة أعجبتكم؟ هذا جميل جداً. ولكن انظروا إلى قيمة الأسعار الملصقة ألفان ومائة وعشرون ليرة. الأفضل أن تنظروا إلى المدفأة التي سعرها سبعمائة وخمسون ليرة وثلاثة وستون قرشاً. إن قصة مغامرة هذه المدفأة وحياتها ستوضحان لكم بالدليل القاطع مهارة وجهد عائلة باديتو ونجاحها. وتثبت أيضاً كيف يحق للمجدين النجاح المتواصل والدائم.

ثمة مكان للسيد /اسحق باديتو/، بين سوق الخميس والجامع العربي، ولا شك أنكم شاهدتم بعض الناس يجمعون من الأزقة وأماكن الحريق وعن المزابل، الخرداوات المتنوعة كالورق المستعمل، والزجاج المكسر، والحديد الصدئ وصفائح التنك القديمة. كل هذه الخرداوات تأتي إلى محل اسحق باديتو، وهناك يتم تصنيعها، وبواسطة /اسحق باديتو/ يعيش مئات من الأشخاص ويربحون أموالاً كثيرة. وفوق كل هذا فإن /اسحق باديتو/ يدفع الضرائب للدولة أولاً بأول، مقدماً بذلك دعماً كبيراً لخزانتها.

كنا بصدد مدفأة الغاز.. وكما ترون هذه الخرداوات المتنوعة، والتي ذكرناها آنفاً، كان السيد اسحق باديتو يبيعها لابن أخيه /مواز باديتو/ بسعر الكيلو اثني عشر قرشاً. تخزن هذه الخرداوات في أماكن خاصة دون أن يراها الشاري مواز باديتو والبائع اسحق باديتو.

وبعدها يتصل مواز باديتو بابن حماه فردي باديتو هاتفياً، ويبيعها له بسعر الكيلو خمسة عشر قرشاً. وهذا بدوره يبيع الكيلو بسبعة عشر قرشاً لجاك باديتو القاطن في انكلترا دون أن يرى البضاعة. وتشحن الخرداوات بالباخرة إلى انكلتراوترسو في أحد الموانئ الانكليزية.

شيء جميل أن يعمل الإنسان بجدٍ واجتهاد، هناك أفراد كثيرون كالحراس والكتاب وغيرهم يربحون المال من خلف اسحق باديتو وموواز باديتو كما تحقق الدولة أرباحاً بالعملة الصعبة، بفضل الرسوم التي تفرضها على البضائع.

يبيع جاك باديتو الموجود في انكلترا الخرداوات التي اشتراها من مواز باديتو إلى /دافيد باديتو/ بـ عشرين قرشاً للكيلو غرام الواحد. وتتحول هذه الخرداوات في معمل دافيد إلى أسلاك وصفائح وقضبان. ثم يبيعها إلى /آدم باديتو/ الذي يملك معملاً لصنع المدافئ الغازية. فيصنع من كل خمسة كيلوغرامات من التنك والحديد والشينكو مدفأة غاز واحدة، مدهونة وجاهزة على أربع وعشرين قيراطاً. يبعث آدم باديتو إلى ممثل شركة باديتو وأخوته في استنبول، رسالة تتضمن اقتراحه مع رسوم ومخططات مدفأة الغاز التي يصنعها في معمله، وتجدون المدفأة المرسومة في هذا /الكاتالوج/ في واجهة المخازن، وتباع الواحدة بخمس وثمانين ليرة. ويبيع آدم باديتو وكالة عامة للشركة في استنبول إلى آفرام باديتو بمائة وليرتين، والآخر يبيعها إلى حاييم باديتو بمائة وعشرين ليرة وأربعين قرشاً.

* * *

عقد /حاييم باديتو/ اتفاق شراكة مع /أحمد تورك أوغلو/، لتصبح الشركة قوية ومشهورة والتي امتلكت فيما بعد ثلث حصة بنك /ناريان/. كان حاييم باديتو يقرض أمواله من مصرفه بفائدة ٨٪ وهكذا يصل ثمن مدفأة الغاز المستوردة من انكلترا مائة وأربع وثلاثين ليرة وأربعة وأربعون قرشاً. أما أحمد تورك أوغلو، فيأخذ حصة من معاملات تسهيل الاستيراد التي يقدمها لحاييم باديتو. وهذا المبلغ الذي يعطيه لـ تورك أوغلو يضاف لثمن الشراء، فيبيع المدفأة الواحدة لمخائيل باديتو بمائة وخمس وأربعين ليرة وعشرين

قرشاً، ومخائيل باديتو بدوره يبيع المدفأة الواحدة بربح ٢٠٪ إلى ميشون باديتو.

العمل شيئ جميل، ومن العمل نجد أن ثمن المدفأة الواحدة الموجودة في المستودعات الانكليزية يرتفع ثمنها إلى مائة وأربع وسبعين ليرة وأربع وعشرين قرشاً.

أما عمولة ميشون باديتو فيترك أمره /لسلمون باديتو/ صاحب شركة النقل الذي يضيف ٤٠٪ مصاريف النقل فيصبح سعر المدفأة الواحدة مئتان رثمانون ليرة وأربع وتسعون قرشاً. أما /سلمون باديتو/ صاحب شركة النقل فيؤمن الأموال عن طريق خاله /ياسيف باديتو/ الموظف في شركة التأمين، بعمولة ٦٪ عن كل قطعة، فيرتفع بذلك ثمن المدفأة الواحدة إلى مائتين وإحدى وعشرين ليرة وثمانية وأربعين قرشاً.. في النهاية تأتي المدفأة إلى الجمارك.

العمل شيئ جميل وجميل جداً... ومن خلف عائلة باديتو المجدة والمجتهدة يعيش كثير من الناس. بعدها تُفرض ضريبة جمركية على المدفأة المستوردة بنسبة مقدارها ٣٢٪. بعد خروج المدفأة من الجمرك يرتفع سعرها إلى مئتين واثنين وتسعين ليرة وست وثلاثين قرشاً.. حتى الآن كل شيء عادي. ولا أحد يأكل حق الآخر أبداً، كما نرى الحسابات قرشاً على قرش.

يقوم /ياسف باديتو/ بنقل البضائع على اسم صهره /ميشيل باديتو/ ويضيف عليها أرباحاً ٢٠٪ فيصبح سعر المدفأة الواحدة ثلاثمائة وخمسين ليرة وثمانية وأربعين قرشاً.

*　　*　　*

بما أن المدافئ جاءت في الصيف، فقد تركها ميشيل باديتو في مستودعات

الجمارك حتى الشتاء، ودفع تكاليف تخزين والأرصفة والأرضية نسبة ٦٪ فارتفع ثمن المدفأة الواحدة إلى ثلاثمائة واثنين وسبعين ليرة وخمسة وثلاثين قرشاً في الشتاء، يبيعها ميشيل باديتو بربح ٢٠٪ فيصبح سعر المدفأة الواحدة أربعمائة وست وأربعون ليرة وثلاثة وثمانون قرشاً.

ضمن هذه المعمعة من العمل والجد المتواصلين لم يشاهد واحداً من عائلة باديتو آدم، حاييم، ميشيل، ميخائيل، ياسيف المدافئ أبداً.. بل مجموعة من الطوابع والأوراق تنتقل إلى مكاتبهم .. هذا هو العمل.. في كل هذه المبيعات لا يشاهدون المال. ولكن بسبب كدهم وجدهم فهم على الدوام يربحون وينجحون.

مورداي باديتو يبيع المدافئ التي لم يرها بربح ٢٠٪ إلى /فيدون باديتو/ هو الذي يبيعها بدوره إلى ابن أخته بربح ٢٠٪ فيرتفع سعر المدفأة الواحدة إلى ستمائة وخمس وعشرين ليرة واثنين وخمسين قرشاً وفيدون باديتو يبيع المدافئ إلى صهره اسحاق باديتو بربح ٢٠٪ فيصبح سعر المدفأة الواحدة سبعمائة وخمسون ليرة وثلاثة وستون قرشاً.

المدفأة التي رأيتموها في الواجهة هي نفسها، تباع نقداً بسبعمائة وخمسون ليرة وثلاثة وستون قرشاً، وبالتقسيط بثمانمائة وتسعين ليرة وأربعة وثمانين قرشاً. ولكن القروش لا تحسب وتبقى إكرامية للبائع.

الذين يملكون المال، يشترون هذه المدافئ ويستعملونها عدة سنوات ثم تلقى في المهملات. فيأخذها أحدهم من المزبلة ويبيعها ثانية لاسحق باديتو بسعر الكيلو خمسة قروش. وباديتو هذا إلى باديتو ذاك وتنتقل المناولات هكذا. وقطعياً لصالح آل باديتو وليس لصالح /أحمد/.

وكما قرأتم في الفيزياء بأنه في الطبيعةلا يفنى شيئ. فهذا أكبر دليل،

العمل شيء جميل. وآل باديتو كما نرى من جدهم وكفاحهم يربحون، ويعيش مئات الناس من عملهم. ويدفعون للدولة آلاف الليرات من الضرائب. وبسبب جدهم وكفاحهم ترتفع ثمن المدفأة الواحدة من خمس وثمانين ليرة إلى ثمانمائة وتسعين ليرة.

آه ما أجمل العمل. كان أحد أصدقائي قد اشترى مدفأة من هذه المدافئ بالتقسيط.. لكن الرجل /التنبل/ الكسول لم يقدر على دفع أقساطه. وهذا عيب كبير..؟ هل هناك شيء أحقر من أن لا يدفع المرء دينه؟ أقام آل باديتو عليه دعوى في المحكمة. فوضعوا الحجز على مذياعه وبراده وأخذوا حقهم على /دايرمليم/. أما آل باديتو فلم يشاهدوا لا لمدفأة ولا وجه صاحبي هذا.

هل تعرفون لماذا قصدت أن أقص عليكم قصة آل باديتو ونجاحهم، وجعلت منهم نموذجاً للناس المجدين؟ لأنني شخصياً تنبلٌ وكسول جداً. منذ أربع سنوات وأنا أحاول شراء مدفأة لكنني لم أستطع. ولهذا أقف أمام هذه الواجهة وأنظر إلى المدفأة كي أحتمي من البرد. وفي كل عام يزداد سعر المدفأة مع كل ولد يكبر، وصهر جديد لآل باديتو الذي يفتح محلاً جديداً. والآن ولأن نسيم باديتو أصبح صهراً جديداً للعائلة فقد ارتفع سعر المدفأة بنسبة ٢٠٪.

الكسل سيئ كريه.. لا أستطيع شراء هذه المدفأة الغازية. أعمل كل يوم ثمانية عشرة ساعة على أقل تقدير.. ربما أستطيع شراءها إذا عملت في اليوم ٢٤ ساعة، ولكن نعيد ونكرر القول الكسل مكروه. كي تنجح يجب أن تعمل كثيراً، وأكبر شاهد على ذلك عائلة باديتو.

- ١٢ -

كان سيبني منزلاً

أراد أن يبني منزلاً خاصاً به، يقي نفسه وعائلته من الإيجار المتواصل، لأنه وهو صغير، كان مستأجراً ويعرف ماهية الايجار والاستئجار.

من أكبر ذكريات طفولته التنقل الدائم من بيت إلى بيت، ومن إيجار إلى إيجار، وفي كل انتقال، كان يتشاجر مع أبيه وأمه. كانت بعض أمتعة المنزل معرضة للكسر والتلف كالصحون والأطباق والكاسات لذلك توضع داخل الحرامات والألبسة.

كانت أمه تحضّر بعض الأشياء على شكل رزم صغيرة، وتضع بينها الأشياء المهملة كالورق. ثم تحمل أغراض البيت إلى عربة يجرها حصانان، كانت أمه دائماً تملأ الفراغات الصغيرة في العربة، بأصص القرنفل، والزهور، وعلب المكدوس المتنوعة أيضاً.

لم ينسَ بعد تلك العربات المحملة بأغراض البيت، والمربوطة على العربة بالأسلاك من طرف إلى طرف.

عندما كانت الأمتعة تصل إلى البيت الثاني، يكون بعضها قد تكسر مثل الصحون والمصباح الغازي والكاسات. وبعضها تلوث بالزيوت والخل. وبعض المشروبات الموضوعة في زجاجات، تفتحت أغطيتها من جراء النقل والسير والدربكة.. وكان والده يصرخ:

- ولك الفقر رذالة.

وهذه كانت بداية الشجار الدائم بين أمه وأبيه.

كان الاستقرار في البيت الجديد هماً آخر بحد ذاته. بعد الانتهاء من الترتيب والاستقرار، وبينما هم على وشك الاستراحة، تولد حالة جديدة.. إما أنهم لا يستطيعون دفع الايجار فيساقون إلى المحاكم والمخافر (قره كول) وإلقاء أمتعتهم في الشارع، أن صاحب البيت كان يرغب بإخلائهم تحت حجج واهية: علة السكن أو الترميم أو زواج ابنه ليسكن فيه.

لم يبق حي في استنبول إلا وسكنوا فيه. ذكريات الطفولة الأولى تقوده إلى حي /قاسم باشا/ في /اوسكيدار/ والمرحلة الابتدائية في حي /السليمانية/.. والصف الثالث الابتدائي قضاه في /آف سراي/ /جراح باشا/ وقد تعلم في ثلاث مدارس. لم يبق حي أو محلة في استانبول إلا وله في أحد منازله ذكريات طفولته. كان كلام والده هذا قد أصبح حلقاً في أذنه:

- في الدنيا مكان وفي الآخرة أمان!!

وعندما أنهى المرحلة الثانوية عام ١٩٣٠ كان والداه قد انتقلا إلى الدار الآخرة. ولأنه يعرف ماهية الإيجار والاستئجار، فقد قرر أن لا يتزوج إلا بعد أن يملك بيتاً خاصاً. بقي خمس سنوات بطقم واحد لم يعتد شرب السجائر والعرق، ولم يذهب إلى المسرح أو إلى السينما ولا إلى النزهات والرحلات. عاش كأحد الكهان البوذيين أو كفقير من فقراء الهنود.

بعد خمس سنوات استطاع، أن يوفر ألفي ليرة من بين أسنانه وأظافره (هناك مثل تركي شائع /لا يبقى من العمل إلا الأسنان/). وألفين من الليرات كان يُعد مبلغاً كبيراً لأمثاله. فأصبح باستطاعته آنذاك أن يشتري بيتاً بهذا المبلغ. هناك بيوت تباع بألف ليرة ولكن لا رغبة له فيها ولا يحسب من البيوت، فكر بينه وبين نفسه. (لأشتري عرصة (حاكورة) وأبني عليها

منزلي).

كان يأمل أن يكون منزله في أحد الأحياء القريبة من الساحل، تحيط به حديقة واسعة وقريب من مركز المدينة وإلاّ فلا.. وجد عرصتين مناسبتين فيهما من المواصفات الجميلة التي كان يريدها. طلبوا بإحدى العرصات مبلغ ثلاثة آلاف ليرة وبالثانية ثلاثة آلاف وخمسمائة ليرة. وكانت هناك عرصات تباع بألف ليرة ولكنها غير مناسبة له. كان عليه أن يعمل ليوفر المبلغ المطلوب ولبعض الوقت.

في عام ١٩٣٧ كان قد جمع مبلغ أربعة آلاف ليرة.. وضعه في جيبه وكان عنده من الثقة بأنه يستطيع أن يشتري أفضل مما خطط له في خياله وبدأ بالبحث عن عرصة.

ذهب إلى العرصة التي ثمنها ثلاثة آلاف وخمسمئة ليرة وجد أن نصفها مباع وبني عليه منزلاً حديثاً. وطلبوا في النصف الآخر مبلغ خمسة آلاف ليرة.

ذهب إلى العرصة التي طلبوا ثمنها قديماً ثلاثة آلاف ليرة فوجد أن سعرها قد أصبح ستة آلاف ليرة. أما العرصات التي كانت تباع بألف ليرة والتي لم تعجبه، فكانوا يطلبون ثمناً لها أربعة آلاف وخمسمائة ليرة.

وضع ماله في أحد البنوك. وبدأ يعيش حياة تقشفٍ شديدٍ أكثر. فتنازل عن السكن في الأحياء القريبة من الساحل وبدأ يبحث عن أي مكان يستطيع شراءه بما لديه من دراهم.

كان عليه أن يشتري عرصة، ويبني عليها منزلا، ويشتري أغراضاً للبيت ويتزوج ويكون له أولاداً بنين وبنات.

في عام ١٩٤٣ بلغ وفره خمسة آلاف ليرة، ومهما حاول جاهداً أن يشد على نفسه وأسنانه وألبسته، فإن الغلاء المتواصل لم يترك له مجالاً أن يوفر أكثر

من هذا.

العرصة التي سعرها أربعة آلاف ليرة كان قد بني عليها أربعة منازل وبقي قسم منها فارغاً، وكانوا يطلبون ثمنها ستة آلاف ليرة. لقد تنازل منذ مدة طويلة عن شراء عرصة داخل المدينة حتى أنه كان راضياً بالضاحية.. ولكن أين؟

لم يكن متقشفاً فقط بل أصبح وسخاً قذراً نذلاً لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس، وضع كل همه على جمع المال فقط.

بعد مدة من الزمن علا منصبه في العمل، وارتفع راتبه الشهري وأصبح يدخر المال أكثر من المعتاد. ولكنه لم يقدر إلا على توفير مبلغ سبعة آلاف ليرة حتى عام ١٩٥٠.

هل يستطيع شراء عرصة بهذا المبلغ؟ كانوا يضحكون أو يسخرون منه. لا يستطيع شراء عرصة بهذا المبلغ ليس ضمن المدينة أو خارجها حتى مكان صغير يتسع لكوخ حقير.

قديماً، طلبوا منه ألفي ليرة ثمناً للعرصة، فذهب لشرائها ولكن لم يبق منها سوى ١/٢٠ من مساحتها وبسعر أربعة آلاف ليرة. ولشراء عرصة لم يكن أمامه من الأمل سوى جمع المال الكثير. بدأ مرة ثانية وبعزم كبير على جمع المال، رسم مخططاً لمنزله الذي سيسكن فيه. يجب أن يكون فيه سجاداً تركياً وأعجمياً. وغرفة للنوم، وأخرى للضيوف وغرفة للطعام. وصالوناً كبيراً وغرفة للطفل الذي سيخلفه في المستقبل، كان يرغب بخمسة غرف. قديماً، كان يرغب أن يكون منزله من طابقين ولكنه بدَّل مخططه القديم.

في عام ١٩٥٤، استطاع توفير عشرة آلاف ليرة، (كانت استانبول طنجرة وهو كبجة) ظل يبحث عن عرصة بهذا المبلغ الصغير، فكان عليه أن

يشتري في سفوح /حكمجة/ أو /قرطل/ (اسمـاء أحياء في استانبول) وكـان باستطاعته شراء عرصة في هذين المكانين في تلك الأيام. لذلك وجب عليه أن يشد على أسنانه ويشد على بطنه أكثر حتى يجمع أكبر قدر من المال.

ماذا لو اشترى عرصة وبنى عليها بيتاً.. تنازل عـن الغـرف الخمسـة وعـن السجادات التركية والعجمية.. غرفة واحدة تكفيـه. وبمجـرد أن يبـني الغرفـة كان سيتزوج مباشرة.

في عـام ١٩٥٦، أحيـل إلى التقـاعد. فلـم يستطع توفـير المـال مـن راتبـه التقاعدي، مهما قتّر على نفسه. النهاية التي وصـل إليهـا بعـد عمـل دام ستة وعشرين عاماً هو مبلغ اثني عشر ألفاً من الليرات.

بهذا المبلغ الصغي،ر كان صعباً عليه شراء عرصة داخل المدينة أو خارجها أو قريبة من الساحل أو على رأس جبل. من كثرة بحثـه عـن العرصـات، فقـد بدت عليه علائم التعب، وأصبح أكبر بعشرين سنة من عمره. ومع هـذا ظـل كلام والده يطن في أذنيه:

"في الدنيا مكان وفي الآخرة ايمان"

كانت الأمكنة قد فقدت من هذه الدنيـا، وعليـه أن ينظر إلى آخرتـه. في إحدى الأمسيات وبينما كان عائداً من البحث عـن عرصـة، مـر بطريقـه إلى مقبرة فدخلها.. ما أجمل هذا المكان، إنها أشـبه بحديقـة المـنزل الـذي بنـاه في خياله.. حديقة جميلـة.. الأزهـار.. الأعشـاب.. المـروج.. اخضـرار جميـل.. وألوان من الورود والزهور، عندما رأى القبور المرمرية تمتم بينه وبين نفسه:

- إنني أود الدخول إلى أحد هذه القبور الجميلة مباشرة.

الموت لا بد منه سيأتي عاجلاً أم آجـلاً. يجـب أن أشـتري مكانـاً لقـبري.

أبنيه في حياتي كما أرغب وأتمنى.

كانت المقبرة تقع على تلة.. مقابل البحر، والنوم الأبدي هنا بين ظلال أشجار السرو والهواء العليل، أفضل له من الحياة، لا ليس بالأفضل ولكنه بالأسهل.

أسرع في اليوم التالي إلى مديرية المقابر ليشتري قبراً لنفسه. أجابه الموظف المسؤول:

- ليس من مكان شاغر في المقبرة التي تود الشراء فيها. ولكنه إذا أراد فإنه يستطيع أن يشتري في مقبرة أخرى تطل على مكان جميل بمبلغ عشرين ألف ليرة.

قال بخجل: أليس من مكان على قدر حالتي رخيص بعض الشيئ. الموجود بخمسة عشر ألفاً واثني عشر ألفاً وعشرة آلاف ليرة.

فكر بعض الشيئ وبما أن له تجربة ماضية في شراء العرصات والعقارات. قال ستهرول أسعار القبور كأسعار العقارات في اليوم الثاني. أنهى معاملة الشراء مباشرة في نفس اليوم، واشترى مكان قبره قبل أن يراه. وذهب يشاهده عن كثب. المقبرة غير مكشوفة ومكان قبره بين مجموعة من الأحجار المكسرة والمحطمة. ولكنه سر كثيراً ولمع بريق نظراته. وقال:"أووه.. هذا المكان لي.. لي".

بدأ يذهب إلى مقبرته يومياً كذهابه إلى العمل في الصباح الباكر. ويجلس جانب القبر بسعادة لأنه أصبح صاحب قطعة أرض. كان ينزع الأعشاب الضارة، ويزرع الأزهار، وكأنه ينتظر بشوق وحسرة يوم أن يبقى مكانه هنا.

- ١٣ -

صاحب عمارتنا

أسكن في بناية ذات سبعة طوابق، الطوابق الخمسة للبناية فوق الأرض والاثنان الآخران كالمناجم تحت الأرض. وتحت هذين الطابقين نصف طابق. ألا تتذكرون تلك الحزورة القائلة "رأس أبي تحت الأرض" أنا هكذا أسكن تحت الأرض كرأس أبي في نصف الطابق الثالث تحت الأرض، وسقف منزلي منخفض بحيث أفكر منذ مدة طويلة ولم أستطع أن أقرر بيني وبين نفسي /هل إن صاحب العمارة أخفض السقف/؟ ولكي يقول الناس عني ذكياً أحاول المستحيل أن لا أضرب رأسي بهذا السقف.. ومع أنني قصير القامة فإن السقف يضرب رأسي كل يوم كسيف /ديموكلاس/ قائلاً ويقظاً:

"عد إلى رشدك.. ليس هناك استانبول أخرى"

أشكر جداً هذا المنزل، لأنه ليس فيه ما نسميه /المناظر/، ولأن هذه المناظر الجميلة غير موجودة، فشهوة الإنسان تنكمش فيه يوماً بعد يوم.

وبالتالي نعيش بشرفنا وكرامتنا في منزلنا، على راتبنا المحدود براحة ما بعدها راحة. وبما أن الهواء لا يضرب بيتنا فلا نشعر بجريانه من أطرافنا. ولا نأخذ برداً ولا نشعر بتهلكة التهاب القصبات.. وعدم دخول الشمس إلى بيتنا يعطيه الأهمية القصوى. وبقدر ما تبحث الشمس عن عنواننا فهي لا تجده أبداً حتى تدخل بأشعتها إلينا. ولكن موظفي التنفيذ يجدون عنواننا الذي عجزت عنه الشمس. وكأنهم وضعوا البيت بأيديهم هنا. ولأن الشمس لا تدخل إلينا فستائرنا لا يصيبها البلاء ونحن أيضاً لا.......

هناك إيجابية أخرى لمنزلنا، بما أنه تحت التربة والأرض فلا أحد يستطيع أن يراقب حركاتنا وتصرفاتنا داخل المنزل. وإذا أراد أحد أن يكشفنا فعليه أن يشتري منظاراً كالموجود في الغواصات. حتى لو جاء الكشافون على كشف البيت فسنخرج كثيراً ونخجل منهم لأنه منذ عامين لم يبقَ شيئ في هذا البيت يستحق المشاهدة والكشف.

إن إيجابيات منزلنا مهما أحصيناها لا تنتهي. إن تهلكة الجفاف أو قلة الماء لا تقترب من منزلنا بشكل قطعي، إذا انقطعت كل مياه استانبول وإذا احترقت استانبول نفسها فنحن لا نبقَ بلا ماء. تترشح المياه من جدران منزلنا صيفاً وشتاءً.

خذ صنبوراً من الماء وضعه في مكان مناسب في أحد الجدران، وافتحه، ترى الماء يسيل مسيلاً عادياً وهو يهدر. ولماذا هذا التعب.. إن المجلى الموجود في المطبخ يمتلئ على الدوام بالمياه.

كان المستأجر الذي قبلنا مجداً بعض الشيئ على ما أعتقد. ففي أشهر الصيف الحارة، وعندما كانت المياه تنقطع عن استانبول، وشفقة على السكان، فقد وضع زجاجات في الجدران يعبئها بالمياه ويعرضها في السوق على أنها مياه /منبا الجدارية/. في ذلك الوقت تحول منزلنا إلى مكان بيع بالجملة. بائعو المياه كانوا ينتظرون أدوارهم في طابور طويل لشراء المياه... وكم كانت تلك المياه قوية. بحيث إذا شرب منها إنسان ما زجاجتين.. لا يظل في أعماقه شيء من القضلات والأدران والأمراض. وإذا شرب أحدهم أكثر من عشر زجاجات من هذه المياه.. لا ينزل من كليتيه البحص والرمل والحجر فقط... ولكن تنزل معها كل أعضائه كالحالب والكلية والأمعاء دفعة واحدة. عندها بدأت مياه المنبا الجدارية تباع /بالراشيتات/ وإذا شرب

أحدهم الماء عشرة أيام متواصلة كانت تتكلس أعضاؤه من فمه إلى أسفل أمعائه. والناس الذين شربوا أكثر تجمدوا وأصبحوا كالهياكل الحجرية.

أما صاحب البيت، عندما رأى المستأجر الذي كان قبلنا بدأ يبيع المياهالتي ترشح من جدران منزله، ويربح أموالاً طائلة جاء بتقرير طبي من مديرية الصحة.. وأخرج المستأجر من المنزل. وجئنا نحن بعد ذلك المستأجر حيث انتقلنا إلى هذا البيت. ولكن وضعت مادة في عقد الإيجار تمنع تجارة المياه المرشحة من الجدران. بالأصل كان صاحب البناية قد حول قسماً كبيراً من المياه إلى البناية التي يسكن فيها. و لم يبقَ لنا ماء نتاجر به. إلا أن هناك من المياه ما يكفينا.

هناك شيئ آخر في الطابق الذي نسكن فيه وهو كثرة الرطوبة في الممشى، مما يؤدي إلى تشكيل مادة كيميائية نفيسة وغالية الثمن /كوهارجلي/. أصبحنا نجمع هذه المادة ونبيعها /للمبيِّض/ الذي يبيِّض الأواني المطبخية والنحاسيةوأصبحنا نعيش على أعصابنا من الخوف.. إذا ما سمع صاحب البناية بهذه التجارة الجديدة فيخرجنا من البيت كالمستأجر الأول.

إيجابية منزلنا لا تحصى أبداً، سأذكر لكم إيجابية أخرى.

لا يأتي إلى منزلنا ضيوف أبداً، لو كنا نسكن منزلاً فيه الهواء النقي.. والمنظر الجميل.. والشمس الساطعة.. فإننا لا نستطيع حك رؤوسنا من كثرة الضيوف.

ثم إن هناك ما يضحك المرء من الحرج والخجل، عندما يقال لنا: أين تسكنون؟ نجيبهم بكسل:

- في البناية الفلانية، تكفي للإنسان هذه الكلمة.

في اليوم الأول من كل شهر يظهر علينا صاحب البناية كنظام /فيونوم/،

عندها نفهم أننا أصبحنا في أول الشهر بمجرد رؤيتنا له. إذا طلبنا منه إمهالنا يوماً أو يومين من الزمن لنفي إيجارنا، يبدأ عندها بالبكاء والعويل بحيث يفكر الإنسان أن عليه منحه حسنة فوق إيجاره من كثرة بكائه. مسكين صاحب بنايتنا فيكل شهر له استحقاقات شهرية تقدر بآلاف الليرات ليدفعها.. يأتي بها ويرميها لنا وهو يقول:

- إذا كنت لا تصدق.. انظر!

لمنزلنا خصوصية أخرى.. فيه.. النمل والذباب .. حشرة التسبيح، أم الأربع والأربعين، عقارب، حلزون، حيات، الحشرة العضمية، /قرة فاطمة/ الصراصير، العنكبوت وغيرها من الحشرات التي تعرف والتي لا تعرف، كلها موجودة في منزلنا. يقال أن بروفسوراً ألمانياً مختصاً بعلم الحيوان كان مدرساً في جامعة استنبول، جاء إلى البناية وزار الطابق الذي نسكن فيه للكشف لدراسة الحشرات الموجودة فيه. وكان قد كشف عن ثلاثة أنواع من الحشرات التي لم يكتشفها علماء الحيوان حتى الآن. ثم إنه حصل من طابقنا على أغنى مجموعة من الحشرات. كان صاحب البيت قد قصَّ لنا هذه الحادثة عندما أجَّر لنا المنزل. حيث قال يومها:

- قال لي البروفيسور الألماني، حرام عليكم، لا تعرفون قيمة هذه الحشرات أبداً. لو كان لدينا مكان مثل هذا المكان لحولناه إلى متحف للحيوانات. ولا داعي لارسال ولدك إلى المدرسة. لأنه يشاهد هنا جميع أنواع الحشرات والحيوانات، ولهذا السبب لا أُنزل من الإيجار عشرة بارات.

يقال أن صاحب عمارتنا كان يعمل بواباً في إحدى العمارات. استولى أولاً على الباب ثم على العمارة.

حدث أني لم أدفع إيجار شهرٍ من الشهور، فجاء إلى المحلة التي كنت أعمل

فيها حيث دخل المحاسبة وتعرف عليه معلمي، لأنه كان يعمل عنده بواباً قبل عشرين عاماً.

- ماذا هناك يا علي أفندي؟

- جئت لآخذ الإيجار.

- وأي إيجار؟

- السيد حسن ساكن في عمارتي مستأجراً.

- كيف؟ هل تملك عمارة أيضاً.

فهم صاحب البناية حيرة معلمي حيث قال له:

- أنا يا سيدي.. صار لي اثنين وعشرين عاماً في استانبول أمضغ أرصفة استانبول مضغاً. ألا يحق لي أن أملك بناية؟

بما أنني ولدت وترعرعت وكبرت في استانبول، ليس اثنان وعشرون عاماً ولكن اثنان وأربعون عاماً.. خجلت من حياتي في هذه المدينة. أنزلت رأسي نحو الأرض ومن بعدها إذا سألني أحدهم من اين أنت؟ أقول له أنا من /سيواس/ جئت إلى استانبول من ستة أشهر فقط.

صاحب بنايتنا لا يملك هذه العمارة فقط بل واحدة أخرى قريبة. ومنزل آخر في /نيشان طاشي/ (حي في استانبول) ثم عدة عقارات في عدة أماكن. في بداية كل شهر وفي كل مجيئ له لأخذ المال أقول له وهو يضع أمامي لائحة ديونه التي سيدفعها:

- أمان يا سيد علي.. متى حصلت على كل هذه الأملاك والأرزاق؟

وكان يقول لي: عيبٌ إن لم نفعلها يا سيد حسن أصبح لي اثنان وعشرون عاماً أمضغ أرصفة استانبول.

قبل أيام وقعت على رأس صاحب عمارتنا مصيبة كبيرة. قبض المراقبون عليه وهو يلعب بالسوق السوداء، فوضعه المدعي العام في السجن.

إن الإنسانية لم تمت بعد، لقد فعل لنا الرجل الخير الكثير فأخذت له أربع علب سجائر وذهبت إلى زيارته في السجن، وجدته يبكي خلف قضبان السجن. قلت للمسكين آخذاً خاطره ومقوياً معنوياته:

– لا تهتم يا علي أفندي، أصبح لك اثنان وعشرون عاماً في استانبول ولم تدخل سجناً خلال هذه المدة؟ لا تهتم. ستدخل وستخرج كثيراً وستتعود.. يا أخي.. لا تهتم.

- ١٤ -

وصلت إلى سن الرشد

قبضت مجموعة من شرطة الآداب المكونة من ستة عناصر على خمسة أزواج ونصف الزوج من الرجال والنساء وهم في أوضاع غير لائقة ومخلة للآداب العامة، وذلك في بيت سري. والنصف الذي ذكرته هي أنثى. لم يأتِ مشتريها بعد. فقبضت عليها الشرطة قبل أن تكون زوجاً سادساً. كانت تشعر بالخزي والعار وهي ترى زميلاتها وهن خارجات من الغرف زوجاً زوجاً. هل باستطاعة الشرطة أن تتأخر نصف ساعة أخرى حتى يقبض عليها مع مشتريها؟.. لَمِ العجلة من البوليس هكذا؟ لو انتظروا نصف ساعة أخرى لكانوا شاهدوا مشتريها الغني والوسيم، ولأنه تم القبض عليها في حالة افرادية كانت المسكينة قد أحست بأن مسلكها قد ذُمَّ واحتقر.

في البداية نقلوا النساء بسيارة إلى أقرب مخفر، وهناك سُئِلن عن هوياتهن. إحدى البنات ذات العيون المكحلة والنهدين كحجم الفاكهة، قالت إن اسمها /بغدا كول/ وذكرت أن عمرها أربعة عشرة عاماً. ولم تكن الشرطة قد سمعت بهذا الاسم من قبل.

بدأ أحد أفراد الشرطة يسجل أسماءهن على السجلات كالجائع الذي يرى نوعاً من الحلويات تسمى (صرة النساء) ولعابه يسيل سألها:

- من أين أنت؟

أجابت البنت الصغيرة: أنا من بوسوف.

في النهاية أخلوا سبيل الرجال وحولوا النساء إلى مشفى البيت الزهري

لمعاينتهن. بقين أسبوعاً في المشفى حتى تمت معالجة أمورهن الصحية. لكن حالة البنت الصغيرة /بغدا كول/ ذات العيون المكحلة... كانت صعبة ومعقدة. غادرت يوسوف قبل ثلاث سنوات.

سأل المفتش أحد العناصر: - أين تقع /يوسوف/ يا سيد /زاكي/؟

- هل تقول يوسوف؟.. يوسوف..؟

قال أحد العناصر: - يجب أن تكون بعد /انطاليا/.

بما أن البنت صغيرة وليس لها أحد يستلمها فقد تردد أفراد الشرطة، ماذا يفعلون بها. أما بقية النساء فقد استلمهن أزواجهن أو أمهاتهن أو عشاقهن أو السيدات اللواتي يعملن عندهن.

- يجب أن نرسلها إلى بلدها.

كان هذا آخر قرار اتخذوه. و لم يبق شرطي واحد إلا ويعرف مكان يوسوف.. ناحية من نواحي مدينة /كارس/ على الحدود الشرقية للبلاد.

قال رئيس شرطة الآداب: اكتبوا مذكرة للبلدية.

قام عنصر من العناصر الخبيرة في مثل هذه الأمور بعد أن أخرج من إحدى الملفات مذكرة شبيهة بالمطلوبة ونظمها على الشكل التالي:

"إلى الرئاسة العليا في بلدية استانبول"

الملخص: معاملة بنت صغيرة، تم القبض عليها في بيت سري في وضع غير لائق، لم تصل بعد إلى سن الرشد.

الموضوع: تم إخبارنا من قبل شخص يعرف بـ /يغسير رجب/ يعيش على المال الذي يأخذه /كبخشيش/ من بعض بيوت الدعارة والبيوت العامة. أخبرنا بأن سيدة لها سوابق متكررة وهي من سيدات المجتمع وتسمى /نارمين/

القاطنة في /شيشلي/ زقاق /الكبابلي/ بناية /مامبو/ الطابق الثالث، تشغل النساء في منزلها

وفي ليلة ٣-٦-١٩٤٦ الساعة صفر صفر خمسة جرت مداهمة المنزل بقيادة المفتش /هداية جنرال/ مع ثلاثة من عناصر الشرطة وطاقم من شرطة الآداب العامة. وألقي القبض على خمسة أزواج ونصف الزوج من النساء والرجال وهم متلبسون بالجرم وفي أوضاع غير لائقة.. ولم نترك لهم مجالاً للهرب أو الدفاع. وبعد أن تم تسجيل أسماءهم في سجلات السوابق و إكمال جميع المعاملات بحقهم تم نقلهم إلى مشفى الأمراض الزهرية. إلا أن واحدة منهن وتدعى /بغداي كول/ والتي تعمل تحت اسم مستعار /ليلى/ والتي لم تبلغ بعد سن الرشد ولها من العمر أربعة عشر عاماً. ربما ينص القانون بوجوب تسليمها إلى أهلها. وأهلها في ولاية /كارس/ ناحية /بوسوف/ وبرفقة شرطي. وبناء على المادة "...." في النظام الداخلي دفع المهمة للشرطي المرافق للبنت. ننتظر إشارتكم وأوامركم.

مع كامل الاحترام والرجاء.

قرأ الشرطي المذكرة ثانية في أعماقه وثالثة بصوت عال لأن عمله كان دقيقاً وجيداً وأعجبه كثيراً ثم كتبه على الآلة الكاتبة.

صحح الرئيس خطأين من الآلة الكاتبة، كان قد كتب حرف /م/ بدلاً من حرف /س/ وبناية مامبة قد أصبحت بناية /مامبو/. قال الرئيس وهو يركز فاصلة بين الكلمتين:

- لماذا لا تنتبهون إلى الأوراق الذاهبة إلى المقامات العليا؟

غضب العنصر الذي كتب مسودة المذكرة بعض الشيئ لأنه لا مكان للفاصلة بين الكلمتين. ولكنه لم يفه بكلمة واحدة.

وقع المدير المذكرة مع الأوراق الأخرى وذهبت الأوراق إلى التسجيل الصادر.

كانت ليلى واسمها الأصلي /بغداي كول/ تنتظر في المخفر. حلَّ المساء وبدأ عناصر الشرطة بالذهاب إلى منازلهم. قال العنصر المختص:

– ماذا جرى لأوراق هذه الفتاة؟

– ذهبت إلى التوقيع.

بعد مرور ثلاثة أيام من خروجها من المشفى كانت ليلى لا تزال واقفة في /الممشى/ سألها الضابط المناوب:

– ماذا تنتظرين يا ابنتي؟

قال العنصر المسؤول عنها: ألقينا القبض عليها في بيت الموعد، كتبنا أوراقها، ذهبت إلى التسجيل، سترسل إلى بلدها..

مرت عشرة أيام والعناصر الطيبون الانانيون يعطون الطعام لليلى، وهي تقدم لهم بعض الخدمات الصغيرة. وقد تعلمت أشياء كثيرة جداً. كانت تأخذ الأوراق إلى الأقسام والشعب وتأتي بها. وتعرفت على أسماء كل العناصر الموجودة في المديرية والأقسام. وتحضر لهم الشاي والقهوة والكازوز.

– ماذا جرى لسجل ليلى؟

– بعثنا الأوراق وننتظر الجواب. ليلى هيا اذهبي إلى السيد تحسين ليخرج من الملف ج أوراق /ماريكا بولوس/ وأحضريها إلينا.

مر اسبوعان كاملان.

قال أحد العناصر المتسرعين:

– لنكتب كتاباً جديداً تأكيداً على الكتاب الأول. لأن الجواب لم يأتِ

بالنسبة إلى ليلى.

تم تذكيرالبلدية ثلاث مرات. وبعد مرور شهر على مجيئ ليلى إلى المخفر قال أحد العناصر: بشرى لك يا ليلى لقد جاء الرد على كتابنا.

كان الجواب على الشكل التالي:

جواباً على كتابكم تاريخ.. الموضوع.. نفيدكم علماً:

إن البنت التي قبضتم عليها في بيت الموعد التابعة لسيدة المجتمع /ناريمان هانم/ والتي كانت في وضع غير لائق، والمسماة /بغداي كول/ والتي مع الأسف لم تبلغ بعد سن الرشد، وهي في الرابعة عشرة من عمرها. وفي كتبكم المتكررة إلينا تطلبون منا إرسالها إلى بلدها /كارس/ ناحية بوسوف برفقة شرطي وتطلبون فيها تخصيص مهمة لهذا الشرطي من ميزانيتنا، وبما أن الفقرة /م/ من المقطع /ك/ من المادة رقم /٤/ تنص أن على البلدية والجهات المختصة، أن ترسل وعلى حسابها الخاص الناس الذين ليس لهم أحد أو البنات الصغار إلى أوطانهم على حساب البلدية، وتخصيص مبلغ من المال للشرطي المرافق. ونصت المادة رقم /١٠/ الفقرة الخامسة من النظام الداخلي أن تلتزم البلدية بنقل هؤلاء الأشخاص من حدودها إلى حدود بلدية مجاورة أخرى. هذه المادة واضحة وصريحة وبناء عليه فإننا وبالنسبة إلى هذه /الموقوفة/ والتي حملت رقماً في عملها الليلي، أن نأخذها ونسلمها إلى حدود بلدية /ازمت/ المجاورة. ومنها إلى الولاية الأخرى... حتى وطنها /كارس/ ومع كل هذا ومهما كانت البلدية ملتزمة على سوقها حتى حدود ولاية أزميت، وبما أن هذه الحالات، أي حالات نقل المقطوعين والمساكين والذين ليس لهم أحد، قد كثرت في الأيام الأخيرة، وأن مخصصات بلديتنا الخيرية التي وضعت لمثل هذه الأمور، قد صرفت و لم يبقَ قرش واحد. نرجو أن ترسلوا

/بغداي كول/ والتي تعمل تحت اسم /ليلى/ والتي قبض عليها بالجرم المشهود في بيت السيدة /ناريمان/ أن ترسلوها مع شرطي أو عنصر له مهمة في أزميت، يرافقها ويسلمها إلى بلدية ازميت.

يجب الانتظار أربعة أيام أخرى حتى يذهب أحدهم بمهمة إلى ازميت. وبعد توجيه كتاب إلى بلدية ازميت يتضمن شرح حالة /بغداي كول/ وكيف تم القبض عليها وفي أي منزل وفي أي يوم وساعة وإلى ما هنالك. ثم ختم الكتاب بهذه الفقرات: "نرجو أن ترسلوا لنا إيصالاً بأنكم استلمتم ليلى شاكرين تعاونكم".

شعرت العناصر الموجودة في مديرية الآداب العامة بالحزن الشديد على فراقهم ليلى. لأنهم قد اعتادوا عليها.. وليلى بالمقابل أحست بهذا الحزن.

سلمت ليلى مع ملف كبير إلى بلدية ازميت. أما البلدية فقد أرسلت ليلى إلى مقر قيادة الجندرمة وبقيت هناك خمسة عشر يوماًوتم نقلها بعد هذه المدة مع عنصرين من عناصر الجندرمة إلى بلدية /بيلاجيك/، وبقي الشرطي هناك أكثر من شهر ونصف الشهر. مرّت في خمسة مخافر للجندرمة، وكثرت أوراقها فأصبحت ملفاً كبيراً. ذلك لأن كل بلدية كانت ترسل كتاباً للبلدية المجاورة للتذكير والتسليم والاستلام. وصل الملف الكبير إلى بلدية اسكي شهر لكن البنت كانت غير موجودة. كان جميع موظفي البلدية ينتظرون ليلى أو بغداي كول بلهفة التي أصبحت مشهورة.

كان الموظف المناوب في تلك الليلة محظوظاً لأنه استقبل ليلى.

لم يبق من مخصصات بلدية /اسكي شهير/ الخيرية قرشاً واحداً. بقيت ليلى هناك حتى ظهور مخصصات إضافية وبعدها جرى تسليم ليلى إلى الجندرمة ثانية. كانت ليلى تسلم من مخفر إلى مخفر في هذه الحالة بدت مهمة عناصر

الجندرمة سهلة.

سُلّمت إلى بلدية أنقرة بعد القبض عليها بستة شهور. ومن أنقرة أرسلت إلى /كيوك قلعة/ ومنها إلى /جوردم/ أو /يوزغاط/ هنا وقعوا في شبهة أي ولاية أقرب.. العمل الأفضل كان يجب أن ترسل إلى /يوزغاط/ ولكن ثمة صديق لليلى كان موجوداً في /جوردم/.

أصبح ملفها كبيراً جداً والرسائل التي كانت ترسل قبل وصولها إلى الولاية الأخرى .إضافة إلى رسائل توصية كثيرة كانت ترسل من ولاية إلى أخرى، وهذه برقية أرسلتها بلدية /قيصري/ إلى بلدية /يوزغاط/ جاء فيها:

"جواباً على كتابكم تاريخ.. رقم..

إن أوراق المدعوة /بغداي كول/ واسمها الثاني ليلى والتي قبض عليها من قبل البوليس الأخلاقي في بيت الموعد التابع للسيدة ناريمان والتي لم تبلغ بعد سن الرشد في العام الماضي في الليلة الثالثة من شهر حزيران. إن هذه البنت لم تصل إلينا مع العلم أن أوراقها وصلت منذ ثلاثة أشهر. فالرجاء إعلامنا أين بقيت المدعوة ليلى مع أن معاملتها لدينا منتهية. يرجى تبليغنا عن مكان توقفها ولماذا لم تصل حتى الآن إلى بلديتنا."

يرجى أخذ العلم.

جاء الجواب التالي على البرقية: أن المدعوة ليلى قد أرسلت عن طريق /آماسيا/ الناحية الشمالية وليس عن طريق قيصري. وبناء عليه يطلب من البلدية إرسال كامل ملف وأوراق ليلى إلى بلدية /آماسيا/.

غضبت بلدية قيصري غضباً عظيماً من هذا التصرف. وطلبت بكتاب آخر. يجب على ليلى أن تأتي إلى بلدية /قيصري/ لأن معاملتها هنا قد انتهت، فقد أعدت /سيواس/ المهمة للمرافق الذي سيأخذها مهما كانت

الأسباب التي دفعت المسؤولين إلى نقلها عن طريق الشمال إلى/آلآماسيا/. جرت المناقشات والمناوشات عن طريق الكتب والبرقيات.. وأخيراً انتهت المشكلة وحُلت بين البلدتين قبل أن تكبر وتصل إلى المسؤولين الكبار. وتم تسليم ليلى إلى بلدية /قيصري/.

لم يمض أكثر من شهرين على بقاء ليلى في بلدية /قيصري/ حتى بدأت بلدية سيواس بالسؤال عن حال ليلى وما آل إليه مصيرها. وأنها لم تصل بعد إليها حيث أن معاملتها لم تنته بعد وتم إرسالها مع أحد العناصر إلى البلدية.

من سيواس أرسلت إلى /أزربيجان/ ومنها إلى /أرض الروم/. في أرض الروم كانت الطرق الواصلة إلى /كارس/ مقطوعة فأبقوها ريثما يرسلوها عن طريق آخر إلى بلدتها في /كارس/ وفي اليوم الذي كانوا فيه على وشك إرسالها اختفت ليلى من الأوساط.

تداخلت كل البلديات التابعة للولايات بعضها ببعض. كيف لم يستطيعوا ايصال هذه المسكينة سالمة إلى أهلها، وخاصة بعد أن نشلوها من مستنقع الأوحال الذي كانت غارقة فيه في استانبول.

بعد غياب ليلى باسبوع واحد. تم القبض عليها ثانية في استانبول في بيت جديد فتحته السيدة ناريمان.

احتجزت ليلى ثانية وقال رئيس شعبة الآداب:

- اكتبوا للبلدية كي تصرف مهمة ارسالها إلى بلدها.

قالت ليلى وهي تتمختر في كلامها:

- لا أحد يستطيع أن يرسلني إلى أي مكان. لقد بلغت سن الرشد. أنا الآن في الثامنة عشر من عمري هيا أعطوني وثيقتي بسرعة.. لأذهب من هنا ولأعمل بحرية في أي مكان أريده.

- ١٥ -

القبض على بابا نويل

عثرنا على منزل /بابا نويل/ بعدما وجدنا منزل أمنا مريم قبله في بلادنا. وإذا كان السياح الأجانب يرفضون الحضور إلينا فيجب أن نعقد العزم للعثور على بيت أمنا حواء وأبينا آدم.

لم يعرج بابا نويل إلى منزلنا ولو لمرة واحدة في أعياد رأس السنة. يقول /مثل عامي/ "إذا لم يمش الجبل فالأحمق يمشي" فإذا لم يأتِ إلى منزلي فأنا سأذهب إليه.

كنت مستغرقاً النظر إلى الصورة الموجودة على الطابع الذي أخرجته دائرة البريد لبابا نويل في شوارع انطاليا، وبعد عناء طويل عثرت على بيت بابا نويل. وعندما عرَّفته بنفسي قال لي:

- بعد قليل كنت سأخرج لأوزع هدايا الأطفال أحسنت بالمجيئ إلي.

قال لي.. وهو يجمع الهدايا ويضعها في أكياسه:

- أحب الأطفال كثيراً، في ليلة رأس السنة من كل عام أهبط من المداخن إلى بيوت الأطفال الذين لا معيل لهم وأعطيهم هداياهم.

قلت له: هذا جميل يا بابا نويل ولكن الأطفال البؤساء لا يأخذون شيئاً من الهدايا. كل هداياك تذهب إلى الأطفال الأغنياء.

قال: ليس الذنب ذنبي، لقد قلبتم وجه الدنيا رأساً على عقب. وكذلك عندما أدخل منازلكم تنقلب الأمور عكسياً.

قلت: ولماذا لا تضعون الماكياج؟ بابا نويل الذي نعرفه له ذقن طويلة من القطن تصل إلى صرته، وشوارب كبيرة وكذلك الجفون.

صرخ: أي واه.. إذن لم تبقوا شيئاً في الدنيا إلا وجعلتموه مسخرة. إذن أنا الآخر جعلتموني مسخرة مثل أولئك الفنانين الذين يمثلون في الأفلام التاريخية. هكذا إذاً؟!!

عندما حان الوقت قال لي:

- هيا أغمض عينيك، نحن ذاهبان.

- في الأصل عيوننا مغمضة. لأن العيون المفتوحة لا تعطي لنا فرصة لفتحها. أخذ بيدي وبدأنا بالطيران فوق الغيوم. ثم نزلنا على سطح بناية. عندما اقتربنا من المدخنة وجدنا بعض السواد.

مجموعة من الرجال كانوا يمارسون اللعب /بالمفرد والمزوج/ وكانوا يلعبون الخزازير:

قبضة اليد مغلقة: زوج أم فرد؟؟

- إذا كان زوجاً ماذا ستعطيني؟

- إما وليمة منك أو مني.

- مني ماذا؟

قال بابا نويل: لن ندخل إلى هنا. لأن شرطة الأخلاق دخلت قبلنا وستهاجم بيت الموعد. في الأسفل أزواج في أوضاع غير لائقة، والرجال يلعبون بالمفرد والمزوج ويشترطون عليها.

- مني مزوج!.. صرخت من أعماقي. عندها مسكني بابا نويل من يدي وطرنا في الهواء وهو يقول: اصمت. هل تريد أن توقعني في مأزق؟

الحاصل أن بابا نويل كان قد قُبض عليه في ليلة رأس السنة الماضية في إحدى البنايات.

نزلنا على سقف عمارة أخرى، عندها تمتم بابا نويل:

- هاي.. أيها الشيطان.

- ماذا هناك؟

- انظر إن عناصر الشعبة الثانية ينزلون من المدخنة ليقبضوا على المقامرين.

في العمارة الثالثة وبينما نحن ننزل من المدخنة وإذا بصراخ يعلو من الأسفل.

- بوليس.. بوليس...

- لقد فرم رجل زوجته وشقيقتها والآن يقطع حماته.

انهزمنا بصعوبة. جئنا إلى البناية المجاورة.

قال بابا نويل: ماذا حصل لهذا المكان؟ لم أرَ أموراً مغايرة بهذا الشكل.

- ماذا هناك أيضاً؟

- هل أنت أعمى؟ انظر إلى البوليس. سيهاجمون معمل /الايروين/.

أكياس الهدايا على أكتاف بابا نويل.. لم نقدر حتى الآن الدخول إلى أية بناية عن طريق المداخن، وعندما حاولنا النزول إلى إحدى البنايات كان رجل يحاول الخروج من مدخنتها.

سألته: وماذا يعني هذا؟

قال: اخرس. على الأغلب جاء زوج المرأة. والأزعر يهرب من المدخنة.

في هذه المرة كنا سندخل المنزل من إحدى المداخن مهما كلف الأمر.

قال بابا نويل: ليس لنا نصيب هنا أيضاً. السارقون دخلوا قبلنا. وإذا شاهدونا سيأخذون كل ما بأيدينا.

غضب بابا نويل كثيراً. فقد هبطنا من فوق السطوح إلى الشارع. وصرخ قائلاً:

- ما هذه الرذالة؟.. ما هذه الفضيحة؟ مداخن البيوت تعمل أكثر من أبوابها!! أليس هناك أمان؟ أين الديمقراطية؟ أين هي الحرية؟

كان بابا نويل يزداد غضباً على غضب كلما كان يصيح بقوة.

- نريد تغييراً للدستور. نريد أماناً من القضاة. نريد مجلساً مزدوجاً. نريد حرية للجامعات. نريد حليباً صافياً؟ نريد حديقة للأطفال!

عند كل صياح لبابا نويل كانت الزحمة تزداد حولنا.

- نريد قطع غيار. نريد مساميراً ونضاوي!

في هذه الأثناء قبض شخصان على ساعد بابا نويل. وسأله أحدهم:

- هل أنت من جماعة التاسعة عشرة؟

- لا أبداً.

- من أي حزب أنت؟

- لا أنتمي لأي حزب.

همس بابا نويل في أذني:

- خذ هذه الأكياس ووزعها لا أحد يعرف متى أعود.

اقتاد البوليس السري بابا نويل إلى جهة مجهولة.

- ١٦ -

العقــار

ظهر هذا الإعلان في الصحف:

"تعلن الدائرة الثالثة للتنفيـذ في اسـتانبول، عـن إجـراء مزايـدة علنيـة لبيـع العقار المحجوز مساحته ٧٨متراً مربعاً والكائن في حي البيازيد زقاق.. وذلـك يوم الأربعاء الواقع في ٢-٥-١٩٥٦ الساعة ١٦،٣٠-١٧،٠٠. إذا لم تصـل المزايدة إلى قيمة التخمين ٧٥٪ فستعاد في يوم الجمعـة الموافـق ٤-٥-١٩٥٦ في نفس التوقيت السابق. وسيتم البيع حسب الأصول لمن يدفع أكثر".

في الوقت المحدد كان صالون دائرة التنفيـذ يغـص بالمشـترين الذيـن عليهـم دفع التأمينات الأولية للمزايدة. وكان جُلّهم من أصحاب الأملاك المشـهورين في المدينة. كلٌّ واحد يعرف الآخر تمام المعرفة. ولكن اثنين مـن هـؤلاء، كانـا رقيبين عنيدين، وخصمين لدودين لبعضهمـا وهمـا: السيد إحسـان صـاحب مكتـب /هـانور أمـلاك/ والسـيد يشـار صـاحب مكتـب /غرانـتي ويـابي للإنشاءات/ وبعد أن تصافحا بـبرودة واضحة. وقـف كـل واحـد منهمـا في إحدى زوايا الصالون. وكانا يراقبان بعضهما بدقة. وفي السـاعة المعلنـة، بـدأ موظـف التنفيـذ في التعريـف عـن العقـار. "شمـالاً المحـل الفلانـي، شـرقاً لمحـل الفلاني، وبعد أن ذكر كل المواصفات الموجـودة في العقـار وقيمتـه التخمينيـة التي وضعتها دائرة التنفيذ بدأ يقول بصوت مرتفع:

- ألفان وثلاثمائة وسبعون ليرة.

ساد صمت عام.. ثم أنين خاص.. وصرخ أصحاب الأملاك:

- ثمانون.

نادى الدلال: ألفان وثلاثمائة وثمانون ليرة.

سمع صوت من الخلف: ثلاثة آلاف.

كرر الدلال ذلك.

اقترب السيد إحسان صاحب مكتب هانور أملاك، من الرجل الذي قال ثلاثة آلاف. وقال له: مائتان يا سيد عارف.

قال السيد عارف: غير ممكن. إذا تدفع خمسمائة ليرة أنسحب.

بينما كان الدلال ينادي: ثلاثة آلاف.. ثلاثة آلاف. كان السيدان إحسان وعارف قد اتفقا على ٤٠٠ ل. وبعدما قبض السيد عارف الـ٤٠٠ ل. انسحب من المزايدة. عندها صرخ إحسان:

ثلاثة آلاف ومائة.

- ثلاثة آلاف ومائة ليرة!...

كان السيد يشار صاحب مكتب /غرانتي ويابي أملاك/ يراقب كل تحركات وتصرفات غريمه السيد إحسان. وشاهد أيضاً كيف دفع للسيد عارف مبلغ أربعمائة ليرة لينسحب من المزايدة. عندها غمز لأحد الرجال الواقفين أمامه، فتحرك الرجل البدين الذي له هيئة سكير، فنادى بأعلى صوته ثلاثة آلاف وخمسمائة ليرة. حاول السيد إحسان أن لا يعطي أهمية لهذا الرجل وكلامه ولكن ثمة صوت آخر ارتفع من هناك:

- لي بثمانمائة.

توجَّه السيد يشار إلى الرجل وقال له.

- أعطيك مائتي ليرة كي تنسحب يا سيد رضا.

قبل السيد رضا بأربعمائة ليرة وانسحب هو الآخر من المزايدة.

- أربعة آلاف.

كان هذا الصوت لأحد رجال السيد إحسان. فصرخ رجل السيد يشار بعد أن أخذ إشارة من معلمه:

- أربعة آلاف وخمسمائة ليرة.

كان السيد إحسان والسيد يشار واقفين وكأن الأمر لا يهمهما أبداً. ولكن كل واحد منهما يراقب حركة الآخر بدقة. رجالهم كانوا يتصرفون بعد الإشارات المتفق عليها مع معلميهم.

حاول الإثنان إخراج جميع المشتركين في المزايدة بدفع بضع مئات من الليرات.

وبدا السيد إحسان غاضباً جداً فصرخ شخصياً:

- خمسة آلاف.

فأجابه السيد يشار: ستة آلاف.

كان السيد إحسان يمثل أنه غاضب. فهو يعلم حسب حساباته الشخصية أن العقار دفع له أكثر مما يستحق، وكان قصده أن يباع العقار للسيد يشار بمبلغ كبير (أي يوقعه في الشرك) وأخيراً حصل ما خطط له. بقي العقار للسيد يشار بستة آلاف ليرة أما هو فقد دفع مبلغ تسعمائة لوجه الله.. هذا ما كان يحصل في بعض الأوقات. ثم أن خصمه اشترى العقار بسعر مرتفع مع أنه دفع زيادة ألف وثلاثمائة ليرة للمنسحبين من المزايدة.

غادر المشتركون قاعة المزايدة. عندها بدأ السيد إحسان يعود إلى رشده. كيف حصل ذلك؟ فقد ظن أنه أوقع السيد يشار في شرك وهو ملاك كبير

يعمل منذ ثلاث وثلاثون عاماً في هذه المصلحة. بالتأكيد لم يخسر السيد يشار. ربما يعرف شيئاً عن هذا العقار، وربما سيبيعه للقطاع العام أو ربما سيفتح مقابله شارع جديد. وعندها سيربح شرفية كبيرة. بالتأكيد أكل /الخازوق/ عندما ترك العقار للسيد يشار.وسط هذا الانفعال الكبير، توجه إلى مكتب خصمه وبعد أحاديث جانبية دخل في الموضوع.

- هل تبيعني العقار الذي اشتريته اليوم يا سيد يشار؟

كان السيد يشار قد فهم حال خصمه وأنه أكل الخازوق لعدم شرائه العقار، فرأى في ذلك فرصة سانحة فقال: عشرة آلاف.

- ليكن ما تريد.

عدَّ السيد يشار المبلغ وتم التوقيع على العقد.

في تلك الليلة لم يستطع السيد يشار أن ينام ولو إلى لحظة. لم يكن يعلم في حياته أن السيد إحسان قد اشترى عقاراً بهذا الشكل ودون مساومة. فقد دفع العشرة آلاف دون إزعاج أو إشكال لا شك أن في العملية لغز محيِّر؟. إما أن أسعار العقارات سترتفع دفعة واحدة، أو أن سعر الذهب سيهبط. هناك شيئ ما. طال الليل وتأخر الصباح كثيراً بالنسبة له. باكراً جداً ذهب إلى مكتب خصمه وتحدثا عن الطقس والأعمال ثم قال:

- هل تبيعني العقار الذي بعته لك بالأمس؟

فكر السيد إحسان: يجب أن أقول له سعراً لأعرف نواياه من جهة وأعرف سعر العقار الحقيقي من جهة ثانية "يجب أن أقول له سعراً لا يشتري به".

- عشرون ألفاً.

- أنا راضٍ خذ هذه عشرون ألفاً.

واي الملعون، لقد أكل /الخازوق/ مرة ثانية.. عاد السيد احسان إلى مكتبه، لأول مرة بعد أن فهم نوايا خصمه وتفكيره الخائن. لقد كان السيد احسان خبيراً بالسياسة الداخلية والخارجية ومراقبة التحركات العالمية للمال والسياسة. فهو يعرف متى سترتفع الأموال غير المنقولة، ومتى ستهبط قيمة الليرة. فكر في هذا الأمر يومان متواصلان ولكي ينزع الخازوق الذي أكله، ذهب إلى مكتب خصمه، قال وهو يشرب القهوة:

- هل تبيعني العقار الذي اشتريته مني؟

- ثلاثون ألفاً.

عدَّ ثلاثين ألفاً مباشرة. لقد ندم السيد يشار لأنه لم يطلب أربعون ألفاً. ولكن الأمر كان قد مضى. كيف على رجل مثل إحسان أن يضعه في القفص هكذا. هناك سرٌّ ما في هذا العقار.. وإلا كيف لهذا الرجل أن يدفع ثلاثون ألفاً دفعة واحدة. لم يكن قد شاهد العقار بعد ربما هناك حجرة أثرية أو قبراً قديماً فيهما من الربح الكثير.

المهم أن إحسان قد أكل الخازوق وهذا لا شك فيه.. يا ترى؟ فكر بهذه الـ يا ترى.. اسبوعاً كاملاً. في النهاية لم يقدر أن يتمالك نفسه فذهب إلى خصمه. وبعد السلام والكلام قال:

- هل تبيع العقار لي.

- أقل من خمسين ألفاً ولا قرش.

- خذ مالك.

في هذه المرة آكل السيد إحسان الخازوق لأنه باع العقار. بعد ثلاثة أيام اشترى العقار للمرة الثانية بثمانين ألفاً. وبعد يوم واحد باعه ثانية للسيد يشار بمائة ألف. بعد أربعة أيام أعاد السيد يشار العقار إلى السيد إحسان بمائة وعشرين ألفاً. في النهاية كان العقار قد وقع في يد السيد يشار بمائة وثمانين ألفاً. كان السيد إحسان يأكل أعماقه أكلاً. استطاع أن يتحمل عشرة أيام ولكنه في النهاية ذهب إلى السيد يشار.

- أعطيك مائتي ألف وأرجع لي العقار.

قال السيد يشار: لقد ظهر مشترٍ جديد. بعته له.

- بكم؟

- بمائتين وخمسين ألفاً.

كان السيد إحسان يرتجف غضباً. وقد نسي الأصول والتربية والذوق، فصرخ في وجه خصمه:

- واطي.. هل يباع عقار بهذا الشكل بمائتين وخمسين ألفاً؟ إذا كنت تريد أن تبيع لماذا بعته لواحد غريب؟ كنا نبيعه لبعضنا على الدوام وكنا نربح على الدوام.

كان السيد يشار حزيناً ومتأثراً فقال لخصمه:

- لا تسألني كيف ذلك رجاء لا تسألني.. كنت قد بعت لك العقار بثلاثمائة كشربة ماء.. لقد فعلت ما لا يفعله الحمار.

قال السيد إحسان: طبعاً تصرفت تصرف الحمير، كنت سأشتري منك العقار بثلاثمائة ألف وأبيعه لحمار آخر بخمسمائة ألف.

قال السيد يشار: هذا صحيح.. كلانا أكل /الخازوق/.

- ١٧ -

ها قد تزوجنا

حبيبتي كم أنا سعيد لأنـك قبلـت تكليفـي. سـأفعل المستحيل مـن أجـل سعادتك.

طبعاً أنا لـن أتراجـع عـن كلامـي.. سـنقضي شـهر عسـل جميـل جـداً.. بالتأكيد سنظل ثلاثة أشهر. وسنرسل لأصدقائنا بطاقات الدعوى والصور من البلدان الـتي سنزورها. سيكون كـل شـيء حسـب رغبـاتك. سـنذهب إلى أوروبا أولاً. سنزور /روما/ و/البندقية/ و/ميلانو/ ونيس وباريس وبرلين. هل تقولين انكلترا؟ بالتأكيد سنذهب إلى هناك أيضاً بعدها سـنذهب إلى أمريكـا. وسندور حول العالم خلال ثلاثة أشهر حسب طلبـك. سـأقول لـك شـيئاً يـا حبيبتي.: حسب طلبك سـنذهب ثلاثـة شـهور إجـازة شـهر عسـل.. ولكـن أليست طويلة هذه الأشهر الثلاثة؟ لا.. لا.. أنت تقولي وتقرري!!. بدلاً مـن ثلاثة أشهر لو اختصرناها إلى شهر واحد. سنشتري منزلاً بالمال الذي سنوفره من العطلة.. ها.. ماذا تقولين؟

– إذن أنت راضية. آه كم أنت عذبة يا حلوتي؟! يا لك مـن فتـاة طيبـة. القلب بما أنك لا تريدين شهر عسل طويل.. أنا الآخر لا أريد. انظـري مـاذا سأقول لك يا حبيبتي. ولماذا نسافر خارج وطننا لماذا لا يكون شهر عسـلنا في بلدنا؟ في الخارج سـنصرف /عملـة صعبـة/ أليـس هـذا حـرام؟... نـزور أولاً ساحل البحر الأسود ثم نزور البحر المتوسط. كم ستكون الرحلات البحريـة ممتعة أليس كذلك؟

– أنت ملاك يا حبيبتي.. كنت أعلم أنك ستقبلين. بما أنك لا ترغبين الذهاب خارج البلد.. هل أجرح خاطرك؟ أنا الآخر لن أذهب نزولاً عند رغبتك. هل أقول لك شيئاً؟ الرحلات في هذا الوقت صعبة جداً. السفن مزدحمة. والبحر يكون عاصفاً (متموجاً) أفضل شيئ أن نبقَ في مدينة بورسة أسبوعاً كاملاً. ما رأيك؟ أليس هذا جميلاً؟ الذهاب إلى بورصة أجمل وأفضل وأربح وقليلة التكلفة.. آه أنت تملكين قلباً ذهبياً. أنت ملاك نزلت إلى الأرض من السماء.

– طيب لماذا نتجول هنا وهناك نفتش عن الفنادق الرخيصة يا حبيبتي. ما رأيك لو أشتري لك عقداً بالمال الذي سنصرفه هناك. ها ماذا.. هل وجدتِ فكرتي رائعة.. اليس كذلك؟ يا... كما تريدين. هل تقولي خمسة آلاف ليرة؟ إذا كنت ترغبين أكثر لتكن بعشرة آلاف. مشوار -زيارة -أوتيل _موتيل كل هذه أمور زائلة ولكن الشيء المادي المحسوس يبقى تذكاراً.. طبعاً.. طبعاً.. أنت أعقل فتاة في الدنيا.

– لحظة.. سأقول لك شيئاً. فكرتي هذه ستعجبك كثيراً. يعني وماذا سيكون هذا البروش؟ قبل كل شيئ أنت مذوقة أليس كذلك؟ لن تكوني كالأغنياء الجدد الذين يتباهون بحلاهم ومجوهراتهم أمام الناس.. أنت لست كذلك. تعالي نترك حكاية هذا البروش.. بدلاً من أن نشتريه.. نعمل عرساً مطنطناً ليبقى صداه في الآذان سنوات عديدة.. ها.. نعمل عرساً كأعراس الفنانين السينمائيين.. آه كم أنت طيبة يا حبيبتي؟ أنت لا تطلبين البروش. أنا الآخر لن أصر على طلبي (أي على شرائه) تحت أمرك إذا كنت لا تريدين بروشاً لن أشتريه.

– لا، لا تقولين العرس. والله لا أعرف ماذا أقول؟ سنصرف مال الدنيا لنمتع هذا وذاك.. سنحجز صالوناً.. وفرقة موسيقية.. وطعام وشراب..

وستتمتع مجموعة كبيرة من الناس وسيقولون عنا أشياء وأشياء ولن نقدر على إرضائهم.تعالي لنتحرك سوياً كأناس عاقلين. ندعو أقرباءنا وأعز أصدقائنا ونعمل العرس في منزلنا. وا لله يكون أجمل.

- إذاً وجدت فكرتي براقة. أنت أذكى فتاة في العالم.. إذا كنت لا تريدين العرس. لماذا أطلبه يا روحي؟

أقول لك شيئاً؟ ولماذا ندفع ثمناً لثياب العرس آلاف الليرات. سوف تلبسيها مرة واحدة في حياتك؟ سنشتري أغراضاً لمنزلنا أفضل من أن ندفعها للثياب.

- لقد اقتنعت.. نعم.. مثلما تقولين. أفضل شيئ أن نترك العرس ونأخذ شقة من بناية، نفرشها ونجملها. وسأشتري لك ألبسة جميلة.

- ولكن انظري إلي.. اسمعيني دقيقة واحدة.. العمارات غالية جداً. لن نجعل الآخرين أغنياء أليس كذلك؟ نستأجر غرفتين في إحدى الحارات الشعبية تكون لنا كعش طير، نعم... وحتى بغرفة واحدة. مهما كان، لسنا بعائلة كبيرة.

- كيف؟ هل تريدين قطعاً نكاحاً رسمياً؟ بالتأكيد يا روحي. كما تقولين: أنكون بلا نكاح؟ ندعو أصدقاءنا وأقرباءنا. ولكن توقفي قليلاً... وما يكون هذا النكاح؟ أليس لنا ثقة ببعضنا؟ النكاح هو معاملة رسمية عادية وهل لنا حاجة لهذه العقود والقراطل كل واحد منا على الأقل له ثقة بالآخر. طبعاً يا روحي. لا نكاح ولا هم يخزنون المصاريف التي سأدفعها هناك أشتري لك بها ألبسة. طبعاً ثياباً جميلة من النوع الأول ونخيطه عند الخياط وستكون ألبسة غالية.. ايه.. أنت لا تريدين أن نعقد النكاح.. من أجل خاطر عينيك الجميلتين أنا أيضاً لا أريد.

– لقد جاء الصيف يا حبيبتي.. الألبسة السميكة لا تلبس.. انظري إلى هذه الأقمشة. ما أجملها... ألوان وألوان.. مزهرة..نأخذ أربعة أمتار بصحة من هنا.. ولماذا تعطي للخياط مالاً يا روحي أنت تخيطيها والسلام.

– أربعة أمتار أليست كثيرة؟ نحن الآن في الصيف.. المناخ قائظ جداً ليكن الفستان دون ساعد ودون ياقة ومفتوح وقصير يكفي متران ونصف.

آه لك طابع فريد في هذه الدنيا. إذا كنت لا تريدين ألبسة لن أرغمك على ذلك. وليكن الثوب الجديد كأنه غير موجود.

هل تعرفين ماذا خطر على بالي؟ إذا التقى قلبان محبان تكون المتبنة (من التبن) نوعاً من السيران.. ولماذا نستأجر بيتاً.. المنزل في هذا الزمان.. أليس كذلك؟ لن أكسر خاطرك أنا الآخر راضٍ.

بصحة أليس كذلك؟ هو الآخر لا فائدة منها هل جُعتِ؟ توقفي سأشتري لك سندويشة؟ ونعلك شكلساً (علكة) تعالي لأقبلك.. شاب... شوب... موب.. أوهه

– انظري يا حبيبتي لقد تزوجنا. هذا ليس صعباً. آه أنتِ أغبى إنسان في العالم أصلاً، لو لم تكوني غبية ما كنت تزوجتني. ها قد تزوجنا يا حبيبتي وا لله وبا لله تزوجنا يا حبيبتي.

- ١٨ -

الرجل العصبي

أدخلوه بقوة، كان رجلاً مسناً ضعيفاً ساقاه ويداه ترتجفـان مـن العصبيـة إلى داخل المخفر.

- هذا الرجل أهاننا يا سيدي المفتش. نحن نطلب حقنا منه.

سأل المفتش الشاب الواقف في المقدمة:

- ماذا قال؟

- كلام ثقيل يا سيدي.. ما كنت أعطي لـه أهميـة لـولا تدخلـه بوالـدي المرحوم. لقد وضع والدي أيضاً في الإهانة.

قفز الرجل المسن قائلاً:

- نعم قلت له جحش ابن جحش.. ولكن دعني أفسر لك الأمر يا سيدي هل يستاهل أو لا. كنت راكباً في سيارة /سرفيس/مزدحمة بالركاب وركـب هـذا الشـاب مـن /ألتين بقـال/لم أره إلا وينزل في /التقسـيم/ لم أسـتطع أن أتحمل، سحبتُهُ من ياقته وقلت له: ما شاء الله. أنـت رجـل كالحمـار، يـافع، قوي، إذا قست المسافة من /آلتين بقال/ إلى /التقسيم/ فلا تصل إلى خمسمائة خطوة. هل يركب إنسان لهذه المسافة القصيرة في السرفيس /يـا جحـش ابـن جحش/ قلت له حرفياً هذا الكلام. وإذا كنت لا تصدقني اسأله.

هزَّ الشاب الطويل العريض المنكبين رأسه مصدقاً كلام العجوز.

اقترب المشتكي الثاني من اليمين.

– هذا الشاب استحق السباب ولكنه شتمني أنا أيضاً.

بدأ العجوز يوضح موقفه قبل أن يسأله المفتش:

– هذا الأخير قلت له جحش ابن جحش أيضاً ولكنه استحقها. هذا الرجل أيضاً ركب السرفيس من حي /التقسيم/ دخّن سيجارتين لحين وصولنا إلى جامع آغا. والأنكى من كل ذلك أشعل سيجارة ثالثة. يشعل سيجارة ويطفئ أخرى. من كثرة الدخان داخل السيارة أصبحت العيون لا ترى بعضها. كنا على وشك أن نختنق. قلت في نفسي: على الأقل لأفتح النافذة. في هذه المرة بدأ البرد القارس يهزنا. وإذا به يقول لا تفتح النافذة!.. عندها لم أقدر أن أتحمل فقلت له: بما أن الهواء بارد، وتمنعنا من فتح النافذة فلماذا تستخدم أنفك مدخنة /يافوز/ تخرج دخاناً على الدوام. هل يدخن سيجارة أخرى في السرفيس يا /جحش ابن جحش/.

قال المشتكي الثالث: لقد استحقه لوجه الله. أنا الآخر أتعصب لمثل هؤلاء الذين لا يحترمون أحداً.

سأل المفتش الشخص نفسه: وأنت ما شكايتكم؟

– أنا الآخر يا سيدي قال لي كلمات لا يستطيع أن يلفظها أحد.

قال العجوز:

– نعم قلت له وسأقول له: هذا الإنسان ركب السرفيس من محطة /غلطة سراي/ وكأننا نعرف بعضنا من أربعين سنة، بدأ هذا الإنسان يوضح لي. قال إن عائلته تتكون من أربعة أنفس وأنهم مستأجرين غرفتان وأن زوجته تطبخ /بلاكي/ جيداً. وأنه زوّج ابنته في العام الماضي ولكن صهره كان إنساناً سيئاً. وأن زوجته ولدت طفلها الرابع بعملية قيصرية وبصعوبة كبيرة والآن هي حامل لولدها الخامس. هذا الإنسان يسألني يا سيدي، هل تعرف طريقة

نتخلص بها من الحمل المتواصل؟ وهل هناك تدبير ما في رأسك؟ كان الدم قد قفز إلى دماغي. فقلت له: أفندي يا أفندي لم يبقَ سن في فمك ولا شعر في رأسك وأصبحت صحتك أكثر سوءاً من صحتي وعمري. إذا كانت زوجتك لا تزال تلد الأطفال فيجب أن يحتاط شباب الحارة والأصدقاء والأقرباء. هل هناك إنسان يحكي الحاصل في غرفة نومه لأول إنسان يلتقي به في السرفيس يا /جحش ابن الجحش/.

قال أحد المشتكين الواقفين على الدور:

- قلت له ما يستحقه أنا الآخر أغضب لمثل هؤلاء.

سأل المفتش الشخص الذي تكلم آنفاً. ما شكايتكم؟

- يا سيدي المفتش هذا الإنسان حقرني أيضاً.

بدأ العجوز بالكلام قبل أن يسأله أحد.

- لقد حقرته يا سيدي. وحقي أن أشتمه وأحقره. هذا الرجل ركب السرفيس من /تبة باشي/ وفور ركوبه السيارة بدأ بالعطس المتواصل كرشاش /هوجكيز/ قال: "أصابته نزلة من البرد". يعطس ويعطس وكأن هذا لا يكفي يبحث عن وجه إنسان ما أمامه ويوجه فمه كخرطوم الإطفائية راشاً وجهه بالرذاذ والفضلات. وفي إحدى المرات ملأ وجهي بالبزاق عندها لم أقدر أن أتحمل. قلت: بما أنك أصبت بالنزلة ضع على فمك منديلاً وإذا كنت لا تملك منديلاً ضع يدك على فمك على الأقل. هل هناك إنسان يعطس في وجه الآخر يا /جحش ابن الجحش/.. ألم يستحقها يا سيدي المفتش؟

قال المشتكي الخامس:

- أبوس فمك يا رجل.. يجب أن تقول هذا لمثل هؤلاء.

سأل المفتش الشخص: وأنتم ماذا تريدون؟

- أنا الآخر قال لي كلمات لا يستطيع أحد أن يلفظه يا سيدي.

قال العجوز: نعم قلت له /جحش ابن جحش/. هذا الرجل يا سيدي ركب السرفيس في /شيش هانة/ وبدأ بالبحث في جيوبه. مهما حاول لم يستطع أن يجد المكان الذي وضع فيه النقود. وكان الوقت وقت الذهاب والإياب (أي يقصد الموظفين في الساعة الثانية) نظرت خلفي وإذا بذيل طويل من السيارات والشاحنات والترامويات والحافلات قد وقفت خلفنا. شرطي المرور يُصفر، السائقون والمعاونون يصرخون. وهذا الرجل يا سيدي كأنه غير موجود يواصل البحث عن النقود بترو شديد. وبعد أن نظر إلى جيب معطفه وبنطاله وجاكتته وقميصه صرخ: لقد وجدته ها هنا!

مدَّ يده إلى جيبه وإذا به يخرج ورقة من ذات المائة ليرة. عندها كان لي عقل وطار قلت له: قبل أن يصعد الإنسان إلى السرفيس يحضر النقود في يده ولا يدع العالم مشلوحين في الطرقات ومن أجل خمسين قرشاً لا أحد يعطي للسائق مائة ليرة يصرفها يا /جحش ابن الجحش/.

عندها قفز السائق من مكانه وهو يقول:

- إنشاء الله فمك لا يرى العلة. أنت محق كل الحق.

سأل المفتش لسائق: وأنت؟

- أنا مدعي لهذا الشخص لقد كفر بي.

قال العجوز: نعم نهرته وقلت له جحش ابن جحش. هذا السائق يا سيدي بعد أن تنزل من سيارته امرأة يقول لها بعد أن تدفع الإجرة /أي وا لله يا آبلة/ وقال لإمرأة أخرى /تفضلي يا أمي/ وقال لأحدهم /يا عمي/ ولآخر

/يا خالي/ وقال لأحد الشباب /أبيه/ (الأخ الأكبر) وقال لأحد الشباب /يا بني/ وقال لإنسان عادي /يا سيد الوالد/ لم أقل له شيئاً ولكن عندما بدأت بالنزول من سيارته مددت له النقود. قال له: أي وا لله /باباليك/ (بابا ليك في التركية تأتي في معنى زوج الأم وأحياناً تأتي على شكل سخرية).

هل يستطيع الإنسان أن يتحمل؟ جاء دوري في الكلام: في التركية مجموعة كلمات نستعملها باي (السيد)، بايان (السيدة)، هانم، السيد، ألا تعرف هذه الكلمات. أنا لا أعرف أمك ولا زوجتك. كيف أكون أبوك؟ هل جميع الركاب أقرباؤك؟ يا جحش ابن جحش.

التفت المفتش للعجوز الغاضب: استانبول هكذا دائماً. لقد وصلت إلى هذا العمر ومضغت الكثير من أرصفة استانبول. وإذا كنت لا تقدر أن تتحمل البشر في قلة تربيتهم وسلوكهم لماذا تخرج من البيت؟

توقف المفتش لبرهة وجيزة وفكر ثم قال:

- آآ يا سيدي....

/هل المفتش خاف أيضاً من عصبية العجوز؟/

- ١٩ -

ألا يوجد كول كولا

"يجب أن تستمعوا إلى إذاعة استانبول في الساعة الثامنة والنصف مساءً".

في تلك الليلة كان مقهى العم عاصم الكائن في حي /قوجة يوسف/ منطقة شهرمين مزدحماً أكثر من العادة. وكان الموجودون في المقهى إلى جانب رواده العاديون من الناس الذين لا يملكون مذياعاً في بيوتهم. أتوا إلى المقهى بعد أن قرأوا في الجرائد وهي تتحدث (البشرى.. البشرى..) عن برنامج إذاعي مفاجئ وخاص. في الخارج كان الثلج يتساقط بغزارة، وزجاج نوافذ المقهى مغطاة بالبخار. وواجهته مغطاة بأوراق الأزهار المتسلقة. كانت المدفأة الصاجية قد احمرت، ودخان السجائر والنراجيل يعكر صفو التنفس العادي للإنسان من جهة، وحرارة موقد المقهى من جهة أخرى. ومن أبخرة الشاي والقهوة. كان جو المقهى قد أصبح حاراً كالحمَّام. والإنسان لا يرتاح في منزله كراحته في مقهى العم عاصم. بخمسين قرشاً تشرب شاياً أو قهوة. وتجلس حتى أنصاف الليالي.. تتحدث عن حال الدنيا، والحارة، والعالم والبلد ثم الدفء الذي يدخل إلى عظامك، كل ذلك بخمسين قرشاً.

كان العم عاصم قد غير الموجة، بعد أن سمعوا برنامج /جريدة الإذاعة/ أخرج مصطفى أفندي، والذي يعمل في غرفة التحضير، ساعته من جيبه ونظر إليها ثم رفع نظره إلى الساعة الدائرية المعلقة عى الزجاج الفاصل بين غرفة التحضير والمقهى.

- إن ساعتك أكلت شعيراً يا عاصم أفندي.. افتح المذياع..

أدار عاصم أفندي مفتاح المذياع الموضوع فوق دولاب النقود والمغطاة بـ كناويشة قديمة.

- دان ن ن أيها الأخوة المستمعون نفتح الآن برنامجنا الخاص.

توقفت أصوات لعب الطاولة والورق والدومينو. وساد هدوء عام في المقهى، حتى الأسطى عزيز /الميكانيكي/ كي لا يقطع البرنامج على نفسه وعلى الموجودين في المقهى، أخذ احتياطه بالسعال فسعل وأخرج كل ما في صدره قبل بدء البرنامج.

- الآن يبدأ فناننا الكبير بتقديم حفلته، بمصاحبة الفرقة الموسيقية المرافقة. في البداية سمعت أصوات الآلات الموسيقية كالبزق والكمان والعود والطنبور والقانون، ثم ظهر صوت المغني بصوت محروق، عميق ومرتجف، بصوت يشبه البكاء.

- ألا يوجد كول كولا.

مرة.. مرتين.. وثالثة ورابعة.. ثم تكرير هذه الجملة لمرات عديدة.

قال أهم المعارضين في مقهى عاصم أفندي يوسف أفندي وهو يصرخ:

- إلعن أمه يا هو.. كيف حولوا حال البلد. انظر إلى هذا العمل يقول لم يبق في البلد كول كولا.

كان عاصم أفندي قد وضع يده على أذنه وهو يقترب من المذياع ليفهم ما يقوله المغني.. وسأل الموجودين:

- ماذا يقول؟.. ماذا يقول؟... ماذا لا يوجد؟

- كول كولا.

- إذن لم يبقَ كول كولا أيضاً.

كي لا يضيع فرصة المعارضة قال يونس أفندي وبحركة تشبه تصرفات مديره الذي يعمل عنده.

- انظر ماذا فعلوا بالبلد، إذا كان كول كولا غير موجود، ما هو الشيء الموجود؟

أما مصطفى أفندي فسأل بخجل عن معنى /كول كولا/، فهو يعتقد أنه الوحيد الذي لا يفهم، والآخرون يفهمون معناه. سأل الجالس قربه وبصوت ضعيف: ما هو الكول كولا؟

- أنا لا أعرف. وبما أنهم يبكون على عدم وجوده في الراديو فيجب أن يكون شيئاً مهماً.

- ألا يوجد كول كولا؟

قال صدقي أفندي وهو من المحبين للحكومة ومتطرف جداً.

- أنا لا أعتقد ذلك.. إذا كان هذا الشيئ يهم المواطنين كانت حكومتنا قد بنت معملاً له.

قال عاصم أفندي القهواتي:

- يجب أن يكون هذا الكول كولا نرجيلة أو قطعة من نرجيلة.

قال الميكانيكي عزيز وهو يضحك وكأنه يعرف:

- إن كول كولا هي قطعة احتياط من قسم المحرك. لها مسننات ومربوطة بقسم المرآة وهي عبارة عن حلقة من الرز.

قال مصطفى أفندي وهو يتساءل:

- وهل هو مهم لهذه الدرجة؟

كان الأسطة عزيز الميكانيكي يريد أن يعرض عضلات معرفته الميكانيكية وهو مسرور جداً لهذا:

- بالتأكيد هو مهم. لولا كول كولا يتوقف المحرك تماماً. إذا فقد /الكول كولا/ فالترمواي لا تعمل وكذلك السيارة والأتوبيس والسفينة والمعمل ولا السخرية (مناقشة الناس البسطاء) أي لا شيء يعمل. البلد يذهب في ألف داهية.

- وهل تُصنع عندنا؟

- هذا الكول كولا يصنع في العالم في مكان واحد في إحدى المدن الأمريكية.

- ولك يا أخي وا لله أنا مستغرب جداً لهذا الأمر. إذا كان هذا /الكول كولا/ غير موجود فما الداعي إلى هذه الطنطنة والبكاء، ولك يا أخي خلي أسرارنا تظل في أعماقنا. لماذا نحط من قيمة وشرف هذا البلد بالبكاء والعويل من المذياع. وا لله لو كنت مسؤولاً لحولت مدير الإذاعة إلى المحكمة ولفصلته من الحزب.

- ولك يا أخي ليس هذا تماماً. لا يقصدون أن يعيِّدوا البلد، ولكنهم يفعلون ذلك لتسمعهم أمريكا ولتعطيهم هذا /الكول كولا/ هل الأم ترضع ولدها الذي لا يبكي؟ وكما تعرفون.. تفتح الراديو هنا وتستمع إليه في أمريكا. إذا لم تصرخ فلا يوجد /كول كولا/، إذن كيف ستعرف أمريكا بعدم وجوده عندنا؟.

- قبل أيام قرأت في إحدى الجرائد أن أمريكا أعطت اليونان خمسة مليارات حلقة كول كولا. وكما يقولون ستعطينا /مائتا أوقية/ فقط. ونحن نقوم بكل هذه الأشياء. وفي الوقت الذي نقول فيه لا تعطونا /كول كولا/.

قال سليم أفندي الذي كان متقاعداً خبيراً في البنادق والرشاشات والذي دخل على الحديث في وقت تشابكت فيه الأراء والمعاني:

- ولك يا أخي.. أنتم مخطئون. هذا /الكول كولا/ الذي تتحدثون عنه يأتينا من الهند. ويستعمل لحالات الوتاب /القولنج/ وللروماتيزم المتنقل والسيار في الجسم. ثم إنه يقوي من إقتدار الرجل، ويفيد لآلام العادة الشهرية عند النساء. وهو مجرَّب، ثلاثة أيام من كل صباح تضع /درهمان/ من الكول كولا لكأس من السحلب وتشربه وبإذن الله تعالى تعفى من جميع العلل والأمراض.

كان خبير البنادق يتكلم بقوة، بحيث أن الأسطة عزيز الميكانيكي قد تغير فجأة. في هذه الأثناء كان المقطع الثاني من الأغنية تغنى: (كلمات الأغنية: شعر عثماني قديم لا يفهمه إلا القليلون جداً) عندها تناول الأسطة عزيز الكلام:

- ها انظر زنجير /سلسلة/ لا يوجد سلاسل أيضاً هل يكون هذا الكول كولا دواء أبداً؟

الأغنية كانت لا تزال تغنى: "لا يوجد كول كولا" متكررة.

- طيب أليس هذا للحكومة؟

- إذا كان هذا الراديو للحكومة. فلماذا يقول لا يوجد /كول كولا/ أول مرة أسمع من المذياع كلمة لا يوجد.

ثمة أغنية ثانية بدأت، ولكن الجميع كانوا لا يزالون يتناقشون حول /كول كولا/.

- الزمن القديم ذهب وولى. الحكومة الآن /دوبرا دوبرا/ على الشيئ الموجود موجود وعلى الشيئ غير الموجود غير موجود هل فهمت؟

- كانت الحكومة ستسمح للمعارضة بالحديث عن طريق المذياع لكن ليس هذا واحداً من المعارضة.

- إذا كان من يصرخ في المذياع معارضاً، فإنهم لا يتركون له مجالاً ليقول لا يوجد /كول كولا/.

- وما هذا الراديو إذن؟

- يجب أن يكون هذا المذياع للأعداء. الإذاعات الأجنبية الآن تعمل عملها... تسمع وتسمع.. وإلا يخرج صوت وهو (هنا إذاعة فلان).

- هذا الكول كولا يا أفندم..

قال المتحدث (المعلق) في المذياع:

- إلى هنا وينتهي برنامجنا لهذا اليوم.. تصبحون على خير.

فرغ المقهى من الحضور.. وذابت أصداء كلمات /كول كولا/ على أرصفة الأزقة الضيقة في عتمة الليل.

- ٢٠ -

قوقوق

بناية الحياة ثمانية طوابق، هيكلها العظمي من الحديد ولحمها من الاسمنت. غرزت كعملاق على كتف التراب. بما أن بناية الحيـاة قـد بنيـت فـوق أرضٍ مائلة، فعندما ننظر إليها من الأمام تراها خمسة طوابق. وعندما تنظر إليها مـن الخلـف تجدهـا ثمانيـة طوابـق. طوابقهـا الثلاثـة مغـروزة كـالجُبِّ في الـتراب. وطرفها الثاني تنظر إلى الحارة.

بين الساعة السادسة والسابعة من مساء كل يوم، يدخل مسـتأجر الطـابق الأرضي من باب عمارة الحيـاة. وعندمـا ينـزل إلى بـاطن الأرض مـن الـدرج الحلزوني المخروطي يشعر كأن هـذا الـنزول المتواصـل لـن ينتـهِ أبـداً، وكأنـه سيظل مغروزاً في الأرض على الدوام. عندما يدخل مـن البـاب يخفـض رأسـه قليلاً، وعندمـا ينـزل طابقـاً يخفـض كتفيـه، وفي الطـابق الثـاني يلـوي ظهـره وعندما يصل إلى طابقه وهو يدخل بيته يشعر أن ظهره أصبح قطعتين. (طبعـاً هذا غير موجود في الحقيقة). ولكنه يحس بثقل البناية أكثر كلما يـنزل طابقـاً آخر. مرات عديدة نهض من نومه مذعوراً وهو يصرخ "إنني أندهس" وكلما دخل فراشه يشعر كأن الطوابق الثمانية تتكوم فوقه.

في أحد الأيام قالت له زوجته:

- صاحب العمارة يريد الإيجار.

كل مساء كانت تردد هذا القول، على مسامع زوجها فيرفع الرجل رأسه وهو ينظر من النافذة:

- غداً...

قالت المرأة: سنظل في الزقاق.. ويضعنا في التنفيذ...

اندفع الرجل من مكانه وكأنه يزيح عن كاهله ثقل العمارة.

قالت زوجته: البنت لا تذهب إلى المدرسة.

لم يرفع الرجل صوته.

- وهل تذهب فتاة ناضجة إلى المدرسة بحذاء مشروط. بالتأكيد لن تذهب.

جلسوا إلى الطعام:

- البقال أرسل فاتورة الحساب اليوم وقال: أنه سيقطع عنا الأشياء إذا لم ندفع كل الحساب.

قالت زوجته: إن معطفي الذي اشتريته منذ ثماني سنوات أخجل من الخروج به أمام الناس.

اندفع الرجل من الفراش وهو يصرخ:

- إنني أندهس..

قالت زوجته: ماذا هناك؟

- لا شيء.. لا شيء..

استيقظ الرجل على صوت جرس الباب، وكان يسمع صوت رجل يتحدث مع زوجته:

- اشتريتم بالأمس خمسة وعشرين كيلوغراماً من الحطب.

- نعم... سندفع ثمنها غداً صباحاً.

عندما كان الرجل يخرج من الباب قالت زوجته:

- لقد وردتنا بطاقة حمراء بأنهم سيقطعون الكهرباء عنا.

أطال طريقه حتى لا يمر من أمام بائع الخضار والفواكه. ودعا الله أن يكون اللحام داخل المحل يبيع زبوناً كي لا يراه.

عندما وصل إلى الدائرة قالوا له إن المدير يطلبه.

المدير: ما هذا العمل.. صاح المدير.. إن الإدارة العامة تطلب منا لائحة برؤوس الحديد. وأنت أرسلت لائحة الاحتياجات من القرطاسية.

- عفواً.. حصل خطأ ما.

- أخطاؤك كثرت، قبل أيام أرسلت الأوراق المخصصة للشعبة إلى الوزارة.

وعندما جلس على مكتبه جاء مواطن لاتمام معاملته.

- سأشكيك إلى المدير.. روح اليوم.. تعال غداً.. والضرائب التي أدفعها...؟

قالت امرأة أخرى: هذا عيب، كم مرة جئت إليك وأنا في هذا العمر. من أجل أن تعطيني رقماً صغيراً.

شخص آخر قال: الأشخاص الذين يرغبون في تيسير أعمال المواطنين يقومون بذلك خلال دقيقة واحدة. كان الملف تحت يده يجد رقم الأوراق التي يبحث عنها متى شاء. خرج من غرفة القلم، وكانت أشعة الشمس قد ملأت صالون الموظفين من خلال بابين كبيرين مفتوحين. السقف الذي كان مدهوناً باللون الكريمي يلمع من جراء انعكاس أشعة الشمس على أرضية الصالة. مشى نحو الباب وفي يديه ملفاً وقد لبس كفوفاً سوداء حتى ساعديه.

نظر إلى شمس الشتاء. فبُهرت عيناه من أشعة الشمس. نزل من خلال الدرجات المرمرية كالرجل الذي ينام ماشياً ودون شعور خرج إلى الشارع.

مشى.. ومشى في الشارع.

زوجته، والبقال، والمدير، وابنته، والمواطنون الذين ينتظرونه في المكتب، صاحب البيت، فاتورة الكهرباء، بائع الخضار والفواكه، والحطاب، كانت خيالات هؤلاء تتحرك أمام عينيه.

تمتم بصوت خافت: كلهم محقون.. كلهم.

مشى والأكمام السوداء تصل حتى ساعديه. والملف الكبي تحت إبطه.

- المدير على حق، وزوجتي أيضاً على حق.. والبقال كذلك..

مشى، وهو ينظر إلى الواجهات، ودون أن يرى ما فيها.. ثمة زحمة كبيرة أمام أحد المحلات. في الداخل عدة أشخاص، كانوا يصوبون على هدف ما بالبنادق. كان للأهداف أشكال عجيبة وغريبة وألوان متعددة. كانوا يطلقون طلقات على شكل سهام. وعند إصابة أحد الأهداف كانت الصفارة تصدر صوتاً، ويتحرك ما في الهدف آلياً وينزل أمام الرامي.

أما خارج المحل، فهناك آلة كبيرة يجرب بها المرء قوة عضلاته. وإلى جانبها كيس جلدي معلق، التف حوله بعض الشباب يصارعونه بقبضاتهم. عندما يلمس الجلد الطرف الثاني، ثمة مؤشر يصعد نحو الأعلى بسرعة، دالاً على قوة الضارب. فمن يصل إلى الرقم /٦٠/ كانوا يعطونه علبة سجائر. تقدم شاب طويل، عريض المنكبين، وضرب الكيس فارتفع المؤشر إلى الدرجة /٥٨/ ثم نزل. وفي الضربة الثانية لم يصل المؤشر إلا على الرقم /٥٢/. تعلقت نظرات

الرجل بالكيس الجلدي، وبدأ خياله يتجه رويداً رويداً إلى وجنات مديره المنتفخة ووجهه المدور مثل الكرة إنها صورة المدير تماماً.

- أنت محق يا سيدي المدير، أنت على حق ولكن أنا أيضاً على حق.

وضع الملف الموجود تحت ابطه فوق الحائط، وأخرج الكف الأسود من يده اليمنى. تراجع وتراجع وانهال على وجه المدير بضربة قوية ارتفع المؤشر إلى ستين درجة. نظر الشباب بحيرة إلى الرجل الضعيف الذي ناهز الخمسين من عمره، تناول صاحب الدكان علبة من السجائر.

- تفضلوا.

كانت نظراته لا تزال على الكيس الجلدي. هذا الكيس الجلدي صورة طبق الأصل عن وجه اللحام.

- أنت محق ولكن أنا الآخر على حق.

أنزل ضربة على الكيس الجلدي فارتفع المؤشر إلى الرقم ستين أيضاً.

- تفضلوا علبة سجائركم.

- صورة طبق الأصل عن زوجتي التي لا تبتسم أبداً. أنت على حق يا زوجتي ولكن أنا..

هكذا حصل على ست علب من السجائر.

أخذ من الفتاة البدينة الواقفة خلف الطاولة الطويلة، والتي رشت شعرها بالأكسجين ووضعت على وجهها أطناناً من المساحيق. أخذ منها بارودة ووضع ساعده فوق الطاولة الكبيرة وأسندها على كتفه.ومن بين علب التنك الملونة انتقى وجه امرأة.

- أنت تلك المرأة التي طلبت مني رقماً صغيراً أليس كذلك؟

أنت ذهبت وجئت كثيراً.. وتعبتِ.. اذهبي اليوم.. تعال غداً. أنــت علــى حق يا سيدتي ولكن أنا الآخر..

ضغط على الزناد كان قد أصاب الهدف تماماً، حيث بدأت الأجراس تــرن والصور الملونة تتحرك.

- لقد ماتت... تمتم بصوت خافت..

ثم وضعت الفتاة البدينة طلقة ثانية.

- هذا الفحام.. الفحام الذي يطلب نقوده إنه على حق أيضاً.

ضغط على الزناد ثانية.. عندما أصيب الهدف سمع صوت /ترامبيت/

- هو الآخر مات وتخلص منه..

وضعت الفتاة طلقة أخرى... أصابت الطلقة جبهة صاحب البيت تمامــاً.. رن جرس آخر.

- أنت أيها البقال على حق أيضاً وا لله، ولكن أنــا أيضــاً... ضغــط علــى الزناد فأخرج طير صغير رأسه من داخل بيت خشبي صغير.

- قوقوق.. قوقوق...قوقوق...

ضحك الرجل.. لم يكن قد ضحك هكذا من أعماقه منــذ وقــت طويــل. وضع أكمامه السوداء على جبينه وتناول الملف تحت إبطــه بينمــا كــان يمشــي ويضحك. لقد ارتاح تماماً. رأسه وأعماقــه كانــا خــاليين تمامــاً لا زوجتــه ولا ابنته ولا صاحب البيت ولا البقال ولا المواطنون الذين يأتون لقضــاء أشــغالهم عنده ولا المدير. كان الرجل يضحك ويضحك والمارة ينظرون إلى هذا الرجل السعيد بسخرية.

- ٢١ -

ذكر أم أنثى

إنها فتاة جميلة تشبه إلى حد ما دودة البندق تعمل ممثلة في المسرح. مهما أُعطيت من الأدوار الجميلة لا أرى هذه الأدوار تليق بها وبجمالها. وأقول في نفسي آه.. آه.. لو أكون مخرجاً حتى أعطيها الأدوار على كيفي وبما يليق بها. وبينما كنت غارقاً في التفكير وإذا بمقولة خطرت على بالي "الطريق إلى النجومية يمر من فراش المخرج" هل هذه المقولة صحيحة؟ لست أدري.

الرجاء افهموا كما تريدون.. ولكن لا تفتحوا جراحاتي.

المجلة التي أعمل بها كانت قد طلبت مني أن أعمل ريبورتاجاً صحفياً مع هذه الفتاة الجميلة الواضحة.

قلت: آمان ولك يا أخي.. أنا متطوع لهذا العمل.

ذهبت والمصور إلى منزل الممثلة الشابة. كنت أسمع الأصوات بأنفي ولساني. لست أدري هل يحصل هذا الشيء معكم أيضاً؟ هل ترون في الأصوات ألواناً؟ هل تشمون الأصوات وتتذوقونها؟ كان صوتها يذكرني بأصوات البذر وهي تتكسر بين الأسنان. وأشم في صوتها رائحة الأعشاب التي تدهس تحت الأقدام.

صوتها يصدر رائحة المروج الخضراء.. ولونه.. نعم لون صوتها يشبه إلى حد ما صفرةصدر طير /الكنار/ الناعم. عندما تتحدث أشعر وكأن أسناني تعض على ثمرة /الجانرك/ فأتذوق حموضتها.

يعني أنني أسمع وأرى وأشم وأذوق صوتها بأحاسيسي دفعة واحدة ليقهر

ا لله الزمن. إذا أراد المرء أن يكون شاعراً فهذا ليس بصعب.

ويا للمسكينة خافت من الصحفيين كثيراً. فهمت سبب خوفها فيما بعد. في الأيام الأخيرة ظهرت مجموعة من الأشخاص على هيئة باعة التوت المتجولين، يقدمون أنفسهم على أنهم صحفيون. أخافوا هؤلاء المساكين بعدة طرق ووسائل عديدة.

- ستتعرون... وسنصوركم عراة.

هذه الرسوم النصف عارية، كانت تؤخذ صورها تحت اسم /موقف فنانة/، وهذه الصور كانت تستعمل في التهديد والوعيد.

شعرت بالهدوء والراحة بعض الشيء، كانت لا تريد التحدث إلى أمثال أولئك الذين يقدمون أنفسهم كصحفيين.

والحقيقة كنت أنسى /الريبورتاج/ من مدة طويلة. لأنه لا يهمني بأي شكل من الأشكال. إنني أحاول أن أبدأ الحديث من أجمل نقطة فيه، ولست أدري لماذا أعاند نفسي. في كل مرة يخطر ببالي مواقف غير لائقة لو تأخذون خياراً طرياً صغيراً قلمياً بأيديكم وتكسرونه ألا يقول لكم هذا الخيار /حيط/ (صوت الكسر) ينكسر إلى قطعتين. ثم ترون حبات العرق تظهر من طرفي الكسر كحبات الخرز.

لست أدري لماذا تذكرت عندها حبات /**badem**/ المعرقة.

- أقول آه.. آه لو تعرفون؟

أنظر إلى داخل فمها، لو تفتح شفتيها اللتين تناديان المرء أن يقبلها كأنه سيطير من بين أسنانها طير المحبة. خصلة من شعرها دهنت بالأصفر الفاتح وشعرها المتسدل على جبينها بتجعدات رائعة.. /مُتْ أيها الرجل/

- آه.. آه لو تعرفون مقدار حبي لها.

ولكن خذ الكلام واضربه على الجدار.. آه لو تعرف مقدار حبها؟ وحبيبها وا لله أعلم أي آغا للخيار.

بالنسبة إلي.. وجود رجل ما قرب امرأة جميلة، لا تذكرني إلا بذلك الحيوان الذي يبحث عن أجمل الإجاص ليأكله.

- إني أحبها بقدر...

ثمة هرة تجيب على صوتها الناعم مثل كعكة الحساء عندما تأكلها خلال فتحة الباب الآخر.

- ميرررر... ميرررر...... ميرررررر.

رفعت ذيلها نحو الأعلى عمودياً. تمسد برأسها أرجل صاحبتها.

تذهب نظراتي إلى رجليها.. أرجل وسيقان ناعمة، تشبه سيقان الحصان العربي الأصيل. وكأنها تتدرج من النعومة إلى التضخم كالمدرج الموسيقي الذي يبدأ من سي إلى دو.

قالت: هذا هو حبيبي.

آه ماذا أقول لك يا بنت...

هذا جميل وحسن أن تمسد هرة أرجلها وساقيها أفضل من دبٍ يبحث عن أفضل الإجاص ليأكله.

يأخذ المصور الهرة إلى حضنه ويبدأ بتمسيد شعرها ويلاعبها.

لفتح المناقشة يجب أن نجد مكاناً مناسباً.

سألتها وفي الوقت نفسه أردت أن أمزح معها. هل حبيبك ذكر؟

قالت لا أعرف.

- ألا تعرفين؟ عجيب. إذن لا تعرفين إن كانت هرتك ذكراً أم أنثى؟

- لا أعرف لأنني لا أفهم في هذه الأمور. كيف سنفهم إن كانت الهرة ذكراً أم أنثى؟

/هوب لا/ (نوع من الاستفهام) تعالى فهمها إن كنت ذكياً.

قال المصور: هذه الهرة أنثى.

- وكيف عرفت؟

قال المصور: إذا نظرت بدقة شديدة لهذه الهرة تجدها من ثلاثة ألوان. والهرة التي تكون من ثلاثة ألوان تكون أنثى حتماً.

انظري أصفر وأسود وأبيض. الهرة التي تتكون من ثلاثة ألوان حتماً ليست ذكراً.

في الوقت الذي كان فيه المصور يتكلم. كان يمسد الهرة من رأسها إلى ذيلها أو ذنبها. وكلما أحست القطة بالسرور والسعادة كانت ترفع ذيلها أكثر وأكثر إلى أنف المصور.

ثمة دعوى فتحت في الماضي من جراء قطة تتكون من ثلاثة ألوان، هذه الدعوة كانت قد كبرت وصارت على كل لسان.

شخصان يحبان القطط كانا قد دخلا في معمعة من المناقشات والمناوشات والشروط حول مقولة القطط التي تتكون من ثلاثة ألوان أحدهما كان يقول: أنثى والآخر ذكراً. فأخذ هذين الشخصين وتجول معهما ف أنحاء تركيا بحثاً عن قطة تتكون من ثلاثة ألوان. فوجد في /أرض الروم/ قطاً ذكراً من ثلاثة ألوان. كان قد أُحضر بهذا الحيوان الاستثنائي إلى استنبول وبينما كان يقطع البوسفور في /أوسكيدار/ هرب القط من السفينة وضاع.

كنت أحاول أن أقص هذه القصة أو الدعوة للمصور وكأنها أي الدعوة

مهمة كالدعوات الديمقراطية والنشر في تاريخنا العدلي. وكأنه لا يوجد هناك حديث آخر نتحدث عنه. والمصور يعاند ويكابر ومصر على قناعته وإدعائه.

– هذه القطة أنثى حتماً. ليس من ألوانها فحسب بل من ريشها أيضاً. انظروا لمعان جسمها وشعرها.

ليس شعرها فقط. بل انظروا إلى ذيلها الطويل. إن ذيول القطط الذكور تكون قصيرة وغليظة.

غمزته بعيوني مرة وبحاجبي مرة.. ولكنه لم يفهم. ليقهر الله القط الذكر والقطة الأنثى. أليس هناك من حديث آخر نتحدث عنه. ما زال الأفندي مداوماً على إعطاء ندوة فكرية عن القطط الإناث.

– إن ذنب القطة رفيع من ناحية الجسم وكثيف الوبر أو الريش في آخر الذنب. فإذا كان الوبر كثيفاً فالقطة تكون أنثى.

انظروا إلى عيني هذا الحيوان.

نظرت باشمئزاز إلى عينيه. ولكنه لا يفهمني. أردت أن أقول له اقطع حديث هذه القطة.

– عيناها براقتان.. ومنورتان.. وبطنها نازل نحو الأسفل. حتى إن هذه القطة حامل.

يفتش بيديه عن شيئ ما في بطن القطة.

– ما شاء الله إنها حامل لثلاث قطط صغار. لن تبقى شهراً إلا وستضع أولادها.

وربما كان على وشك التساؤل؟ هل القطط الموجودة في بطنها ذكوراً أم إناثاً. وكذلك ألوانها.

وكأن القطة قد فهمت ما قاله المصور. من جهة كانت تنوء (ميرناف) ومن جهة ثانية ترفع ذيلها نحو الأعلى إلى وجه المصور وهي تعطي الإشارات. ولكن أين الفهم عند مصورنا؟

- أشترط على ألف ليرة أن هذه القطة أنثى.. انظروا إلى مخالبها..

يا عالم، يا هو لماذا جئنا إلى هنا؟ هل جئنا لمعاينة القطط الذكور والإناث... وكم كان يعرف هذا المصور عن القطط؟ يتكلم ويتكلم يوضح ويوضح..

- شنبات القطة الأنثى..

بما أنك تفهم في هذه الأمور جيداً... فلماذا تعمل صحفياً ومصوراً.. وأنت تحت التهديد أن تنال ضرباً من الشرطة في كل ساعة وأفضل لك من أن تصور السياسيين.. اذهب إلى معهد الحيوانات واعمل هناك بروفسوراً مختصاً في علم الحيوان.

- إن القدمين الخلفيتين للقطة الأنثى بالنسبة لأرجل الذكر...

لم تتحمل القطة كثرة الكلام عند المصور فقفزت إلى الأرض وكأنها تريد أن تظهر نفسها هل هي ذكر أم أنثى. رفعت ذيلها نحو الأعلى فبانت أعضاء القط الذكرية.

عندها قالت النجمة الجميلة: آآ إن هذه القطة ذكراً.

نظرت إلى وجه المصور كان على وشك أن يفتح فاه.

قلت: ولك اسكت. بقى هل تفهم أحسن من الست هانم؟..

كان الريبورتاج قد انتهى. الست الفنانة لا يهمها شيئ بعد الآن. وبأي حديث كنا سنتحدث معها....

- ٢٢ -

رجل ذكي جداً

قال: ينتظرونك في منزلهم. وحتماً ستلتقي بهم، هكذا قالوا لي.

قلت: وما المناسبة؟ حتى أنني لا أعرفهم.

- نعم، ولكن بقدر ما تحدثت عنك أمامهم، بأنك رجل ذكي وحاذق وعلى مستوى رفيع من الأخلاق والعلم. مدحتك مدحاً لا يوصف حتى رفعتك إلى السماء.

من منا لا يحب أن يكون ذكياً؟ وخاصة إذا مدحه أحدهم للآخرين. وفعلت كما يفعل الذين أصواتهم جميلة، وعندما يقال لهم غني لنا أغنية. يأخذون ستارة الحياء للدلال. أنا أيضاً تمتمت ببعض الجمل القصيرة مرتدياً بذلك لباس التواضع. في النهاية ذهبت إلى عمارة المعجبين بذكائي الخارق.

عائلة تتكون من أب وأم وابنتان وشاب صغير. وما أن وطئت عتبة الباب، حتى بدأ الجميع بتمشيطي من رأسي إلى أخمص قدمي، ليتأملوا هذا الإنسان المتميز بالذكاء الخارق. كنت أقف كالطالب الكسول الذي يدخل الصف لأول مرة والذي لم يحفظ درسه.

قال الأب: أمان يا سيدي.. جميع أفراد العائلة معجبون بذكائك.

تصوروا كم كنت محتاراً ومندهشاً.

- يا!! أهكذا!! نعم.. نعم..

أقول هذا وأعطي لنفسي صورة مناقضة لما يعرفه الرجل عني.

قالت الأم: جميع الأصدقاء الذين يعرفونك يشيدون بذكائك.. في الوقت الذي كانت فيه الأم تتحدث.. كانت ابنتها الكبرى تطقطق أصابعها.

وصل ضيوف آخرون إلى البيت ليشاهدوا هذا الإنسان الذكي. وكأنهم في حديقة للحيوانات يتفرجون على حيوان لم يروه أبداً. هكذا كانوا ينظرون إليّ.

ماذا أفعل الآن؟ لقد حصل ما حصل.. اقتنع أحدهم بذكائي وبصيرتي تماماً. كالبضاعة التالفة عندما تعرض في الإعلانات.

كنت خائفاً من الخجل والارتباك. خاصة إذا صدر عني تصرف أو كلام غير لائق، سيقولون أين ذكاء هذا الرجل الذي نفخوا بذكائه رؤوسنا وعقولنا.

يا ترى ماذا أفعل؟ هل أجلس كعادتي وأصمت دون أن أقول شيئاً؟ أم أحشر نفسي في جميع الأحاديث والتصرفات ولا أترك لأحد مجالاً للكلام. أم أقص لهم اللطائف والنكت وأجعلهم يموتون من الضحك؟ أم أتكلم بهدوء وروية كلاماً موزوناً؟ أم أجعل من شخصيتي في مستوى أكبر من مستواهم جميعاً؟

كان العرق يتصبب مني.. يجب أن أفعل شيئاً لإظهار ذكائي وإثبات مقدرتي ودهائي.

ولكن ما حصل هو العكس تماماً... فقد ماتت في تلك الليلة جميع سلبياتي، وبساطتي، وقدراتي على التفكير الدقيق. لم أعد أجد مكاناً أضع فيه يدي وصورتي، لقد أصبحت أذناي طويلتان، وأسناني كبرت وكأنهم وضعوا فوق رقبتي رأس حمار متميز ليقهر الله العجز.

الجميع يضحكون ويتحدثون فيما بينهم. أما أنا المسكين فلا أنطق ببنت

شفة. أحفظ آلافاً من اللطائف والنكت. ولا أتذكـر واحـدة منهـا الآن. مـن يدري.. كيف سيسخرون مني بعد خروجي مـن هنـا. لقـد افتضـح أمـري!! سألني صاحب الدار: ما نوعية تفكيركم يا سيدي؟

ربما ينتظرون ظهور ذكائي الذي يبهر العيون. وبما أنني لا أعرف موضوع نقاشهم قلت:

- تفكـيري... شـيئ يخص المسـألة الـتي تناقشـونها، وأنـا أؤيدكـم في طروحاتكم.

عندما ظهرت زوبعة من القهقهات... /يلعن أمه/ كنـت علـى وشـك أن أبكي. أرفع رأسـي وأنظر إلى السـقف. وفجـأة كـأن الشـيطان أيقظـني مـن غيبوبتي فقلت: هناك نكتة ربما تعرفونها.

/لا نكتة ولا مكتة/ أقول ذلك عبثـاً. مـن أيـن خرجـت النكتـة لا دري؟ الجميع ينظرون إلى وجهي ودماغي الذي /سيبيض، سيلد/ جواهراً.

- النكتة معروفة.. في يوم من الأيام كان جحا المرحوم...

توه.. لا أتذكر ولا قصة واحدة عن جحا. الشيئ الجميل أن صاحبة الدار قد دعتنا إلى المائدة. وكان بودي أن أبقى آخر شخص يصل إلى المائدة. لم أرَ نفسي إلا وأنا في المقدمة أجلس إليها قبل الموجودين.

وصلت إلى حالة بحيث لم أجد مكان فمـي.. كـان الحسـاء ينسـكب مـن الملعقة فوق ثيابي.

بدلاً من أن أقول لصاحبة البيت الناعمة: سلَّم الله يديك. طعامك لذيـذ. وإذ بي أقول لها:

- طعامك فيه ملح أكثر من اللزوم.

وضعت ابنتها الشابة في صحني قطعة لحم.

عوضاً أن أقول لها شكراً لك يكفي.. قلت لها: ضعي /املئي الصحن/.

كأن ثمة إنسان آخر في أعماقي.

قلت للشاب الجالس أمامي:

- أيها الشاب: لعب القمار هو قلة الأخلاق بعينها.. بينما أنت..

قال الشاب قبل أن أكمل كلامي:

- في حياتي كلها لم ألعب القمار يا سيدي.

أجبته لأظهر لهم بعضاً من ذكائي:

- قبل كل شيئ تشاطر على أبيك لا علي.

الجميع يسمعونني الآن. وأنا أتكلم مثل جهاز الحاكي الذي فلت /زنبركه/

التفتُ نحو السيد الكبير صاحب البيت وقلت:

- هل ابنتك عذراء؟

أجابني الرجل بخجل وحياء، وكأنه سقط من السقف:

- لم تتزوج بعد.

أجبته: لا تأبه بها.. خذها للمعاينة وأقترح عليك معاينتها اسبوعياً. لأن عيون ابنتك لم تعجبني.

وبعد تناول الطعام انتقلنا إلى الصالون. فأحضروا القهوة. حاولت جاهداً أن أمسك زمام نفسي وأضغط شكائم لساني ولكن عبثاً.

- كم راتبكم الشهري يا سيدي؟

- ألف وسبعمائة وأربعون ليرة.

- هام.. هام... كل هذا المصروف.. وتقول عندكم ثلاثة أولاد.. ها.. قل لي الآن.. هذا المصروف لا يوازي هذا الراتب. هناك رشوة أو..

كنت سأفرح كثيراً لو ضربوا على مؤخرتي ورموني في الشارع.

أما بقية الضيوف فأرادوا تحويل المناقشة إلى موضوع آخر. ولكن من هو هذا المتكلم العبقري؟

- الأولاد لا يشبهونك يا أخي.

نظرت إلى وجوه المعجبين بذكائي.. ولكنلم ألمح أي تغيير على ملامح وجوههم أبداً. نهضت بسرعة واقفاً وبدأت أصرخ بكل ما لدي من قوة:

- أنا إنسان أهبل.

- استغفر الله.. ما هذا الكلام. نحن من المعجبين بذكائك.

- أنا إنسان تنبل.

بدأ الحاضرون بالمناقشة فيما بينهم همساً.

- ذكاء مدهش.

- عيونه تطفح بالذكاء.

لم أستطع أن أتحمل. صرخت: ولك أنا حمار.

بدأوا يتهامسون: إنه يتكلم بالرموز. ويضع نفسه لصالح الإنسانية.

لم أعد أتحمل بعد الآن. صعدت فوق المنضدة وبدأت أنهق كالحمير. ثم قفزت إلى الشارع.

وأنا أسمعهم يقولون عني هذه الكلمات.

- ذكاء متميز.

- أنا لم أرَ رجلاً ذكياً مثله.

- الذكاء يطفح منه. لقد جن من قوة عقله.

- بالأصل الذكاء والجنون توأمان.

- إنه يمزح كثيراً ويقص نكتاً جميلة.. إنه ذكي كبير.

- ٢٣ -

مجاناً

إذا صادفكم البحر الأسود بلا عصبيته (بهدوئـه وقلـة أمواجـه) عندهـا لا تشبعون من ركوب السفن والقوارب. سفينة كـالزهرة. وبحر كما يقولـون كالشرشف مع نسمات خفيفة عليلة. وجسـم البحـر الحريـري كجسـم فتـاة عذراء لم تمسها يد رجل. ورفـاق الرحلـة طيبـون ومرحـون. /وسـكرَّة علـى سكرَّة/ أربع فتيات.. كل واحـدة أجمـل مـن الأخـرى.. نعـم أربـع فتيـات.. أختان وبنت أخوهما.. والرابعة قريبتهم من ناحية ما. وأمهم كفاكهة خـوخ ناضجة تماماً. تستطيع أن تأكلها بشراهة /ما شاء الله/ عندما تنظر إليهـا مـن بعيد كأنك ترى الشمس ولا تستطيع أن تنظر إليها.

هناك أغنية معروفة.

لا أريد أمها...

اعطني أيضاً ابنتها.

لا.. عندما يرى المـرء البنـات وأمهـن كطـير الكنـاري يغـردن /جيفيـل.. جيفيـل/ وكطـير العشـاق. ألـوان وألـوان.. وكأسمـاك /أقفـاريوم/ المتوهجـة. ستبدل كلمات الأغنية إلى:

أريد أمها.

أريد أيضاً ابنتها.

اعطني أمها. أعطني أيضاً ابنتها.

لا لمذاق ولا لشبع.. صادقت البنات مباشرة وأصبحنا أحباباً. هذا ليس حلماً. ولكنه واقع عشته.

كنت أدور حول البنات، كذكور القطط التي تتبع أنثاها. لم ألق اهتمامهم أبداً. عيناي معهم، وأذناي معهم، وأنفي معهم. فيهن /غونير/ (اسم علم) شفتاها تقول: "تعالى قبلني" أما /أيسال/ كأنها ولدت أميرة من أمها طرف ثوبها يكنس القلوب معه. صدورهن تقول: "تعالى كلني" تمشي وكأنها ترقص رقصة الـ/مامبا/.

كيف وصلنا إلى /ترابزون/ لا أدري... وكأن الكفار كلهم محصنون. هواهم يحيط بالإنسان من جميع الجهات ولكنك لا تستطيع أن تكون بخيلاً عليهن.

/أيسال/ تسأل:

- كم كلفك هذا /الأمبريم/ يا روحي؟

- القماش مع الخياط.. ألف وخمسمائة ليرة.

تقول الأم: آ...آ... بلاش...

- حذاؤك جميل جداً يا بيرسان بكم اشتريتها؟

- آآآ وا لله بلاش..

- نعم رخيص جداً.

- أين ذهب أهلك في هذا الصيف؟

- كانوا سيذهبون إلى الجزيرة. ولكنهم تأخروا. فانتقلوا إلى /العادية/

- وهل هي جميلة؟

- ايه هيك وهيك.

- بكم أخذوا يا /نونوشتي/ (عزيز نيسين هنا يستعمل مفردات خاصة بالطبقات البرجوازية والغنية).

- في الصيف فقط سبعة عشر ألفاً وخمسمائة ليرة.

- آآآ آمان كم هو جميل.

- إنه بلاش يا روحي.

- المؤجر طلع من معارفهم ولهذا أجرهم بهذا السعر.

هل تعرفون ماذا يدور في أعماقي.أتمنى أن تهب عاصفة هوجاء قوية تقلب الباخرة ثم ألقي بنفسي بين الأمواج وأنقذ واحدة منهم، ولكن أية واحدة؟ لا أقدر أن أتنازل عن أية واحدة منهن.

- هل ذهبت إلى عرس /كول بري/ يا روحي؟

- ذهبت يا روحي.. كانت تلبس فستان عرس وأي فستان؟ جميل جداً أخيطه في باريس بخمسة عشر ألفاً.

- ماذا تقولين؟ خمسة عشر ألفاً بلاش يا روحي.

- نعم بلاش.

- وأين صار العرس؟

- في خان السراي. يقال أنهم استأجروا صالوناً بثمانية وعشرين ألفاً.

- آمان.. كم هو بلاش.أبلى بالعمى إذا لم يكن مجاناً.

- نعم هو بلاش. ويقولون أن زوجها وضع على عنقها عقداً مؤلفاً من أربع وعشرين حجرة. اشتراه من انكلترا بثمانية وخمسين ألف ليرة ولكن..

- أرخص من الماء.

- وهل كلمة رخيص، كلام يا روحي إنه بلاش.

لو تغرق هذه السفينة.. وأصبح مثل طرزان، وأنتشل هؤلاء من الغرق وأنقلهم إلى الساحل. هنَّ أيضاً بشر.. ولا بد أن يظلوا تحت رحمتي. لأنني خلصتهم من الموت المحقق. يعملون معي معروفاً صغيراً. وينالون الثواب.

- هل تعرفين أن /سوا/ اشترت في /حيها نفير/ شقة.

- يا يا يا

- لكنهم باعوها ثانية.

- بكم؟

- بثمانمائة وتسعون ألفاً.

- آمان... ما أرخصها.. بلاش.

- بلاش يا روحي بلاش. ليتها لو اشتريتها أنت.

- نحن اشترينا فيلا في طريق الفنار.

- بكم؟

- بثمانمائة ألف.

- آمان.. ماذا تقولين.. بلاش يا روحي.

- نعم.. كان صيداً ثميناً.

أقبل عينيك أيها البحر الأسود.. هيا ابدأ بالهياج. حتى يبقى اسمك أسوداً. لتسقط الفتيات في البحر حتى أجمعهم واحدة إثر أخرى. هؤلاء لا يفهمن بالتي هي أحسن.

- يقولون إن /كولبري/ قد اشترت فروة ثمينة ترغم الإنسان أن ينظر إليها.

- بكم؟

كنت على وشك أن أصرخ .. /بلاش/.

أجابت /إيسال/:

- تسع وثلاثون ألف ليرة يا روحي.

- آآآ بلاش.. ما أرخص هذا الشيئ!!

- رخيصة ولكنها فوق العادة.. جميلة.

استجاب الله لدعائي.. وصار البحر الأسود يوضح عن نفسه بأنه البحر الأسود. وأصبحت الباخرة ترتفع وتنزل بين الأمواج كقشرة البندق الصغيرة.

فتحت يدي أدعو.. "تحمل أيها المبارك تحمل" ولكن وصلنا إلى /طرابزون/ ورست السفينة بعيداً عن الشاطئ.. البنات ذاهبات.. اقتربت القوارب من الباخرة والتي ستنقل المسافرين إلى اليابسة. السلالم عامودية وضيقة والباخرة تتمايل. البنات ينزلن من السلم (الدرج) وهن يصرخن بأصوات قوية.

طبعاً أنا خلفهم. لا أعمل لأكل العيش (خبز) ولكني أعمل لصالح الهلال الأحمر. تعرفون تلك التي اسمها /ايسال/ ككانت نازلة من الدرج وعندما كادت أن تضع قدمها على القارب، وإذ بموجة كبيرة تدخل بين السفينة والقارب وصرخت /إيسال/... آي.. آي...

لم تقع في البحر ولكنها وقعت بين أحضان البحار الموجود في القارب ثم تكومت على القارب.

- لقد تخلصت بثمن بخسٍ.

عندها لم أستطع أن أتحمل..

- وهل الكلام رخيص يا روحي.. بلاش وا لله بلاش وبا لله بلاش.

لقد طيرت البنات البلاشات بالبلاش ولم أرمِ بنفسي إلى البحر لأن روحي بالنسبة إلي غالية وليست كالأشياء التي يشترونها ببلاش. لأجل هـذا السبب لم أرمِ بنفسي إلى البحر. ثم إن هنالك الموجود على جسمي من بنطال وقميص وجاكيت يساوي على الأقل خمسين ليرة.

- ٢٤ -

مذكرات ممثل مسرحي شعبي (١)

/باراتونير/

كنا نفكر ببناء مسرح فني. ولكننا لا نملك المال الكافي. قال ابن محافظ متقاعد بأننا نربح المال الكثير إذا خرجنا بمجموعة من الممثلين، في جولة حول المدن والبلدات. لقد اقتبس هذا الأسلوب في المسرح الجوَّال عن غيره.. كنا سنحصل على المال من خلال هذه الجولات ثم نبني مسرحنا الفني بوارداته. هكذا قررنا فيما بيننا.

يقال أن هناك مقهى في /توب هانة/ يجتمع فيه الممثلون والممثلات. وتجد فيه كل أنواع الممثلين والفنانين. المهم في الأمر وجدنا مقهى الممثلين.. بعد سلسلة من الأسئلة والأجوبة وكنا ثلاثة أصدقاء. المقهى يغصُّ بالرجال والنساء والشباب والعجائز. بعضهم يحمل عوداً والآخر كماناً والآخر دفاً. عندما اعتادت أعيننا على الدخان وأنوفنا على الرائحة بدأنا ننظر يميناً وشمالاً. وجدنا أن كل العيون تنظر إلينا. بعضهم ينظر مباشرة وبعضهم ينظر إلينا بأطراف عينيه.

بما أن خارج المقهى ليس بارداً، وداخله حارٌ جداً فقد بدا لنا الجميع وكأنهم يشعرون بالبرد القارس متداخلين ومتقاربين مع بعضهم، كطيور الدوري في الأمسيات الباردة. وربما كان هذا الوضع نابع من جو المقهى.. فقد لا حظت عندما جلسنا على إحدى الطاولات أننا تقوقعنا داخل ثيابنا وتقاربنا من بعضنا نحن الأصدقاء الثلاثة وكأن برداً قارساً يدب فينا. وضعونا

في بوتقة الغرباء... وهذا ظاهر.. أما نحن فقد عتبنا عليهم على تصرفهم هذا.
ثم جاء القهواتي وقبل أن يسألنا عن شرابنا قال:

- هل هناك حفلة طهور ما؟ هل تريدون فناناً؟

اقترب رجل عجوز كان يجلس لجانبنا قائلاً: إذا كنتم تريدون لعب الدمى فأنا موجود. عندي طاقم فني في ألعاب الدمى المتحركة.

كان العجوز أعرجاً، فهمناه من خلال اقترابه منا ومن خلال إشعاله لسيجارته.

- نحن نريد مجموعة من الفنانين. سنقوم بجولة عمل في بعض الولايات والمناطق.

- هذا سهل.

اقترح علينا رجلان وامرأتان وهو الخامس. مجموعة من خمسة أشخاص وقال: إن في هذه المجموعة من الحركات والألعاب والفن ما يوازي خمس وعشرون فناناً وفنانةً. كان أحد الرجال شاباً. ويقول أنه يمثل دور /هملت/ تمثيلاً عظيماً، ثم إنه كوميدي مشهور. وأنه يغني مع زوجته /الأوبريت/ بشكل رائع. وفي حال عدم وجود دور له في المسرح فهو يضرب على الطبل. وبالنسبة لزوجته تغني الأغاني التركية والفرنجية وتعد ملكة الرقص. أما الرجل الآخر فهو ممثل درامي قوي البنية. يبتلع السيوف ويقطع نفوس المتفرجين من شدة الإعجاب. ثم إنه سريع الحركات وخاصة اليدين حيث باستطاعته انتشال محافظ نقود المتفرجين، ثم يخرج كل محفظة من جيب الآخر. والمتفرجون يعضون أصابعهم من الدهشة والإعجاب. وهو مشهور أيضاً بأعمال الديكور ويعزف على /الترومبون/. أما بالنسبة إليه أي العجوز، فقد سرد قصة حياته كاملة:

إذا لخصنا قصة حياته في شبابه، فقد كانت لديه رغبة جامحة في أن يكون ممثلاً مسرحياً. حيث أحب ممثلة مسرحية فاتنة. وبعد أن أنفق من أجلها كل ما ورثه عن أبيه أصبح يعمل بهلوانياً. يضحك على الناس. وعندما وصل إلى درجة لا يستطيع القيام بأعمال الخفة والشطارة، أصبح يعمل بالدمى والألعاب. إلى جانب عمله هذا، كان يعمل على رفع ستارة المسرح. ويبيع التذاكر وكل الأعمال المطلوبة في المسرح.

قال لاعب الدمى العجوز: هذا العمل تمام. بعد الظهر تتفقون وتتشاورون مع الأصدقاء. المطلوب منكم أن تجدوا اثنان من الـ/باراتونر/.

ما عمل الـ /الباراتونر/ في المسرح؟ إنه ضروري للمسرح الشعبي المتجول.

وبما أننا لم نرتح للعجوز، فقد وجدنا إنساناً آخر بواسطة القهواتي. كانوا أربعة أشخاص، رجل وإمرأة وابنتاهما. وحسب تعبير القهواتي، فإن هؤلاء الفنانين الأربعة يقومون بعمل أربعين فناناً. وقال أن البنت الصغرى تغني /الكانتو/ بشكل عجيب وترقص بشكل رائع.

قال العجوز الأحولْ: المطلوب منكم أن تجدوا زوجاً من الـ /باراتونر/ وبذلك يكتمل طاقم المسرح.

نظرنا نحن الثلاثة في عيون بعضنا.

وكنا على وشك الاتفاق مع هذا الأحول.. ولكن عندما نهض من مكانه وتحرك، وجدناه أعرجاً. ولهذا السبب تراجعنا عن الاتفاق.

مسرحيّ شعبي قديم، وجد لنا مجموعة تتكون من امرأتين وثلاثة رجال. كانت إحداهن تملك خمس أفاعي وشهرتها: /راقصة الأفاعي/. أحد الرجال يملك قناعاً عجيباً، ويعد من عجائب الدنيا رقم /٨/ وحش له رأسان وأربعة قرون. وحسب ادعائهم إذا خرجنا بهذا الزي فإن ربحنا من المال سيكون

عالياً وكبيراً جداً. ولكن لهم مطلب واحـد يجـب أن نجـد لهـم زوجـاً مـن الـ /الباراتونر/ جميلتين وبدينتين.

لم نستطع الاتفاق مع هذه المجموعة. ولكننا اتفقنا مع مجموعة تتكـون مـن ثلاثة أشخاص. أختان وزوج إحداهن. وبما أن الرجل أصلع تماماً، فقد غطـى رأسه بشعر مستعار، ولهذا السبب أطلقـوا عليـه /الذولفيـار/ وذولفيـار هـذا يقارب طوله المترين. وسمرة جلده كسمرة تماثيل البرونز.

- ابحثوا عن فنانتين جميلتين.. بدينتين.. مكتنزتين.

وبما أننا نعمل ونعيش خلف المسرح، كنا نخجل أن نسأل عن الـ/باراتونر/ وما معنى هذا الاسم؟ فقلت له وكأنني أخفف من الإسراف:

- ألا يمكن الاعتماد على فنانة واحدة؟

قال /ذولفيار/ مبتسـماً: إحداهـن سـتكون سمـراء والأخـرى شـقراء. لأن بعض الناس يحبون السمراوات وبعضهم يميلون إلى الشقراوات.

وبما أنه لم يغلق فمه بعد الابتسامة فقد بقيت أسنانه الـتي تشبه الفـأس في شكلها وحجمها ظاهرة ومقرفة.

في هذه الأثناء عندما وجدنا الواقف على موقد مقهى الفنانين والذي يقوم بتحضير المشـروبات أننـا غـير مبـالين علـى أخـذ /الفنانـات/ معنـا في الجولـة الشعبية. قال:

- ذولفيـار محـق جـداً يـا سيدي. إذا لم تـأخذوا معكـم هـذه الفنانـات فسيلحق بكم الخزي والفشل. أنتم لا تعرفون ذلك يا سيدي الأخ، لأنكـم لم تخرجوا ولا مرة واحدة لهـذه الجـولات الفنيـة في الولايـات البعيـدة. وا لله لـن تقدروا حتى على حفظ كرامتكم وناموسكم.

في اليوم الثاني قال ذولفيار:

– – لنقل لـ (تيقيز ايبو) (ايبو من ابراهيم تدللاً وحباً) ليجد لنا اثنتان من الفنانات الجميلات.

أحضر لنا ايبو زوجاً من /الفنانات/ كلتاهما بدينتان وسمراوتان لكن إحداهما مصبوغة باللون الأشقر.

قال ايبو: أريد ثلاثمائة من ليرة عمولة.

أما الفنانتين فقد طلبتا سلفاً أجرة شهر بمعدل ثلاثين ألف ليرة عن كل يوم عدا إجرة السفر والفندق والمأكل والمشرب .

عندما بدأنا نعترض على الأسعار وارتفاعها قالت الفنانة السمراء:

– إذا أعجبكم أعجبكم وإذا لم يعجبكم مع السلامة. يعني ستدفعون غصباً عنكم.

أنا أعمل مرغمة و لم أطلب منكم مئة أو مائتن.. فأنا أحب عملي وأرغب القيام في هذه الجولة لأتخلص من رجل مجنون يأكلني.

وقالت الفنانة الشقراء:

– أنا أيضاً مثلها.. فزوجي ينهب كل ما أربحه من المال.

كان ابن المحافظ المتقاعد قد جمع كل غال في منزله وباعه في المزاد العلني. أما الآخر فلم أعرف من أين حصل على المال اللازم. أما أنا فقد استعنت بثلاثة رواتب تقاعدية لأمي. وكنا سنعيد هذه الديون عندما نربح مالاً من المسرح الفني الذي كنا سنبنيه في المستقبل القريب.

عندما ركبنا الحافلة أصابتنا الدهشة والحيرة. وعندما شاهدنا الفنانة زوجة /الذولفيار/ تحمل طفلاً رضيعاً في حضنها. وأثناء الاتفاق لم يذكروا شيئاً عن

أمر الطفل الصغير، خوف أن لا نأخذهم إلى الجولة والعمل.

كانت لدينا ثلاثة أعمال مسرحية كنا سنعرضها في الأماكن التي سنزورها وفي الهواء الطلق. مسرحية كتبها ابن المحافظ المتقاعد، ومسرحية أخرى كنت سأكتبها فيما بعد، وصديقي الآخر مثلي لم يكتبها.

عندما عرضنا الأعمال الثلاثة على ذولفيار أبدى لنا نصيحة هي خلاصة تجاربه.

- أيها الأخوة أنا لي تجربة واسعة في هذا المضمار. في جولات المسارح لا يكون هناك سيناريو ولا حوار ولا أي شيئ. وإلا نظل جائعين ونصبح في حالة مزرية جداً. في البداية تصعد زوجتي وأختها إلى المنصة. وأنا أعزف الكمان. ثم أصعد أنا الآخر إلى المسرح فأقدم بعض النمر والحركات. ثم نقدم أنا وزوجتي عرضاً على رقصة /الآباش/ لأن هذه الرقصة تعطي نفساً جنسياً للمشاهدين.

- نحن نملك مسرحيات كثيرة نمثل من الذي نملكه.

إذا كانت المسرحيات التي كتبناها، أو التي كتبتها أنا شخصياً لن تمثل على المسارح، إذاً لماذا كان خروجنا لهذه الجولة.

كان هدفنا أن نأخذ المسرح إلى الشعب، وبما أن الشعب لا يحضر إلى المسرح، فيجب أن يذهب المسرح إلى الشعب. وقبل أي شيئ يجب أن يعتاد الشعب على ارتياد المسارح. ومن البداية يجب أن لا نقول هذا صح وهذا خطأ. المهم في الأمر هو الشعب والمسرح أن يكونا متحابين دوماً. ثم بعد ذلك وبواسطة المال الذي سنربحه من هذه الجولات البعيدة أي المسارح الشعبية. سنبني في استانبول مسرحياً فنياً متميزاً.

قال ذولفيار: أنتم تعرفون... وكل الأوامر ستصدر منكم شخصياً. هذا

الكلام يجب أن أقوله لكم وكفى.. وصلنا إلى بلدة.. نزلنا في أحد الفنادق. وضع /ذوليفار/ زوجته وأختها في إحدى الغرف وأغلق الباب عليهما ووضع المفتاح في جيبه، وذهبنا معه وبعهدته /والفنانتان/ إلى إحدى الدوائر الحكومية لإتمام بعض الأوراق الرسمية.

بينما كان الرجل الجالس خلف المكتب ينظر إلينا بقسوة وجلف وإذا بذولفيار يقبل يدي الرجل ويقول:

– نحن من فناني المسرح القومي يا أفندم. نحن على اضطلاع تام بأن سيادتكم الأب الروحي للفن والفنانين. وبما أننا سمعنا عن سيادتكم هذا الحب الكبير للفن والفنانين، فقد جئنا إلى هنا خصيصاً من أجلكم يا سيدي.

حاول الرجل أن يقول شيئاً ولكن ذوليفار لم يعطه الفرصة فقال وهو يدفع بالفنانة السمراء نحوه:

– هذه هي مفخرة مسرحنا القومي، رئيسة الفنانات ورائعة الرقص الفنانة /بلمى/ هانم.

ثم دفع بالفنانة الشقراء نحو الطاولة قائلاً:

– وسلمى هانم هي الأخرى رئيسة النجوم في فرقتنا. هي /مادونتنا/ (مادونا) الجنية. وفي الوقت نفسه مشهورة بلقب /بلبلة الأغنية التركية/ ونجمة الأفلام.

قال الرجل واللعاب يسيل من فمه:

– يا يا... أهكذا إذن. تشرفت بمعرفتكم. ليحفظها الله ليحفظها الله.

قالت الفنانة السمراء ذات الوجه البغلي وهي تتغنج وتصب كلاماً ناعماً:

– هذا الشرف عائد لنا يا أفندم.

أما الفنانة الشقراء فقد تكلمت، وكلامها يسيل من فمها كحبات اللولو، كالزيت الذي يتسرب ويذوب أمام الرجل:

كان الرجل ينظر إلينا بقساوة وجلف ومع هذا تغيرت سمات وجهه مباشرة وبدأ يلين. كانت شفته السفلى قد تدلت حتى وصلت إلى حنكه. قال وهو يجمع شفته السفلى ويعيدها إلى مكانها. ويرش البصاق رشاً:

– رجاءً تفضلوا تفضلوا اجلسوا! ليس هنا يا أفندم بل إلى هنا. حئتم أهلاً حللتم سهلاً. لقد أحييتمونا يا أفندم. قال ذلك وهو يدور حول الفنانات.

لم ينظر الرجل إلينا.. لكنه التفتَ نحو ذلفيار وسأله قائلاً:

– كم يوماً ستبقى السيدتان في ضيافتنا؟

– مدة أسبوع يا سيدي.

– هذا لا يكون... قطعياً لا يكون.

صرخ بهذه الكلمات صراخاً شديداً، حتى أن البواب دخل إلى المكتب ظاناً أن معلمه يطلبه.

– آه كم جميل أن تدخل يا بني.. انظر إلى الهوانم ماذا يشربن.

– شكراً لك يا سيدي لا نريد شيئاً.

– ما هذا القول؟... اشربوا يا أفندم... ماذا تطلبون؟.. الشاي أم القهوة أم الكازوز.

وأضاف وهو يبتسم: وبما أن هذا المكان دائرة حكومية رسمية، ولا يجوز شرب غير ذلك ولكننا نستطيع أن نشرب معاً عند المساء.

طلبت الفنانتان القهوة. أما نحن فجميع طلباتنا غير موجودة.

قال الرجل الذي خلف المكتب:

- إن سكان هذه البلدة يحبون الضيوف كثيراً. ومدمنون كثيراً على جماعة الفنانين. وبما أن النجمتين وقعتا في أيدينا فلن نتركهما بسهولة هكذا يا روحي. المجيئ من مهمة الضيف والعودة من مهمتنا. الإنسان في اسبوع واحد يعتاد على الآخر.. ويتدفأ من الآخر.

كان من خلال حديثه لطيف... ضحك وحده على ما بدر منه من اللطافة واللطيفة وبصوت عال.

قال ذولفيار: نحن تحت أوامرك يا سيدي.. نظل كما تريد.

- المعذرة. هل أنتم أحرار هذه الليلة؟

- نحن لا نعمل هذه الليلة وبالأحرى لدينا فراغ.

- أوه.. أوه... أنا سعيد جداً. سأجهز أوراقكم.ومعاملتكم وأرسلها إلى البلدية والأمن وإلى أي مكان ترغبون.

- أطال ا لله عمرك يا سيدي.

- إن حماية الفنانين من /مهمتنا/ وصلب عملنا.

كنا واقفين نحن الثلاثة خلف البابوأخيراً وقع بصره علينا.

- وأنتم لماذا تقفون هنا؟

- نحن أيضاً من المسرح القومي يا سيدي.

- تو... اخرجوا وانتظروا خارج المكتب.

بينما كنا نتحرك نحو الباب، قال ذوليفار:

- إذا كنتم ترغبون يا سيدي أن تظل /بلمى/ هانم هنا مع سيادتكم حتى

تأتي إلينا بالأوراق فلا مانع لدينا.

- هاي.. هاي.. مناسب جداً.

تركنا الفنانة السمراء ذات الوجه البغلي عنده، وذهبنا إلى دائرة أخرى. بينما بقيت الفنانة الشقراء في الدائرة الثانية. وعندما وصلنا إلى الفندق تنفس ذولفيار الصعداء وقال:

- حتى هذه المرحلة نكون قد خلصنا زوجتي وأختها.

في تلك الليلة قدمنا عرضنا الأول في صالة السينما اليتيمة في البلدة. فقد اكتظت القاعة وامتلأت المقاعد. أما في الليلة الثانية لم يحضر لمشاهدتنا سوى خمسين متفرجاً.

قال ذولفيار: كما ترون في هذه المناطق لا مسرح ولا تسرح. في الليلة الأولى جاؤوا ليشاهدوا شوفي شو مافي.. وفي الليلة الثانية وكما ترون وقعنا في ورطة.

قال: علقوا الثياب.

صرخت زوجته في وجهه: هذا ليس من اختصاصي. إنه من اختصاص الفنانات.

- كما ترين يا روحي الفنانات يقمن بعملهن..

لم أفهم المعنى من تعليق الثياب شيئاً. بغض النظر، علقت زوجة ذولفيار وأختها ألبستهما الداخلية، وكأنهما نشرتهما بعد غسلهما على حبل ممعلقدوه بين عامودين صغيرين. آمان.. ماذا أرى!

لم ننتظر طويلاً حتى اجتمع رجال البلدة ورؤوسهم مرفوعة يحدقون بالألبسة الداخلية المنشورة. عندها قال ذولفيار:

- علقوا الثياب خارج هذا المكان... هنا لا يتسع لكل هؤلاء الناس.

عُلقت الثياب النسائية الملونة في الخارج وعندما بدأت هذه الألبسة تنتفخ كالضروع بفعل الهواء، أصبحت الساحة أمام السينما تعج بآلاف الرجال. بدأوا يرفسون بعضهم من أجل بطاقة للدخول.

رفعنا الستارة، وبدأنا بعرض بعض النمر والحركات. قال الحارس الذي جاء إلى داخل الكواليس لذولفيار:

- السيد يبعث لكم سلامه الخاص. ويقول إن عدة معاملات ناقصة لم تسوَ في دائرتنا.

قال ذولفيار: أوصل للسيد احترامنا وتقديرنا. غداً نرسل الهوائم إليه لإتمام الأوراق الناقصة.

في كل ليلة كان يحضر أحدهم لأجل نقص معاملة ما.

- هناك شهادة حسن سلوك.

- لا يمكنكم رفع الستارة إذا تحصلوا على شهادة تلقيح.

- يجب أن تُسوى الأوراق العسكرية.

- هل حصلتم على معاينة صحية نظامية؟

من أجل إتمام هذه المعاملات كنا بحاجة إلى عشرين فنانة على أقل تقدير..

قال صاحب السينما: إن السينما ستهوي عى رؤوسنا. وأحذركم من نشر الثياب خارجها وفي حال إصراركم أطلب منكم إخلاء المكان.

عندما رفعنا الألبسة الداخلية.. قل عدد المشاهدين وبالتالي انخفض مردود المال حتى توقف نهائياً. وفي إحدى الليالي عزمنا على الهرب بعد تخليص الفنانتين من مسؤولي البلدة الإداريين. وصلنا إلى بلدة أخرى. وكان أول

عمل قامت به الفنانتان، هو إتمام جميع المعاملات العسكرية والصحية والتلقيحية والبريدية في الدوائر الرسمية.

في إحدى الليالي وبينما كان العرض في منتصفه تقريباً وإذا بموظف الأحراج يدخل إلينا ويقول:

- إن معاملة دائرتنا لم تكتمل بعد.

قال ذوليفار:

- غداً سأرسل شخصاً من قبلنا إلى الدائرة لإتمام الأوراق. ولكن موظف الأحراج لم يتحرك وقال:

- هذا غير ممكن.. السيد المدير يطلب إنهاء المعاملة الآن، ولن نسمح لكم برفع الستارة قبل أن تكملوا معاملتكم.

لم تعد الفنانة الشقراء من دائرة الأحراج.. وبقيت السمراء في منزل أحد بائعي الخرداوات. عندها أحس ذولفيار بالحرج والحيرة. وقال: هيا أيها الأخوة لنرجع إلى استانبول. العمل هنا دون فنانة غير ممكن أبداً.. وبعودتنا نخلص زوجتي وأختها على الأقل.

قلنا له: هذا جميل.. ولكن لا نملك مالاً للعودة. لنقدم عرضاً أو عرضين لنجمع بعض النقود حتى نعود بها. عندما عارضت زوجة ذولفيار وأختها على تعليق الملابس الداخلية، تطوع ذوليفار شخصياً على نشرها وتعليقها. ونحن على أهبة الأستعداد لرفع الستارة، وإذ بأخت ذولفيار تختفي.. بحثنا عنها في كل مكان.. لقد اختفت واختفت. ولم نعثر لها على أي أثر. قالت زوجة ذولفيار عن أختها: "واه قليلة الأدب.. يا قليلة الناموس.. ما أعجبك هذا الأمر إلا في وقت الضيق. هناك زبون شواربه عسلية كان يجلب لها بعض

الهدايا.. ربما هربت معه".

مسكين ذولفيار فقد هربت أخت زوجته وبدا خائفاً ويقول:

- على الأقل أخلص زوجتي من أيدي هؤلاء.. هيا نذهب إلى استانبول بسرعة. بإذن الله سنكون على ما يرام.

وبينما كان يتحدثإلى زملائه وإذا بزوجته تختفي هي الأخرى. فقد عثر في غرفة الفندق على ورقة تركتها أخت زوجته تقول فيها: "لقد جاء نصيبي، وجدت الرجل الذي كنت أبحث عنه، لن تروني بعد الآن".

توجَّه ذولفيار إلى المخفر وادعى بأن زوجته قد خُطفت.. عندها قال له الحارس: "ما هذا الخطف الذي تتكلم عنه يا هو... زوجتك تركت رسالة لك. كنت سأعطيك إياها".

كانت المرأة تقول في رسالتها: كنت لا بد أن أُخطف من قبل أحدهم لعدم وجود فنانة عندنا.. قبل أن يحصل هذا الشيئ أنا ذهبت بنفسي مع رجل مناسب".

كان المسرح قد امتلأ بالمشاهدين. وكان الحاضرون يصفرون ويصرخون ويضربون الأرض بأقدامهم. وهم على وشك أن يحطمو البناية من أساسها طالبين رفع الستارة. كان ثمن البطاقات مع صاحب السينما. وسيدفع لنا حصتنا بعد انتهاء العرض. ولو أن النقود معنا.. لذهبنا من مدة طويلة. كان ابن ذولفيار الرضيع يموت من البكاء والجوع. فقد أحضر له مصاصة، وعبثاً حاول وضعها في فمه، فهو يريد ثدي أمه. فما كان من ذولفيار إلا أن وضع اصبعه الأصغر في الحليب ووضعها في فم ابنه يمصها حتى نام تماماً. ثم انتقل إلى المسرح الذي على وشك أن تقوم القيامة فيه من المشاهدين وكرر النداء الذي كنا أعلناه عن العرض قائلاً:

– السادة المشاهدون.. كنا قد وعدناكم أن نقدم لكم ملكة الرقص وصاحبة الصوت الجميل وفنانتنا الكبيرة والنجمة اللامعة.. وبما أن نجمتنا قد تأخرت، فنحن نعتذر بالنيابة عنها بعد دقائق قليلة ستسمعون /آيلا تاتلي ساس/ وتشاهدونها.

قلت لذولفيار عندما عاد إلى الكواليس:

– ولك يا أخي ماذا فعلت الآن.. وأين هي التي قلت عنها؟

قال: ليس لنا طريقة أخرى للخروج من هنا. أنا سأخرج كراقصة بعد أن أعمل الماكياج.

عاد بعد برهة وهو في حالة من العجب العجاب. لا هو بإمرأة ولا يشبه رجلاً. مجموعة من الألوان تكومت في وجهه ورقبته وفي جسده. كان قد أصبح مخلوقاً عجيباً.

في تلك الأثناء كان ابن المحافظ المتقاعد قد أخذ حصتنا من صاحب السينما وقطع تذاكر العودة بالحافلة وأسرع إلينا قائلاً:

– جهزوا أنفسكم بعد ساعتين ستقوم الحافلة. سنغادر البلدة فور انتهائنا من العرض.

عندما رأى ذولفيار بهذا المنظر صرخ:

– أي واه.. إذا خرج هذا الرجل مقدماً نفسه على إنه امرأة والله فإن المشاهدين سيقتلوننا.

كان ذولفيار داخل ثياب الرقص الخاصة بزوجته ومزركش من أطرافه بزركشات فضية وقد أمال رأسه جانباً.

– ماذا سنفعل؟ المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين.

وبما أن ذولفيار كان طويلاً لذلك لم تستر ثياب الرقص واحداً من العشرة من ساقيه المليئتان بالشعر والظاهرين للعيان.

توجب على ابن المحافظ أن يضرب على الطبل، ولكن لا أحد يعزف على الكمان.

رفع الصديق الثالث الستارة وبدأ الطفل الرضيع بالبكاء، أما أنا فقد أخذت الولد إلى حضني كي أسكته بعض الوقت.

خرج ذولفيار إلى المسرح.. يرقص من جهة ويغني من جهة أخرى، وفي كل مرة يقفز فيها نحو الأعلى،يوشك المسرح معها على السقوط، وصوته أشبه بصفارة الضباب.

أنهى ذولفيار عرضه الأول بنجاح. وأسدلت الستارة بينما المشاهدون يصفرون ويضربون الأرض بأرجلهم.

عندما خرج للمرة الثانية بدأ المشاهدون يصرخون:

-هيا اخلعي.. اخلعي.. اخلعي هذا أيضاً.

ألقى ذوليفار ببعض القطع عن جسده لكن المشاهدين يريدون المزيد. أنزلنا الستارة وخرجنا من الباب الآخر خفية نحو كاراج الباصات. أما ذوليفار فلم يكن لديه متسعاً من الوقت ليزيل الماكياج عن وجهه، ولا يستطيع خلع ثياب الرقص الملمعة عن جسمه. بينما الرضيع يقبع في حضن ابن المحافظ المتقاعد. وبينما كنت أضع الحقائب على الحافلة، وإذا بجمهرة كبيرة من الناس يقتربون منا. كنت أقول في نفسي وا لله لقد شبعنا ضرباً وقتلاً. وقبل أن أكمل كلامي وإذ بهم يصرخون: يايايا شاشاشا.. عيشي يا ابنتي يا ايلا. وأحاطونا من كل جانب.. وإذا بهم يحملون العملاق ذوليفار ويغادرون. كان الشاب الذي يحمل ذولفيار يصرخ "بنيتي أيلا". وذولفيار

العملاق يهز رجليه يريد الخلاص. وكان يصرخ:

- ولك يا شباب أنا رجا.. رجل.. اتركوني في حالي أنا رجل.

وفي كل صرخة لذولفيار كانوا يجيبونه:

- ليأكلوكِ يا أيلا.

وهكذا ما كـان مـن الجمهـور إلا أن حملـوا ذوليفـار العمـلاق هـذا علـى أكتافهم وأمام أعيننا في هذه المعمعة من الشد والدفـع والصـراع. كـان ثديـي ذولفيار التقليديين قد سقطا على الأرض.

كان ابن المحافظ المتقاعد يراقب عن كثب هذه المسرحية فقال للبواب:

- لقد بقي طفل أيلا هانم معي.. امسكه قليلاً حتى..

وضع الطفل الرضيع في أحضان البواب واتجه مسـرعاً نحـو الحافلـة وصعـد إليها.

في اليوم الثاني.. ونحن لا نزال في الطريق أوقف البوليـس الحافلـة وقبضـوا على ابن المحافظ المتقاعد، لأن والـده كـان قـد أعلـن في الجريـدة خـبراً وتحتـه صورته: رجل ضائع نبحث عنه.

وعندما وصلنا إلى استانبول قبض البوليس على صديقي الثاني لأنه لم يتـم الثامنة عشر من عمره، وكان قد سرق من عند الجيران المال اللازم لهذه الجولة الفنية المسرحية.

أما بالنسبة لي فما أن وطأت قدماي أرض الحارة حتى أسرع الجيران نحـو أمي يباركونها لعودتي (البشرى ابنك عاد).

في هذه المغامرة كنت الأقل خسـارة. كـانت أمـي قـد ظنـت بينهـا وبـين نفسها أنني انهزمت لأنني رسبت في صفي.

- ٢٥ -

من مذكرات مسرحي شعبي (٢)

لم نقدر على تخليص الفتاة

نحن يا سيدي ذقنا الأمرّين.. في ذلك الوقت لم يكن التمثيل المسرحي كما هو عليه اليوم. هذه الذكريات تعود إلى السنوات الأولى من قيام جمهوريتنا.

كان المرحوم /ف-و/ قد شكل وفداً جديداً.. وكنت من أعضاء هذا الوفد. قبل أن نقوم بالجولة، أحضر /ف-و/ فتاة إلى الوفد. ولكن أية فتاة (إنها شربة ماء!). ربما دخلت عامها السادسة عشرة أو لم تدخل بعد. صعدت عدة مرات إلى المسرح لكنها لم تكن ناضجة بعد. و لم تفتح يديها ووجهها. كنا نأخذها معنا لتحضيرها للجولات المسرحية. لو ترى الرجال في وفدنا لوجدتنا جميعاً كمروحة تدور حولها. طبعاً هذا ليس بالتصرف الحسن. وبما أننا أصبحنا عبيداً لها رهن إرادتها، لم تعط البنت الشابة أية بادرة أو نظرة لأي واحد منا.

قمنا بزيارة حول /قونيا/ وضواحيها. وركبنا الشاحنة لنذهب إلى مكان آخر وإذا بعنصر من الجندرمة يقطع علينا الطريق. وأوقف الشاحنة وقال: انزلو.

تركنا النساء داخل الشاحنة ونزلنا.

- النساء لينزلن أيضاً.

نزلت النساء أيضاً.

- أخرجوا هوياتكم...

كان كل واحد يحمل هويته ولكنها وضعت داخل الصناديق مع الملابس والديكورات. ولكي نأتي بها يجب علينا تنزيل محتويات الشاحنة كلها حتى نصل إلى الهويات. فما كان من /ف-و/ إلا أن قال: تكرم عينك. وأخرج من جيبه ورقة وقال:

- هذا إذن من الحكومة نفسها. موافقة جماعية وهذه أسماؤنا مدرجة على هذه الورقة. خذها.

اقتربت من المرحوم /ف-و/ والذي كان قد أعطى الجندرمة فاتورة الأغراض التي اشتريناها في استانبول. طبعاً هناك ختم على الفاتورة وطابع. في تلك الأيام كان يجب أن تقدم لعناصر الجندرمة التي لا تعرف القراءة والكتابة ورقة عليها خاتم وطابع. فيعني ذلك بالنسبة إليهم الدولة بذاتها. نظر رجل الجندرمة إلى الورقة نظرات شك وعدم قناعة. في البدء أمسكها معكوسة ثم على جنبها وفي النهاية أمسكها بنظام وأطال النظر فيها ثم قال:

- هيا قفوا في الدور.

وقفنا في صف واحد ورجل الجندرمة كان يشك بأننا كنا نضحك عليه بهذه الورقة. ولكي يزيل الشك عن نفسه، لا بد أن يستعمل بعضاً من تأثيراته النفسية والعسكرية. وفجأة وإذ به وكأنه أمام كتيبة عسكرية لا أمام أحد عشرة رجلاً وامرأة صرخ صرخة مدوية ترددت صداها بين الجبال والوديان.

استاعد...

والتفت نحو النساء المرتجفات خوفاً من صوته وقال:

- ولك وقف في استعداد.

سأل أول الموجودين في الرأس وهو المرحوم /ف-و/:

- ما اسمك؟

ذكر اسمه. بدأ الجندرمة وكأنه يبحث في الورقة عن اسمه.. كنت قريباً من الجندرمة حيث كنت أشاهد كل ما يفعله على الورقة. أدار بإصبعه فوق أسماء البضاعة المباعة لنا.وكأنه وجد اسمه حيث وضع اصبعه فوق "زوجان من فساتين الرقص" وقال: أنت تعالى إلى هنا.. تمام.

انتقل /ف-و/ إلى الناحية الأخرى. فأخرج الجندرمة من جيبه قلم رصاص بلله بلسانه ووضع إشارة على (زوجين من فساتين الرقص)

- وما اسمك أنت؟

- خيري..

على أساس وجد اسم خيري على الفاتورة وضع إشارة بالقلم الرصاص بعد أن بلله بلسانه.

- أنت الآخر انتقل إلى هناك.

كان الدور قد جاء إلي.

- ما اسمك؟

أنا اسمي /ححسن يول أوغلو/ ولكن لا أعرف كيف بدر مني وخرج اسم وكنية رئيس الوزراء آنذاك. عندها بدأت همهمة بين أصدقائي.. خفت كثيراً إذا ما اكتشف الجندرمة اسمي الحقيقي وهذا الاسم الذي أعطيته وا لله يكسرون عظامي.

أدار بإصبعه على الفـاتورة واضعـاً إياه علـى البنـد (عـدد جـرس) عندهـا تحركت مباشرة وقلت له:

– اسمي ليس هذا.. أنا اسمي في الأسفل ووضعت اصبعي على البند (ثلاث أزواج من الأحذية).

بتصرفي هذا أعطيته ثقة كبيرة في نفسه وقال:

– هل أنت أعمى؟ أنا قرأت هذا أيضاً.. ووضع إشارة قرب اسمي المزيف.

كل من يقرأ اسمه كان ينتقل إلى الطرف الآخر. كان يسـأل واحـداً كأنـه يوبخه بعصبية مدهشة: عندما جاء دور البنت سألها بلطف ونزاهة: مـا اسمـك أنت؟

عندها همستُ في أذن /ف–و/ راحت البنت من أيدينا.

قال: لا نتركها.

– ولكن الحذر كـل الحـذر، لا أحـد يستطيع أن يقـف ويعـاند حندرمـة الجمهورية.

قالت الفتاة التي سُئلت عن اسمها:

– اسمي /هوليا/

– هوليا أليس كذلك؟ كم ه جميل اسمك.. أنت قفي هنا يا هوليا خانم.

عزلَ الفتاة عنا.

عندما انتهى ذكر الأسماء بقي في الفاتورة ست أقـلام زيـادة. قـال: هنـاك ست أشخاص ناقصين في مجموعتكم. أين هم؟

قال /ف–و/ لقد تركناهم في /قونيا/.

كل الأوراق نظامية والأسماء نظامية ومطابقة. وكان عليه أن يجد نقصاً ما، ليأخذ الشاة من يدنا.

قال: أين وثائقكم وتصاريحكم؟

فأخرج /ف-و/ من جيبه ورقة أخرى عليها ختم وطابع: تفضلوا يا سيدي.

أخذ الورقة ونظر إليها مطولاً وقال:

- أين ورقة المختار وشهادة حسن السلوك.

كلما طلب ورقة، كان /ف-و/ يخرجها من جيبه ويقدمها للجندرمة.

- أين الشهادة الصحية؟

- ها هي تفضلوا.

في الوقت الذي أنهى الجندرمة من طلباته السنية التي يتذكرها قال وهو يضحك:

- ما شاء الله كل أوراقكم نظامية وتمام. هذا حسن جداً. أعتذر منكم لأن في هذه المناطق بعض قطاعي الطرق.

قال /ف-و/ لا أبداً لقد قمتم بواجبكم.

- نعم... الواجب...

- نستودعك الله.. إلى اللقاء.

- انتظروا بعض الوقت.. ما هذا الطبل الذي فوق الشاحنة؟ هيا انزلوه وارقصوا بعض الشيئ.

- هذا غير ممكن أبداً.. نحن في عجلة من أمرنا وعلينا أعمال كثيرة.. غير

ممكن.

- هذا ممكن.. وممكن بشكل جميل جداً.. حتى..

بينما هو يتكلم كان يدفع /ف-و/ بأخمص البارودة التي كان يحملها.

- لا يا حبيبي.. لا.. هذا غير ممكن يا ابن البلد.

- إذا كان هذا غير ممكن فذنبكم على جنبكم. مؤشراً على الفتاة. وأنا آخذ هذه المرأة.

- كيف تأخذها؟

- أصلاً اسمها غير موجود على ورقة النفوس.

- اسمها موجود ولك يا أخي... انظر..

أخرج /ف-و/ ورقة من جيبه ومدها له:

- أنت تعرف القراءة يا أخي.. اقرأ.. هذا هو اسمها.

- الفتاة ستبقى معي إن كان اسمها موجود أو غير موجود. قلت ذلك مرة ولن أعيدها مرة ثانية. أي لن أتراجع عن كلامي.

نظر /ف-و/ كأن الأمر أفلت من يده وقال:

- كما تريد.. لننزل الطبل والمزمار ولترقص النساء من أجلك.

فرح الجندرمة لهذا الأمر. فصعد /ف-و/ إلى الشاحنة محاولاً فك الطبل وإنزاله وعندما فشلنا، طلب منا أن نساعده فصعد الجميع إلى الشاحنة رجالاً ونساءً لمساعدته على فك حبال الطبل ولكن مهما حاولنا لم نستطع على نزع الحبال المربوطة.

- يا ابن البلد هل تساعدنا بعض الشيء إن الحبل معقد لا يمكن حلُّه.

في الوقت الذي أسند البندقية على الشجرة، وتسلق بالشاحنة وإذ بسائقنا يضغط على البنزين فانطلقت الشاحنة بسرعة وكأنها تطير. وبما أن الطريق غير صالحة لمثل هذه القيادات. كان الجندرمة يسقط على أرض الشاحنة كلما احتازت حفرة.

صرخ الجندرمة:

- ولك وقفوا ولك... هل تعاندون عنصر الجندرمة ولك؟

ولم يستطع أن يتمالك جسده فسقط على الأرض..ونادى بأعلى صوته: أوقفوا هذه السيارة يا قليلي الإيمان. وعندما نهض من أرض الشاحنة قال: لا أريد الفتاة ولا المرأة- ألا تعرفون يا أولاد أن خطف الجندرمة جزاؤه كبير. - ثم سقط ثانية ثانية على الأرض. لا تفعلوا ذلك يا إخوتي.

بدأ يتوسل إلينا. قال /ف-و/:

- نحن ذاهبون إلى مركز المحافظة (الولاية) إلى قيادة الجندرمة.

- لقد مزحنا معكم بعض الشيئ يا إخوتي.. ألا تفهمون بالمزاح.. لا تفعلوا ذلك بالله عليكم.-يرجونا- إن النقيب سيشبعني ضرباً... ولك آمان.. البندقية أيضاً بقيت هناك. إن البندقية ناموس العسكري.. اتركوني وشأني.

- وهل من أحد يمسك بك.. هيا اقفز واذهب!..

كيف ومن أين سيقفز.. لا يستطيع الوقوف على رجليه.

لم يكن مركز الولاية بعيداً. توقفت الشاحنة أمام قيادة الجندرمة. لقد تصرفنا بمنتهى الخطأ، كان يجب علينا ترك الجندرمة في الطريق. ولكن من أين لنا أن نعرف ذلك؟ ذهب /ف-و/ إلى قيادة الجندرمة وقص كل ما حصل لنا

إلى النقيب. فأرسل النقيب في أثرنا جميعاً والجندرمة معنا. فقصصنا للنقيب ما جرى معنا حرفياً. تناول عصىً غليظة وانهال على الجندرمة بالضرب المبرح. والآخر يصرخ من الألم ويستغيث ويترجانا.

اقترب /ف-و/ وهمس في أذني:

- لم يعجبني تصرف النقيب، وخاصة ضربه للجندرمة أمامنا. لقد خلصنا الفتاة من الجندرمة ولكننا لن نستطيع أن نخلصها من النقيب.

وحصل كما توقع الرجل الخبير. أخلى سبيلنا ولكنه ترك الفتاة عنده. قلنا لـ /ف-و/ لنذهب ونشتكي للمحافظ عن تصرف النقيب هذا.

قال /ف-و/ كلهم نفس الموديل. في هذه المرة يتركون الفتاة عندهم. كان علينا أن لا نقع تحت أيديهم. ولكن مع الأسف وقعنا.

في اليوم التالي جاءت الفتاة، فسألناها بلهفة:

- ماذا حصل؟

وكأننا لا نعرف ما حصل!!!

قالت الفتاة: أبداً لم يحصل شيئ.

طبعاً كنا قد فهمنا ما حصل. بعد هذه الحادثة بدأت الفتاة تتبدل وبحجت نجاحاً باهراً.

هكذا يا سيدي.. فقد ذقنا الأمرين. ففي عصرنا لم يكن التمثيل كما هو عليه اليوم.

- ٢٦ -

مذكرات ممثل مسرحي شعبي (٣)

لقد ذقنا الأمرين يا سيدي آنذاك، ذقنا الأمرين... في تلك الأيام لم يكن التمثيل كما هو عليه اليوم... نعم ذقنا الأمرين.

في أحد السنين كنا في /رودوس/ وكان فيها أتراك كثيرون. في تلك الأيام كنت ممثلاً صغيراً، لم يكن قد أصبح لي خبرة كبيرة في الجولات المسرحية المتنقلة. ربما لعدة سنوات. كانت علاقة الرجال بالنساء حسنة جداً في تلك المجموعة. لا تفهموا كلامي بالخطأ. ما أقصده أننا كنا أصدقاء. ليس إلا.. ولكن معلمنا.. أي رئيس المجموعة رجل مصيبة أنزله الله علينا. هذا الرجل يغار منا. وكأن فتيات المجموعة ملك له فقط. أي أنهن /حرم/ له. ومع هذا لا يستطيع أن يفعل شيئاً. خنزير متقدم في العمر، لا يستطيع الاقتراب من النساء ولا التحرش بهن. ولكونه معلمنا وتحت هذا الاسم يراوغ ويتكلم. وصل الأمر إلى أنه منع الممثلون الرجال من التحدث مع الفتيات خارج الأدوار المسرحية.

تثور الفتيات... وأثور أيضاً.. في ذلك الوقت لم أكن كما أنا عليه اليوم. لا تنظروا إلى حالي الآن.

في إحدى الأيام كنا نلعب مع الفتيات في غرفة إحداهن لعبة يلعبها الأولاد الصغار. لم نفعل شيئاً آخر والله. في الغرفة ثلاثة فتيات ورجلين، لفترة زمنية قصيرة خرج أحد الرجال من الغرفة، لم أشاهد إلا ورئيس المجموعة يدخل إلى الغرفة بغضب. وعندما وجدنا نلعب تلك اللعبة الخفيفة

ونحن نترك القهقهات العالية أصبح كالكلب المكلب المتوحش. ناداني إلى غرفته:

- ولك ألم أقل لك لا تمزح مع الفتيات أبداً؟

- لم أمزح معهن أبداً.. وإذا فعلت ذلك فأنا قليل الناموس. ولكننا كنا نلعب لعبة.

- هيا ارني عرض أكتافك، لا مكان لأمثالك في مجموعتي.

- أعطني نقودي حتى أرحل.

رماني بعملة معدنية ذات خمسة وعشرين قرشاً.

- على الأقل أعطني ليرة واحدة. رجوته كثيراً لكن القلب المتحجر لم يلن، فشلح أمامي قطعة معدنية أخرى من ذات خمس وعشرون قرشاً وهو يقول: بعد الآن لن أعطيك عشر /بارات/.

بقيت وحيداً في ذلك المكان المسمى /رودوس/ وهي جزيرة تحيطها المياه من كل جانب. وبينما كنت أمشي على شاطئ البحر.. رأيت قارباً واقفاً ينتظر زبائناً للذهاب إلى /الفتحية/.

- بكم يا ابن البلد.

- ليرة واحدة.

أملك خمسين قرشاً.. إذاً سيأخذني القبطان نصف المسافة وسيرميني في البحر. لو أضع رحلي مرة على تربة الأناضول التي أقدم نفسي قرباناً لها. بعده يسهل كل شيئ!! كيف سأصل إلى استنبول.. لست أدري.

طبعاً لن أظل في جزيرة رودوس.. ركبت القارب.. وهو كبير إلى حد ما. ليس فيه سوى خمسة أو ستة ركاب.. عندما بدأنا الاقتراب من /فتحية/ بدأ الركاب يلقون النقود على خشبة موضوعة فوق المحرك /أي اجرة السفر/.

ماذا سأفعل؟ كنت أقول في نفسي: عندما نصل إلى فتحية أقول للقبطان.. لا أملك نقوداً.. ماذا سيفعل بي.. طبعاً لـن يرجعني إلى رودوس ثانيـة. بمجـرد وصولنا إلى /فتحية/ وخوفاً من أن يقبض الرجـل علـيَّ ويعيدنـي إلى رودوس قذفت بنفسي إلى اليابسة.

- أنت يا ابن البلد لم تدفع الأجرة...

قلت لـه فجأة: لقد دفعـت.. وضعـت النقـود هنـاك. /فشـلحت كذبـة بجلجلة/ ومشيت. لحق بي الريِّس ولقطني من الخلف.

/شكراً لأحد المسافرين عندما شهد زوراً وكذباً/.

- لقد دفع المال.. أنا رأيته يضـع المـال هنـا. عندهـا تركـني الريـس وبـدأ الاثنان بالكلام والمناقشة. دفع.. لا ما دفـع.. في هـذه المعمعـة الكلاميـة بـين الاثنين كنت قد ابتعدت من هناك. كنت أفكر.. ماذا سأفعل بعد الآن؟ لكـن رأسي لم يكن يعمل من شدة الجوع. وإذا ببائع كعك يقترب مني. على فكرة /هناك كرامة كبرى في أكل الكعك ها/ في أي وقت أمضغ فيه الكعك يتفتح ذهني وأبدأ بالتفكير الصحيح.

هل تعرفون لماذا يأكل الصحفيـون والكتـاب الكعـك مـع الشـاي؟ حتمـاً ستقولون لعدم توفر المال.. لا أبداً. إن أكل الكعك مع الشاي كما قلت آنفاً يفتح من ذهن الإنسان ويجـدد نشـاطه. اشـتريت كعكـة ودخلـت إلى المقهـى وعندما أكلت الكعكة مع كأس من الشاي بدأ رأسي يعمل.

في حديقة المقهى، ثمة ماسح أحذية.. طوله أكثر من المترين. راقبت الرجل بدقة وهو يمسح حذائي. نعم فيه صفـات تشـبه الإنسـان إلى حـد مـا، عندمـا تنظر إليه للوهلة الأولى. ولكن من الصعب أن تصدق أنه إنسان.

لا أريـد أن أحمـل ذنـب أمـه.. فهـذا الإنسـان فيـه مزيـج مـن الـدب أو

الغوريلا. قلت له:

- كم تربح في اليوم الواحد؟

- أربح أربعون.. خمسون قرشاً في اليوم... نشكر الله.

- أنا سأعطيك كل يوم ليرتان ونصف.. هل تعمل معي؟

ليرتان ونصف في تلك الأيام كانت تعني الشيئ الكثير /رأس مال/ أصحاب المحلات والبسطيات لا يربحون آنذاك.

لم يسألني الرجل عن طبيعة العمل. لأن عقله شارد دائماً وكما يقول المثل (كل طويل لا يخلو من الهبل).

قال: أعمل..

- ما مقدار المال الذي تحمله في جيبك؟

أخرج الرجل ما في جيبه وفي درج صندوق الدهان. كان المجموع مائتان وثلاثون قرشاً.

- حسنٌ تعال معي.

دخلنا السوق. كان ذلك اليوم هو يوم عطلة في فتحية أي يوم الأحد. اشتريت بنقود ماسح الأحذية جلدين من جلود الماعز. واشتريت كمية وافرة من الصمغ الذي يستعمله المهرجون. ومعلاقين كبيرين من معاليق البقر. ثم ذهبنا إلى أكبر خان في فتحية. وأخذنا غرفة فيه. قلت لماسح الأحذية: هيا اخلع ملابسك.

- ماذا ستفعل؟

- اخلع أولاً وسترى ماذا سأفعل.

عندما تعرى الرجل وأصبح كما ولدته أمه.. أصبح منظره مرعباً جداً.

وضعت الصمغ في وعاء ماء وغليته على أكمل وجه. ثم قطعت جلد الماعز إلى قطع صغيرة ولصقتها على جسم ماسح الأحذية بالصمغ. كان الصمغ قد أصبح جامداً أكثر من اللزوم بحيث كلما ألصق قطعة من الجلد على جسمه يصبح كأنه جلد حقيقي له ولا مجال لوقوع جلد الماعز عن جلد الرجل. إلا بانفصال لحمه عن عظمه. زينتُ الرجل بجلد الماعز من رأسه إلى قدمه. وعندما وقف على رجليه.. أي واه.. كنت على وشك أن أبتعد هارباً وصارخاً من خوفي لولا معرفتي الأصلية به. تركته في الغرفة وذهبت إلى صاحب الخان. قلت له:

– هل تؤجرون هذا الاسطبل الصغير الموجود في الخان يا عمي؟

كان تصرف الرجل يوحي بأنه غير راض عن تأجيره. تابعت كلامي قائلاً:

– نعم إنه صغير ولكنه يفعل فعل الكبير مهما كان.. ما رأيك لو أعطيك عن كل يوم ليرة واحدة.

عندما سمع صاحب الخان بالليرة جحظت عيناه.. ليرة ذاك الزمان يعني مال كثير. ونحن الاثنان ندفع كل يوم عشرة قروش إيجاراً للغرفة.

– وهل ستربط فيه حيواناً؟

– لو أنه حيوان فالأمر سهل.. ولكنه وحش على هيئة إنسان.

رضي صاحب الخان، فربطتُ عنق شبيه الإنسان بالرسن وأدخلته إلى الاسطبل. ثم ربطت الحبل إلى حلقة موجودة قرب العامود. قلت لماسح الأحذية:

– حان وقت ربح المال يا صاحبي. أنت طلبت مني ليرتين ونصف أليس

كذلك؟ بما أنك لم تراوغ ولم تعارض جعلت يوميتك ثلاث ليرات اعتباراً من اليوم. فقط افعل كل ما أقوله لك.

– تفضل سأفعل كل ما تريد.

وضعت المعلاق البقري الذي اشتريته من السوق في وعاء كبير.

– بعد قليل.. سيمتلئ هذا المكان بالمتفرجين.. المطلوب منك أن تضع يداك أيضاً على الأرض. أي ستصبح حيواناً على أربعة. عندما أقذف لك قطعاً من المعلاق ستقف على أرجلك الخلفية وتلتقط قطعة المعلاق في الهواء. وستضعها في فمك وتبدأ بالمضغ.

– أنا لا أستطيع أن أبتلع معلاقاً نيئاً يا أخي.. ماذا سيصير بعد ذلك؟

– لا تبلعه. فقط امضغه. عندما يخرج المتفرجون، تلقي المعلاق على الأرض.

دربته على ذلك عدة مرات. ثم صعدت إلى الحجرة الموجودة أمام الخان وصنعت ميكرفوناً من صفيحة جرائد.. وبدأت أصرخ.

– أيها الأخوة المحترمون. تعالوا شاهدوا الصياد الذي قبض على الكثير من الوحوش الضارية من الغابات التي لم تطأها أرض إنسان في افريقيا. فقد أمسك وحشاً على هيئة إنسان يأكل معلاق البشر نيئاً. إنه في الداخل تفضلوا.. ادخلوا وشاهدوه.. إنه يملك أربعة أرجل وطوله أكثر من مترين. ووزنه أكثر من مئتين /أوقة/ تعالوا شاهدوا هذا الحيوان الشبيه بالإنسان. كان باب الخان مفتوحاً على /السوق/ تماماً.. الناس يجتمعون هناك، و/فتحية/ آنذاك كانت خالية من السينما والمسرح. كل من سمع ندائي اتجه نحو باب الخان. بحيث لم يبقَ أحد في البازار. كل من يدفع خمسة قروش يدخل إلى الاسطبل. كنت أدخل المتفرجين جماعات جماعات لأن الاسطبل لا

يتسع كثيراً. كل ثلاثين شخصاً يدخلون دفعة واحدة. ولو كان الاسطبل كبيراً لكنت أسمح بالدخول لمئة شخص على الأقل. وأقدم المنظر لكل دفعة.

كنت أتناول بعض القطع من المعلاق وألقيها لشبيه الإنسان هذا، فيلتقطها من الجو ويبدأ بمضغها. عندها أقول للمتفرجين.. هيا تمام..

بعد خروج كل دفعة كان شبيه الإنسان هذا يرمي ما في فمه. كانت النقود تهطل علينا كالمطر. لم أعد أجد مكاناً أضعها فيه. امتلأت جيوبي بقطع النقود الصغيرة، ومن ثقلها أصبحت حركتي بطيئة. فوجدت في الاسطبل كيس علف. فأفرغت كل ما في جيوبي في هذا الكيس.

انتهت قطع المعالق الموجودة في الوعاء. فبدأت أجمعها من جديد من أرض الاسطبل وأرميها ثانية ليلتقطها صاحبنا هذا.

وإذ بهذا الشبيه بالإنسان يقول لي: آمان يا أخي توقف قليلاً لم أعد أستطيع الاحتمال. لا أدري ما يحصل لي. إن لحمي يتقلص. وارتفعت درجة حرارتي.

كما قلت كنت قد لصقت قطع جلد الماعز على جسمه بالصمغ.. عندما جفَ الصمغ بدأ بالتقلص.. وعندما يتقلص الصمغ يشد لحم صاحبنا الملزوق به. وبدأ بالتشقق رويداً رويداً.

قلت له: ولك آمان دخيلك اصبر قليلاً. هل هذا وقته. لم يأتِ المساء بعد.

في كل مرة يئن فيها شبيه الإنسان ويتوجع ويعلو صراخه على شكل نعرات قوية. كنت أزرع الخوف بالمتفرجين قائلا:

- دخيل الله لا تقتربوا منه كثيراً. عادت إليه وحشيته. ربما يعضُ سواعدكم ورؤوسكم.

عندما يخرج المتفرجون يبدأ شبيه الإنسان بالترجي.

- دخيل الله لا تعملها... أنا انتهيت.. إنني أحترق كاللهب. ولحمي يتقطع.

وبدأ الإنسان بالبكاء.

كنت خائفاً من شيئ آخر.. كيف سأخرج هذا الإنسان من الاسطبل.. لأن بابه وباب الخان مكتظان بالناس.

كانوا سيفهمون لعبتي، وسيعرفون أن هذا الوحش ليس وحشاً حقيقياً بل إنساناً عادياً. هذا هو خوفي بالأساس.

كنت أفكر أن نظل هنا حتى المساء.. وعندما يحل الظلام أترك شبيه الإنسان هذا في حال سبيله، وأطير مع النقود التي معي. فالرجل نفذَ صبره و لم يبقَ أمامي سوى التهديد.

- إذا أردت أن تنسحب فلن أعطيك يوميتك.

- أنا لا أريد منك يومية والمائتان والثلاثون قرشاً التي معك هي حلال عليك. فقط اتركني.. أتخلص من هنا.

في الوقت الذي أدخلت فيه جماعة وبدأت أجمع النقود من المتفرجين. لم أدرِ كيف حصل ذلك. فقد تعرف أحدهم على ماسح الأحذية وعرف اللعبة التي قمت بها. فذهب إلى قيادة الجندرمة وأخبرهم بأن هناك شخصاً فعل كذا وكذا بماسح أحذية أعرفه. بعد هذه الإخبارية أرسلت قيادة الجندرمة فصيلاً مسلحاً من الجندرمة ليقبضوا علينا. وأنا لا علم بكل ما حصل. وبينما كنت أنادي وأصرخ:

- أيها الأخوة المواطنون تعالوا وشاهدوا الرجل الوحشي الذي قبض عليه

في مجاهل غابات افريقيا... هيا تعالوا.

كنت قد أدخلت فوجاً آخر من المتفرجين.. وإذا بشبيه الإنسان غير موجود. وفي هذه اللحظة تماماً ثمة قيامة قامت في الخارج عندما أسرعت نحو الباب وإذا بالمتفرجين قد ذهبوا في كل الاتجاهات وهم يصرخون:

- لقد هرب..
- وللك آمان لقد هرب شبيه الإنسان.
- وللك أمسكوه.
- اضربوه بالحجر.
- أما من مسلم يملك مسدساً.
- لقد هرب شبيه الإنسان آكل لحوم البشر.

وبينما كنت أجمع النقود من مجموعة من المتفرجين. كان شبيه الإنسان وتحت ألام الصمغ وتقلص لحمه، لم يقدر أن يتحمل فهرب من خلال نافذة مفتوحة. كانت ترمي منها القمامة.. وعندما خرجت إلى الساحة رأيت المسكين يسرع بالجري نحو البحر. وربما كان يظن أن ماء البحر سيخلصه من هذه الآلام.. ويخلصه من جلد الماعز.

في تلك اللحظة تماماً حضرت الجندرمة. بينما كان الناس يصرخون "امسكوه اضربوه.. الإنسان الوحشي يهرب".

الصراخ من جهة، ومنظر صاحبنا وهو يهرول نحو البحر من جهة أخرى. دفعا عناصر الجندرمة إلى إطلاق النار نحوه.

عندها ركضت نحو الجندرمة ماسكاً أيديهم وأترجاهم:

- با لله عليكم لا تطلقوا.. آمان دخيلكم. هو مثلي ومثلكم (بني آدم) لقد كذبت عليكم.

قبضت الجندرمة عليَّ واقتادوني إلى المخفر، وصاحبنا يتلوى من الألم داخل الماء المالح.

جاؤوا بشبيه الإنسان أيضاً إلى المخفر.. كان الرجل المسكين يبكي من شدة الألم. قال قائد الجندرمة:

- هيا ادخلوه إلى الحمام فوراً.

أخذوا المال مني وبعد إحصائه كنت جنيت سبعاً وثمانين ليرة.

قال القائد: ولك يا قليل الناموس. تخدع الشعب ها..

نقلني أحد الضباط إلى النيابة العامة. فقلت للنائب العام:

- هذا نوع من الفن يا سيدي. ومثل هذا الفن يعرض في جميع حدائق الحيوان والسيرك.. تحت عناوين عديدة. فمثلاً يقولون: (إنسان مقطوع رأسه)، حورية البحر، نصفها آدمي ونصفها سمك.آدمي ولد برأس بقرة. وامرأة ذات ستة سواعد.

هل من قاعدة تقول: يعيش جسد دون رأس؟

نعم هذا فن من أنواع الفنون يا سيدي.. والكذب دائماً موجود داخل الفن. وبعض الأحيان تحرك من خيالك إلى حدٍ ما.

والشكر لله.. كان النائب العام يفهم بالفن والأدب. أعاد لي نصف المبلغ وهو يقول: هيا اذهب من هنا حالاً.. لا أريد أن أراك في هذه الأطراف.

وربما أعطوا النصف الآخر من المبلغ لشبيه الإنسان. في تلك الليلة ركبت الحافلة وعدت إلى استانبول.

لقد ذقنا الأمرين يا سيدي ذقنا الأمرين. لم يكن التمثيل في تلك الأيام كما هو عليه اليوم.

- ٢٧ -

مذكرات ممثل شعبي (٤)
من أجل الذهاب إلى أنقرة مجاناً

لقد ذقنا الأمرين يا سيدي ذقنا الأمرين. لم يكن التمثيل في تلك الأيام كما هو عليه اليوم... نعم لقد ذقنا الأمرين.

كان ذلك في عام ١٩٣٠ وربما ١٩٣١ لم أعد أتذكر التاريخ تماماً. كان وفدنا يعمل في /ي.../ أنا ممثل قديم... لم نبقَ في مكان لمدة طويلة كما بقينا هناك. الذي استمر عامين. وإذا أردنا كنا سنبقى أكثر. لكن الوفد تفرق. وإذا جئنا لأسباب بقائنا هناك لمدة طويلة.. فذلك لأن إنسان تلك المنطقة عجيب يا سيدي. إنه مدمن على البكاء لا بد إلا وأن يبكي. عندما يأتي إلى المسرح.. واستطعت أن تبكيه قليلاً.. فسيدفع لك الكثير والكثير. ويكون ربحك حلالاً بنظرهم. يعود ثانية في مساء اليوم التالي ليبكي أكثر ما سنمثله في كل مساء.. كنت أضع الخطوط العريضة للمسرحية لأن جميع القصص القديمة الموجودة قد انتهت منذ زمن طويل. كنت أخترع قصة ما ونمثلها لهم. كان بعض الممثلين ينسون أدوارهم في الفصل الثاني أو الثالث. يسألونني.. ولك يا أخي.. كيف سأعرف؟ لقد راحت من بالي.. كنت أعرض عليهم القصة بخطوطها العريضة.. ولحظات أنسى القصة كلها. حتى أني كنت أنسى دوري في كثير من الأحيان. لم يبق في دماغي شيئاً من الكذب والخداع.

فتاة فقيرة بائسة تعشق شاباً غنياً وشاب بائس يحب فتاة غنية.. الطرف

الغني يمانع زواجهما في كثير من الأحيان. والمشاهدون يبكون ويبكون.

في إحدى الليالي ونحن على المسـرح ثانيـة.. في وسـط الفصـل الثـاني وإذ برجل يقف على رجليه ويبدأ بالصراخ:

– أليس من بوليس هنا؟ هذا ليس بمسرحٍ كل شيئ سلبي. إنهـم يزرعـون انفصام الشخصية عند المشاهدين. مثـل هـذه القصـص لا تمثـل. هيـا أغلقـوا الستارة أو أنزلوها.

الرجل لم يصمت أبداً. سيقطع التمثيل من منتصفه. أما المشاهدون فبـدأوا يصرخون وهم يسحبون النازل من أنوفهم من كثرة البكاء.

– لا تقطعوا التمثيل.. أكملوا القصة... نحن نريد ذلك.

الشيئ الحسن في الأمر، أن النائب العام كـان موجـوداً في المسـرح فوقـف على رجليه وقال:

– التمثيل لا ينقطع من منتصفه. ولا يحق لأحـد أن يـنزل السـتارة، حتـى تنتهي المسرحية.. كل من لديـه شـكوى ليقدمهـا إلى الدوائـر الخاصـة المعنيـة بالأمر.

وسط هذا الجو الخانق بدأنا بالفصل الثالث. كان الفريق بكامله غاضبـاً.. فالجميع نسوا أدوارهم. أما أنا فكان الدم قد وصل إلى دمـاغي مـن الغضـب. خرجت إلى المسرح وبـدأت بـالكلام. لكـن لم أعـرف عمـا أتحـدث.. المهـم فتحت فمي وأغمضـت عينـاي.. /لا تمثيـل ولاتمثيـل/ أنـا أتكلـم.. والكـلام يطول.. وأصدقائي تحمسوا أكثر مني.. منظر فريد.. والتصفيـق الحـاد يـدوي في كل مكان.. كأن القيامة تقوم في المسرح. لو تكلمنا حتـى الصبـاح لقـال المشاهدون.. نريد أكثر.

استمر الفصل الثالث قد دام ساعتين.

عندما أسدلت الستائر.. كانت الكواليس مكتظة بالجماهير والبوليس إضافة للشخص الذي كان يصرخ في الفصل الثاني. كنا قد نفسنا عما في صدورنا.. حتى أن الرجل الذي كان ضدنا لم يحتمل، فجاء إلينا وعيناه مغرورقتان بالدموع كأن في كل عين من عينيه نبع.. أراد أن يقول شيئاً وهو يمسح الدموع من عينيه من جهة ومن جهة يسحب المخاط النازل من أنفه.

- لا أحد يستطيع أن يمنع هذا التمثيل.. بدأ يكرر هذا الكلام.

في اليوم الثاني دعانا النائب العام وقال لي:

- ولك يا أخي .. ماذا فعلت.. حتى صراخ الرجل لم يكن في كلامك عنصر ذنب واحدة. ولكن بعد ذلك لم تترك شيئاً من الكلام غير القانوني إلا ونطقت به. ماذا سيحدث الآن.

إذا كنتُ قد تركت طرف الحبل يتيه من يدي في ذلك الغضب الأعمى. لكن المشاهدين شهدوا معي. كوني على حق وأنني لم أقل /لا كذا ولا مذا/ كنا قد تخلصنا بإعجوبة من هذه الورطة. بعد تلك الحادثة.. لم يعد مسرحنا يستقبل المشاهدين. كان خبر إغلاق مسرحنا قد وصل إلى المحافظ. ونحن لا علم لنا بالموضوع. في إحدى الليالي حضر المحافظ إلى المسرح بعد انتهائه قالوا لي: إن المحافظ يريد أن يراك.

خفتُ كثيراً ذهبت إليه وجسمي كله يرتجف هلعاً. كان الوالي إنساناً طيباً. استقبلني ببشاشة وقال لي:

- عفارم عليك يا بني. أنت تعمل الصحيح. كأن هذا الشعب لا يكفيه البكاء طوال تاريخه. يذهب إلى المسرح ويدفع المال كي يبكي ثانية وثالثة.

أبكيهم بقدر ما تستطيع. ربما نرجع عقولنا إلى رؤوسنا من شدة البكاء.

بعد تلك الحادثة وصل الأمر هناك.. بحيث أن كل من يراني في الشارع يهمس في أذن زميله.. هذا هو الرجل المسكين الذي انتحر. لأن والد الفتاة قليل الناموس لم يزوجه ابنته. كانوا يقولون هذا ويبدأون بالبكاء. في كل مكان.. كل من يراني يبكي. كان الشعب قد نسي همه.

نعم كان بإمكاننا أن نبقى هناك لسنوات طويلة نبكيهم بقدر ما نريد. ولكن كل ذلك لا يساوي شيئاً. فنحن أبناء هذه الصنعة أبناء المسرح المتجول.. نحب التجوال والترحال كالغجر.. بعد مدة من الزمن جف نبع المال عندنا، وتفرق الوفد في مدينة سيواس. تفرَّق المغنون والراقصون.. لم يبق سوى أربعة أشخاص، صديقنا صانع ألعاب الدمى المتحركة. لا داعي على ذكر اسمه الآن.. وذكره الله بالخير وأعطاه السلامة أينما وجد.. وممثلتان وأنا الرابع. وفي سيواس اشترينا أربعة حمير عجائز بثمن بخس. حملنا على حمارين طاقم الدمى المتحرك وأغراضه. وعلى الحمارين الأخرين ركبت النساء. وبقينا نحن الاثنان نسير خلف الحمير. وعندما نصل إلى أقرب ناحية أو منطقة كنا سنعرض ألعاب الدمى المتحركة وسنربح مالاً كي نعيش. ولكن المال نفذ قد تماماً و لم يبق معنا قرش واحد عندما دخلنا إلى البلدة.

ركزنا أنفسنا في أحد الخانات. بقي الأصدقاء في الخان. أما أنا ذهبت إلى القائمقام للحصول على رخصة للعمل. قال القائمقام: كم شخصاً أنتم؟

- أربعة.

- كم امرأة؟

- اثنتان.

- هيا اذهب وأحضر الجميع حتى أراكم ثم أعطيكم الرخصة.

فهمت أن نية القائمقام كانت عاطلة. عندما عدت إلى الخان قلت لصاحبي لاعب الدمى:

- هذا القائمقام نيته عاطلة. تعالى معي نذهب إلى معسكر الغجر ونأخذ منهم امرأتان وسندفع لهم مالاً بالمقابل. ونأخذهما إلى القائمقام ونقول عنهما ها هما المرأتان اللتان في فرقتنا حتى نخلص ممثلاتنا منه.

قال لاعب الدمى: لن يحصل أبداً. لا بد أن كذبتنا ستظهر بشكل ما. وعندها سنكون في موقف حرج وصعب.

ذهبنا نحن الأربعة إلى القائمقام. وبعد أن نظر إلى النساء بعين شذرة، تركهم يذهبون إلى الخان وأبقاني عنده.

قال: سأعطيكم إذناً بالعمل ولكن شرط أن تبقى الشقراء عندي هذه الليلة.

ما كنت أخاف منه قد حصل.

- آمان يا سيادة القائمقام أرجاك النساء من أهل الناموس والشرف. ومهما رجوته ودافعت عن النساء..فقد ظل قلبه قاسياً وعنيداً.

- ايه.. أنتم تعرفون مصلحتكم أكثر مني.. لن أعطيكم إذناً.

ماذا سنفعل.. نحن الأربعة جائعون تماماً. قلت له.

- لأذهب إلى الخان وأسألهم.

عندما عدت إلى الخان وأعلمت صديقي بما حصل.

قال: يجب أن نحافظ على كرامتنا وناموسنا وشرفنا. هيا إلى قيادة الجندرمة لنعلمهم بالأمر.

ذهبنا إلى هناك. كان قائد الجندرمة شاباً وسيماً برتبة نقيب فشرحنا له الأمر من أوله إلى آخره.

قال: هيا اذهبوا إلى القائمقام وقولوا له كما تريد. رضينا بشرطك. اعرضوا ألعابكم وبعد العرض ادعوه إلى الخان.

أوه.. كم فرحنا لهذا الموقف، كان قائد الجندرمة يريد أن يمسك القائمقم بالجرم المشهود.

ذهبت إلى القائمقام وقلت له: لقد حصل ما طلبته يا سيدي تفضلوا إلى الخان بعد العرض. المرأة ستنتظركم في غرفتها.

خلال لحظة كانت ورقة السماح معي. أما نحن فقد استأجرنا مقهى لنعرض فيه ألعابنا. كانت إحدى الأوراق ناقصة. فلما عدت إلى القائمقام ثانية لأكمل المعاملة لم أجده في مكتبه. قال حاجبه إن القائمقام ذهب إلى منزله لينام بعض الوقت. الأمر واضح.. الرجل سيرتاح وينام ليسهر مع الشقراء حتى الصباح. المهم عرضنا لعبتنا الأولى وعدنا باكراً إلى الخان. ولكن صاحبي لاعب الدمى كان في حالة من الغضب والهياج.. يسير في الممشى جيئة وذهاباً كثور هائج.

وكما علّمنا قائد الجندرمة، نصبنا كميناً للقائمقام. والمرأة كطعم للفخ تنتظر في الداخل. وإذا بحاجب القائمقام يدخل ويديه مملوءةبالأكياس والحاجات الأخرى.

- هذه الأغراض أرسلها السيد القائمقام.

ثلاث بطحات من العرق.. وفروج مشوي.. وعدة أنواع من الفاكهة وأشياء أخرى.. أخذتها المرأة إلى داخل الغرفة.

نعم.. جاء القائمقام أيضاً... ومعه رجل آخـر.. لم نعرف الرجل الـذي جاء معه. ربما جاء الآخر من أجل المرأة الأخرى حتى لا تزعل.

اقترب القائمقام والرجل من الباب ولا أثر لقائد الجندرمة. وللك أين أنـت أيها النقيب (يوزباشي) وإلا سيذهب العرض والشرف معاً. وإذ به يتقدم.

– خيراً إنشاء ا لله يا سيد القائمقام ماذا تفعل هنا في هذه الساعة المتأخرة؟

قال القائمقام: خرجت للتفتيش.

– هل تفتش الفنانات؟

– نعم..

– إذن لماذا هذه الزجاجات والفـروج والفواكـه.. أيضـاً للتفتيـش. أليـس كذلك.

كانت الأمور تسير على ما يرام وتماماً كما نريد. وإذا بصاحبنا لاعب الدمى ينزل بصفعة قوية في وجه القائمقام. لأنه لم يستطع أن يتحمل أكثر.

/وللك ا لله يصلحك لقد خربت كيس التين بأكمله/.

أمسكوه.. أوقفوه.. حصروا لاعب الدمى في الزاوية.

كنا على حق فصرنا على الباطل.. وكأن الذي فعلـه لم يكـف.. فـانقلب الحديث على السياسة وشرع بالحديث يميناً وشمالاً... ويخبط بالكلام. قبضـوا عليه وأخذوه إلى المخفر. أمضى ليلته هناك. في اليوم التـالي أخذونـا أيضـاً إلى المخفر وحققوا معنا.

بعد ظهر ذلك اليوم قال لي قائد الجندرمة:

– إن الأمور تسير من سيء إلى أسـوأ.. ستتنازلون عـن شـكايتكم حتـى يخف جرمكم بعض الشيء. إن جزاء ضرب القائمقام كبير.

تنازل لاعب الدمى عن دعواه. ونال مـن الجـزاء خمس وثلاثـون يومـاً في السجن. هو في السجن وأنا مع المرأتان في الخارج.

بعت ثلاثة من الحمير بسعر بخس. ووضعنا على الحمار الرابع طاقم ألعاب الدمى وبدأنا ندور في القرى. نعرض الألعاب مقـابل بيـض ودجـاج وطحـين كي نعيش.

انتهى سجن لاعب الدمى.. وقد عزمنـا علـى الرحيـل مـن تلـك المنطقـة. سألته:

- الله يجزيك لماذا صفعت الرجل؟

- ولك أخي ضيعت نفسي.. لقد احترش في دمي. غبـت عـن رشـدي.. حيث أنزلت له تلك اصفعة.

- طيـب فهمنـا الصفعـة لمـاذا أنزلتهـا. لمـاذا أدرت الحديـث إلى السياسـة وتكلمت طالع نازل.

شرح الموضوع على الشكل التالي:

في وقت من الأوقات كـان مسـجوناً مـع بعـض السياسـيين. فأرسـلوهم بالقطار إلى أنقرة وكانوا يعاملونهم بالحسنى.

أردت من الحديث السياسي.. أن يعاملوننا معاملة حسنة ويرسـلوننا مجانـاً إلى أنقرة.. كما فعلوا مع السياسيين الذين بقي معهم في السجن آنذاك.

وصلنا إلى استانبول بعد تعـب ومشـقة. المرأتـان كانتـا تغنيـان وترقصـان ونحن نعرض الدمى.. نأخذ من هنا ونضع هناك حتى استانبول..

هل رأيت يا سيدي لقد ذقنا الأمرين لم يكن التمثيل كما هو عليه اليوم.

الفهرس

مجنون على السطح

المجنون يفهم المجنون، فهل يفهم الشعب عبارات السياسيين وهم يخطبون؟

الأغنياء يتصارعون بالسيارات، بينما البلدية تقف عاجزة عن استبدال سيارات النقل العام لعدم توفّر العملة الصعبة المخبّئة في جيوب المسؤولين.

وإذا قلب الدهر ظهره إلى شخص ما، فإن النحس يلاحقه طول حياته.

وعندما لا يعجبه حزبه، يهرع إلى الإنتساب لحزب آخر معارض.

بعض الوزارات تكرّم موظفيها الناجحين بمهمات رسمية للخارج، وتخصّهم بتعويضات هائلة بالعملة الصعبة، مما يسبّب إطالة ألسن باقي الموظفين فيلتهمون الوزارة.

وعندما بدأت أسعار القبور تهرول كأسعار العقارات، تمنّى أصحاب الدخل المحدود السكن إلى جانبها، حتى لا يحرجوا ذويهم في تكاليف الجنازة المذهل؟

نعم يا سيدي، لقد ذقنا الأمرّين في مسرحنا الجوّال. وما زلنا نبحث عن المال لنعيش ونبني مسرحاً شعبياً.

وقصص أخرى مشوّقة ومعبّرة يحملها هذا الكتاب.

الناشــــر

السعر ١٧٥ ل.س